

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْظَاوِيِّ



المحور الحادي عشر

خطب الجمعة



خطب الشيخ القرضاوي

٤

إعداد

د. خالد السعد



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا بِاللهِ مَعْنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما». متفق عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». متفق عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده». متفق عليه.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض،
وملء ما شاء ربُّنا من شيءٍ بعد.

وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ، وهادي
البشريَّة إلى الرشد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا مُحَمَّد، وعلى آله
وصحبه، ومن سار على دربه، واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو الجزء الرابع من «خطبي» يمضي على سُنَّة ما سبقه من
الأجزاء الثلاثة، وقد أعدّه كذلك الأخ الكريم العالم، الباحث الداعية
الفاضل: الشيخ خالد السعد، وعلّق على حواشيه، وخرّج أحاديثه.

وعلى عادته في كلّ جزء يرده إليّ لأراجعه، لأكمل بعض الكلمات
التي قد تكون قد ضاعت أو شوشت في التسجيل، وقد أهدّب بعض
العبارات بالإضافة أو الحذف أو التحسين، كما أخرج بعض الأحاديث
التي ربّما تستعصي على الأخ خالد، وربّما لا يتّسع وقته لتخريجها،
لا سيّما وهو مشغولٌ بإتمام رسالته للدكتوراه، أسألُ الله أنْ يُسَدِّدَ خُطاهُ،
ويُنِيرَ طريقه، ويُتِمَّ عليه النّعمة.

وقد تميّز هذا الجزء بأنّه فيه موضوعات جديدة، وربّما لا يطُرّقها كثيرٌ من الخطباء، مثل زياراتي ورحلاتي إلى البلاد المختلفة، كالهند واليابان وأمريكا وغيرها. فأحببتُ أن أشرك الإخوة القُرّاء معي في حصيلة هذه الأسفار.

على أن مرّد الخطب كلّها في النهاية إلى النبع الصافي: من كتاب الله تعالى، ومن سُنّة رسوله ﷺ، مستأنسين بتراث الأُمّة الغنيّ، الذي لا يستغني عن الاستفادة منه عالمٌ أو داعيةٌ أو مربٍّ، وبذلك تتواصل أجيال الأُمّة بعضها مع بعض، ويستغفر لاحقها لسابقها، كما قال الذين جاؤوا من بعد الصّحابة: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

شكري للأخ خالد السعد على ما قام به من جهد، ونفع به كلّ من قرأه، وجزى الله «مكتبة وهبة» خيرًا على نشره وتعميم النفع به، وأدعو الله سبحانه ألا يحرمني من أجره، إنّه سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة في ذي الحجة سنة ١٤٢١هـ

مارس (آذار) ٢٠٠١م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيّدنا
مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.

(وبعد)

فهذا هو الجزء الرابع من «خطب الشيخ القرضاوي»، يسر الله إخراجَه
وطباعته بعد أشهر معدوداتٍ من صدور الجزء الثالث، وقد ضمَّ عددًا
من خطب الجمعة والعِيدَيْن، بعضها جديد، وبعضها قديم، ومنها
مجموعة من الخطب التي تُعنى بالشباب ومشاكله وقضاياها.

وإنِّي أحمد الله تعالى على ما لَقِيته هذه الخطب من قبولٍ وثناء،
وما حظيت به من تقديرٍ وانسراحٍ لدى جمهرة من القراء، لا سيَّما طُلاب
العلم وخطباء المساجد، الَّذِينَ وجدوا فيها مادّةً صالحةً للتعويل عليها
في خطبهم ودروسهم.

وكَلَّمَا صدر جزءٌ من هذه السلسلة لَقِيتُ بعض هؤلاء الإخوة،
واستحثُّوني لأسرع في إعداد الجزء الذي يليه.

وقد تلقيتُ مكالمتَيْن من أخٍ كريم - لا أعرفه - من الأردن،

إضافة إلى من لقيت من الإخوة بالبحرين، وكلّ يسأل عن الأجزاء التي صدرت، والدار التي تتولّى نشرها، ليحاول الاتصال بها، والحصول عليها.

ولعلّ ممّا يُميّز هذه الخطب عن غيرها، ويمنحها أهميّة خاصّة وقبولاً لدى جماهير الصّحوة وشبابها، هو أنّ قائلها «داعية فقيه»، عرف حقيقة الإسلام وما يجري في هذه الحياة، ولم يعيش مُنْعَزِلاً عن عصره وما يدور فيه من تيارات، وما يعترّيه من مشكلات.

داعية يفقه الأولويّات، ولا يشغل النّاس بالجزئيّات على حساب الكلّيّات، ولا يشغلهم بالمُختَلَف فيه على حساب المُتَّفَق عليه، أو بالشكل والصورة على حساب الجوهر والرّوح.

هدفه هداية البشر إلى الإسلام، وحشدتهم في ساحته الرّحبة، حتّى يرتبطوا به علماً وعملاً، وفكراً وسلوكاً.

داعية أحسن عَرَض الإسلام وإفهامه للنّاس، وعامل النّاس برُوح الأبوة والأخوة والمحبّة، لا برُوح الاستعلاء والاتّهام.

داعية يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويوازن بين الثوابت والمُتغيّرات، ويدعو إلى: احترام العقل، وتجديد الفكر، والاجتهاد في الدّين، والابتكار في الدُّنيا.

داعية فتح للنّاس قلبه وبيته، وأصغى إليهم، واستمع إلى مشكلاتهم وآهاتهم، برغم أنّ واجباته وأعباءه تفوق أوقاته بكثير.

لذلك أحبّه النّاس واستراحوا إليه، ووثقوا به وأقبلوا عليه، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١، الجمعة: ٤].



موعدنا بمشيئة الله تعالى مع الجزء الخامس، الذي سوف تركز خطبه حول موضوع الساعة وقضية المسلمين الأولى في هذا العصر، قضية فلسطين وانتفاضة شَعْبها المباركة، فحتّى ذلك الحين أستودعكم الله، وأسأله العون والتيسير، إنّه بالإجابة جدير، وهو نِعَم المَوْلى ونِعَم النّصير.

خالد السعد

* * *





ملاح من الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّلْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصَّنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسل، وأتمَّ علينا النعمة بأعظم دينٍ شرع، دين الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، أدَّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، حتَّى تركنا على المَحَجَّةِ البيضاء، على الطريقة الواضحة الغراء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فلا يضرُّ إلا نفسه، ولا يضرُّ الله شيئاً، ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابه،
وأحينا اللهم على سنّته، وأمّتنا على ملّته، واحشُرنا في زمّته، مع الذين
أنعمت عليهم من النبيّين والصّديقين والشهداء والصالحين، وحسُن
أولئك رفيقًا.

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نستقبل اليوم الجمعة الأولى من العام الخامس بعد أربعة عشر قرنًا
من هجرة رسول الله ﷺ (١٤٠٥هـ)، ذلك الحدث العظيم الذي ألهم الله
عمر وأصحاب رسول الله ﷺ معه: أن يجعلوه بداية لتاريخ الإسلام.

ذلك أنّ دولة الإسلام إنّما قامت بالهجرة، أسّس رسول الله ﷺ الدولة
الإسلامية، دولة العدل والإحسان، دولة العلم والإيمان، دولة الفضيلة
والأخلاق، دولة الحقّ والخير، أسّسها رسول الله ﷺ في مدينته المُنوّرة
بعد هجرته ﷺ.

ولهذا كان من حقّنا أو من حقّ الهجرة علينا أن نتحدّث عنها بعض
الشيء، لنُلقي الضوء على هذا الحدث التاريخي الجليل.

دعوة التوحيد:

لقد شاء الله تعالى أن يبعث رسوله ﷺ بالهُدَى ودين الحقّ في «مكة»
أرض البيت الحرام والمسجد الحرام، أن يبعثه بدعوة التوحيد، ليُحيي
مِلَّةَ إبراهيم عليه السلام، أن يدعو الناس إلى تحريرهم من عبادة غير الله، من
عبادة العباد، من عبادة الذات، من عبادة الأوثان، فلا يشركوا بالله شيئًا،
ولا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، كانت هذه هي دعوة
رسول الله ﷺ.

إنَّها الدعوة إلى التوحيد الحقّ، والدعوة إلى التوحيد الحقّ تعني: الدعوة إلى التحرير الحقّ، تحرير الإنسان من العبوديّة لغير الله، من العبوديّة للأشياء، والعبوديّة للأشخاص، والعبوديّة للأهواء، والعبوديّة للأوثان، والعبوديّة للأوهام.

وكان هذا التوحيد هو مصدر الحرّيّة والإخاء والمساواة، ما دمنا كلّنا عباداً لله، فليس هناك أحد يستذلّ أحداً، وليس هناك أحدٌ يخضع لأحد، ولا تُعَفَّر جبهةٌ إلّا ساجدة لله، ولا ينحني ظهرٌ إلّا راکعاً لله، النَّاسُ كُلُّهم إخوة، كُلُّهم متساوون، ربُّهم واحد، وأبوهم واحد، كُلُّهم لآدم وآدم من تراب.

كانت هذه الدعوة الجديدة إيذاناً بميلاد إنسانٍ جديد، إنسانٍ عزيزٍ كريمٍ حرٍّ، لا يخضع ولا يذلّ، ولا يدين إلّا بأمر الله، ولأمر الله.

المشركون يعارضون دعوة التوحيد:

ولهذا وقف الطغاة، وقف المُتألّهون، وقف المستكبرون ضدّ هذه الدعوة، هذه الدعوة التي لم يُردّ صاحبها من أحدٍ جزاءً ولا شكوراً، ولم يبع مالا ولا أجراً، إن أجره إلّا على الله رب العالمين.

وقفوا ضدّه وهم يعلمون أنّه على حقّ: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. الظلم والعلو، البغي والحسد، الكبر والأنفة، الجمود والتقليد: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، كلّ هذه المعاني وقفت حائلاً بين هؤلاء النَّاسِ واتباع مُحَمَّدٍ ﷺ، الذي لم يُجَرَّبوا عليه يوماً كذباً قط، والذي كانوا يُسمُّونه: «الأمين»، والذي لم يعرفوا عليه لوثةً في قولٍ أو فعل، ما سجد لصنم، ما شرب يوماً خمراً، ما عبث يوماً كما يعبث الفتيان، كان مثال الطهارة والاستقامة، والشرف والفضيلة.

ولكن هؤلاء الناس أبت عليهم أهواؤهم وأنفسهم الأثرة بالسوء وشياطينهم، إلا أن يحاربوا الهدى ويتبعوا الهوى، ويقفوا ضد رسول الله ﷺ.

عشيرته من قريش وقفت ضده، وضد أصحابه، فنالهم من الأذى ما نالهم، وضرب عليهم سوط العذاب ثلاثة عشر عامًا، لم يدع النبي ﷺ فيها أمر دعوته، كان يدعو إلى الله سرًا وجهارًا، وليلاً ونهارًا، مع أهل مكة، ومع من يأتي إلى مكة من القبائل في مواسم الحجيج.

كان يعرض نفسه على القبائل الوافدة إلى مكة، يقرأ عليهم قرآنه، ويعرض عليهم دعوته، ويرغبهم ويُرهبهم، يريد أن يأخذ بأيديهم إلى ساحة الله، أن يقودهم إلى هذا الهدى الجديد.

ولكن هناك من يشترط عليه أن يكون له الأمر من بعده إذا انتصر، لا يريدون أن يدخلوا لله وإثما لغنيمة، ويأبى النبي ﷺ مثل هذا الشرط، فمن دخل الإسلام دخله الله لا لمعنم ولا لدنيا.

وهناك من يردّه أقبح الرد: كان عمه (أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب) يمز والنبي ﷺ يقول: «يا معشر العرب، أدعوكم إلى كلمة إذا آمنتم بها واتبعتموني، دانت لكم بها العجم، وملكتم بها العرب: لا إله إلا الله». كلمة التقوى، كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، كلمة التحرير للبشرية. وأبو لهب يقول لهم: يا معشر قبائل العرب، لا تسمعوا لهذا الصابي؛ فإنه مجنون يهذي. فيقولون له: عشيرتك أعلم بك، حيث لم يُصدّقوك^(١).

(١) كما في حديث ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهليًا أسلم فقال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز، يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا». ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدًا يقول شيئًا، وهو لا يسكت، يقول: =

بيعة العقبة:

ومرّت السنون والمواسم، حتّى أراد الله لدينه أن ينتصر، ولدعوته أن تستقرّ على أرض صلبة، وكان من صنيع الله لرسوله أن هيأ له جماعة من يثرب التي سُمّيت فيما بعد: «المدينة».

جاء هؤلاء إلى مكّة في موسم الحجّ، فعرض النّبي ﷺ عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى دينه، وكانوا قد سمعوا من قبل من حلفائهم وجيرانهم من اليهود: أنّ نبياً أوشك أن يُبعث، قد اقترب زمانه، وكانوا يتوعّدونهم ويهدّدونهم: أنّ هذا النّبي إذا بُعث سنؤمّن به، ونكون معه عليكم، ونقتلكم قتل عادٍ وإرم.

فلما سمع هذا النفر من الخرج - الذين وفدوا إلى الحجّ - هذه الدعوة الجديدة، من مُحمّد بن عبد الله الهاشمي القرشي: نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لعلّ هذا هو الذي توعّدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه، وشرح الله صدورهم للإسلام، فأسلموا^(١).

كانوا طليعة المسلمين في هذا البلد الكريم، وعادوا إلى قومهم مُبشّرين ومُنذرين، فدخل في الإسلام من دخل.

ورجعوا في العام القادم في الموسم التالي أكثر عددًا - ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان - فبايعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه ممّا يمنعون منه

= «أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». إلّا أنّ وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه، ذا غديرتين يقول: إنّّه صابئ، كاذب. فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب. رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٠٢٣)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٢٨/١، ٤٢٩)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ودلائل النبوة للبيهقي (٧٥/٢، ٧٦)، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

نساءهم وأبناءهم، كما يُحامي الرجل عن أسرته وذرائه يُحامون عن رسول الله ﷺ.

وأراد أحدهم - وهو العباس بن عباد - أن يُنبّه القوم إلى ما يُقدّمون عليه فقال: أتعرفون على ما تُبايعونه؟ إنكم تُبايعونه على حرب الأحمر والأسود - أرى أن الناس جميعاً سيرمونكم عن قوسٍ واحدة، وستقفون ضدّ العرب والعجم، وسيقفون ضدّكم، ويشهرون السلاح في وجوهكم - قال القوم: نعم نُبايعه على هذا!

ثمّ قالوا: يا رسول الله، وما لنا إن نحن بايعناك على هذا؟ قال: «الجنة».

فقالوا: قبلنا، لا نُقيل ولا نستقيل، قبلنا الصّفقة.

وبايعوا الله وبايعوا رسوله هذه البيعة: أن ينصروه ويحموه إذا وفد إليهم ممّا يمتنعون وينصرون منه أنفسهم وأهلهم، على أن تكون لهم الجنة^(١).

أول مبعوث في الإسلام:

وتكاثر الإسلام بالمدينة، وأرسل النبي ﷺ إلى المدينة مبعوثه الأوّل: الشاب الداعية المؤمن «مُصعب بن عُمير»^(٢).

مصعب بن عمير أحد فتیان مكّة المُدَلِّين، الَّذي كان يعيش بين أهل يطعمونه أحسن الطعام، ويكسونه أحسن اللباس، يعيش حياة مرفّهة، كان يستخدم من العطور ما إذا مشى في طرقات مكّة قال فتياتها: هذا مُصعب بن عُمير يمضي في الطريق^(٣).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٤٦/١ و ٤٥٤).

(٢) المصدر السابق (٤٣٤/١).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (١٦٦/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

بعد أن أسلم هَجَرَهُ أَهْلُهُ، وحرَّمُوهُ الْمَالَ وَالْعَيْشَ الرَّخِيَّ، فقبل ذلك في ذات الله ولم يبال، وعاش في ظروف خشنة حتَّى بعثه النَّبِيُّ ﷺ إلى المدينة مُعَلِّمًا وداعيًا إلى الإسلام، وبعث معه ابن أم مَكْتُوم^(١)، فدخل الإسلام كلَّ بيت في المدينة، دخلها سلمًا لا حربًا، فتحها بالقرآن، بالدعوة إلى الله تعالى.

ثمَّ أَحَسَّ أَهْلُ مَكَّةَ بما يجري، أَحَسُّوا بهذا المنطلق الجديد للإسلام، شعروا بأنَّ الأوس والخزرج - وهم أَهْلُ مَنْعَةٍ وشوكة - قد ناصرُوا مُحَمَّدًا ودخلوا في دينه، وحسبوا حساب الغد، خشوا أن يأوي إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فيما بعد، ثمَّ يَأْتِي إِلَيْهِمُ مُحَارِبًا، فيشتدُّ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ، فقالوا: لا بدَّ أن نتدبَّر الأمر قبل أن يستفحل، وقبل أن يتفاقم الخطر، ويتطير الشر!

اجتماع المشركين في دار الندوة:

واجتمعوا في دار ندوتهم يُفَكِّرُونَ ماذا يصنعون؟
قال قائل: نحبس مُحَمَّدًا، نشدُّ عليه الوثاق فلا يخرج على النَّاسِ.
قالوا: لا تدعُكم بنو عبد مناف تفعلون هذا.
قال قائل: ننفيه إلى بلدٍ آخر يخرج عَنَّا.
فقالوا: ألا تعرفون حلاوة لسانه ونصاعة بيانه، إِنَّ أَيَّ بَلَدٍ نفِيتُمُوهُ إِلَيْهِ، سيؤثر فيهم وسيَسْحَرُهُمُ بقوله.

وقال أبو جهل: عندي رأي ما أراكم وقعتم عليه: أن نختار ثلاثين فتى جلدًا من أقوياء الشَّباب من سائر بطون قريش وقبائلها، ونُعْطِي كُلَّ

(١) عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم». رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٢٤).

واحد منهم سيفًا صارمًا، يضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في هذه القبائل، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم، فلا يمكنهم إلا أن يأخذوا الدية، ونسوق إليهم الدية مهما يبلغ مقدارها^(١).

واستحسنوا هذا الرأي، وبيتوا أمرهم على ليلة موعودة، يُفقدون فيها هذا الأمر، ولكن الوحي كان أسبق منهم!

أوحى الله إلى رسوله ألا يبيت تلك الليلة في فراشه، ورتب الأمر مع صديقه ورفيقه أبي بكر، على أن يهاجر إلى المدينة بعد أن أذن الله له في الهجرة إليها، وأمر ابن عمه علي بن أبي طالب أن يبيت مكانه.

وجاء الفتيان بأسيا فهم تقطر أعينهم وقلوبهم شرًا، يريدون أن يجهزوا على مُحَمَّد بضربة واحدة، ولكن الله أراد أمرًا، وأرادوا هم أمرًا؛ فنفذ أمر الله ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

خرج النبي ﷺ وهم واقفون على الباب، وقرأ عليهم سورة «يس» إلى أن وصل إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، فكأن الله أصابهم بالعمى، فما رأوه!

وجاءهم من قال لهم: علام تقفون ومُحَمَّد قد خرج وترككم؟!!

فهاجوا وماجوا، ونظروا فقالوا: هذا هو في فراشه، فلمَّا دخلوا لم يجدوا النَّائم على الفراش «محمَّدًا»، وإنما هو «علي بن أبي طالب» الذي عرَّض نفسه للخطر، فأنجاه الله تعالى^(٢).

إنَّ الله حينما يريد أمرًا، يهيئ له الأسباب، ويزيل الموانع والعقبات.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨١/١، ٤٨٢).

(٢) المصدر السابق (٤٨٢/١، ٤٨٣).

هجرة النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه :

ذهب النبي ﷺ إلى أبي بكر، وكان قد رتب للهجرة كل شيء يمكن للبشر أن يرتبوه، ما كان في مكنته وقدرته هيأ أمره، وما لم يكن في قدرته تركه لله تعالى، لم يدع الأمور تجري في أعنتها، فليس هذا من الإسلام في شيء، الإسلام تفكير وتخطيط، وحسن تدبير وترتيب، مع التوكل على الله تعالى.

لهذا أعد الرسول الكريم الرفيق الذي يهاجر معه، وهو «أبو بكر»، وأعد الدليل الذي يدلُّهما على الطريق، وكان رجلاً مشركاً مؤتمناً اسمه «عبد الله بن أريقط»، وأعد المكان الذي يختبئان فيه حتى يهدأ الطلب ويخف، وكان «غار ثور»، وكان إلى الجنوب في غير طريق المدينة؛ تعمية على القوم وتمويهاً عليهم، وأعد من يأتي لهما بالزاد والطعام «أسماء بنت أبي بكر»، وأعد من يعفّي على آثار أسماء وهو «عبد الله بن فُهَيْرَة» الذي يأتي بالغنم يأخذ منها اللبن، ويُعفّي على الآثار بسيرها، وأعد «عبد الله بن أبي بكر» يأتي بأخبار القوم وماذا يقولون، وماذا يُفكِّرون، ينسلُّ إليهم كواحدٍ منهم يسمع منهم، ويذهب لبيت عند النبي ﷺ في أوّل ليله، وفي آخر الليل يعود وكأنّه نائم في مكة^(١).

رتب لكل أمر ما يستطيع أن يرتبه الإنسان، ولكن هناك أشياء لا تدخل في مكنة البشر، هذه تركها لله.

ولهذا حينما انطلق القوم هنا وهناك، يبحثون عن محمد ورفيقه أبي بكر، شرّقوا وغربوا، وذهبوا شمالاً وجنوباً، حتّى وصلوا إلى الغار

(١) انظر: حديث عائشة، الذي رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٥)، وانظر: سيرة ابن هشام (٤٨٥/١) وما بعدها.

بالفعل، ووقفوا على باب الغار، ولكن الله صنع لرسوله ﷺ ولصاحبه ما لم يكن يخطر بالبال.

وقف القوم على باب الغار، ولو كلف أحدهم خاطره وطأطأ رأسه، ونظر إلى من داخل الغار، لرأى طلبته التي يبحث عنها، ولكنهم لم يفعلوا! وقال أبو بكر في خشية المُشْفِق على رسوله ﷺ وعلى دعوته: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا!

فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١)؟! ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَلَّاهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ربط الله على قلب رسوله، وأنزل السكينة عليه؛ لأنه بذل ما عنده وما في وسعه، فلم يبقَ إلا ما عند الله ﷻ، وهو مُوقِن أَنَّ الله لن يتخلى عنه في مثل هذه اللحظة، لهذا قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَلَّاهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وهذا هو شأن رسل الله تعالى.

قال قوم موسى من قبل لموسى، حينما خرج مع قومه من مصر وجاء فرعون وجنوده يتبعون أثره، حتى وصل موسى إلى البحر، وصار البحر من أمامه وفرعون وجنوده من خلفه، هنالك ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، هكذا قال موسى، وقال مُحَمَّد ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَلَّاهُ مَعَنَا﴾.

وردَّ الله المشركين مدحورين، ومُحَمَّد ﷺ على مدِّ اليد منهم، إنها القدرة القاهرة!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، عن أبي بكر.

هل كان هناك عنكبوت؟ هل كان هناك حمام؟

أَمَّا الْحَمَامُ فَلَمْ تَصَحَّ فِيهِ رَوَايَةٌ قَطُّ، وَلَمْ تَأْتِ رَوَايَةٌ لَا صَحِيحَةٌ وَلَا حَسَنَةٌ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَمَّا الْعَنْكَبُوتُ فَوُرِدَتْ هُنَاكَ رَوَايَةٌ^(١)، حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهَا، وَضَعَفَهَا مِنْ ضَعْفِهَا.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا، قَدْ يَكُونُ مِنْهَا هَذَا الْعَنْكَبُوتُ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ بَيْتَهُ بِأَنَّهُ أَوْهَنُ الْبُيُوتِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخْخَذُوا مِنْ دُوبِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فَلَا عَجَبَ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَوْهَنِ الْبُيُوتِ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِغَيْرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي نَرَاهَا، لَعَلَّهُ حَفَظَهُ بِجُنُودٍ غَيْرِ مَرِيئَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

هَكَذَا نَصَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ فِي يَوْمِ الْغَارِ، وَهَكَذَا رَدَّ الْمُشْرِكِينَ خَائِبِينَ لَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا، بَذَلُوا الْأَمْوَالَ وَرَصَدُوا الْجَوَائِزَ؛ لِمَنْ يَأْتِي بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حَيَّيْنِ أَوْ مَيِّتَيْنِ، وَلَهُ دِيتَانِ: دِيَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، وَمِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ هَذِهِ كَانَتْ ثَرَوَةً عَظِيمَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَكَيْفَ بِمَائَتَيْنِ؟!

وَمِنْ هُنَا تَنَاسَرِ الْخَبَرَ فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ، كُلُّ طَامِعٍ فِي ثَرَوَةٍ عَاجِلَةٍ يَرِيدُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَاحِبِهِ.

(١) رواه أحمد (٣٢٥١)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وقال ابن كثير: وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله ﷻ لرسوله ﷺ. البداية والنهاية (٤/٤٥٠، ٤٥١)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

وعند بني مُدَلج مرَّ النَّبِيُّ ﷺ وأبو بكر؛ فبصر بهما رجل فقال: لقد لمحت أسودَةً - أشباحًا - من بعيد، أحسب إنها مُحَمَّدٌ وصاحبه.

سمع بذلك أحد فرسان بني مُدَلج: «سراقة بن مالك» ووقع في نفسه أنهما بالفعل، فأراد أن يعمي على القوم فقال: لا أعتقد، إنهما فلان وفلان. وترك القوم متظاهرين أنه ذاهب لقضاء حاجة؛ يريد ألا يشاركه أحد في الغنيمة المضمونة.

أجل، انسلَّ من القوم وعاد إلى بيته، وقال لخادمه: خُذ فرسي في خفية واخرج به إلى العراء، واحذر أن يراك أحد، وأخفى سلاحه ورمحه وخرج متسللاً مستخفياً، ثم ذهب إلى الفرس وركبه، ولحق بالنبي ﷺ^(١).

وعد النبي ﷺ لسراقة بسواري كسرى:

وأحسَّ به النَّبِيُّ ﷺ وأبو بكر، وأدركا أنه سراقة، فهما يعرفان قبائل العرب وفرسانها والطامعين منهم، فدعا النَّبِيُّ ﷺ أن يكفيه الله شرَّ سُرَاقَة؛ فساخت أقدام فرسه في الأرض، فعرف سراقة أن هذا من دعاء رسول الله ﷺ؛ فقال: ادعُ الله أن ينجيني وأنا أردُّ عنك الطلب، خُذ مني عهداً أن أردَّ عنك، وصدقه رسول الله ﷺ^(٢) وقال له: «كيف بك يا سُرَاقَة إذا ألبسك الله سِوَارِي كِسْرَى؟!» - يقول هذا وهو مطارِد مهاجر من بلده - قال: كسرى بن هُرْمُز؟! قال: «نعم»^(٣).

(١) حديث سراقة رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٦).

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٥)، ومسلم في الأشربة (٢٠٠٩)، كما رواه أحمد (١٨٤٧١) عن البراء بن عازب.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٩٧/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

تصوّروا حينما تقول الآن لواحدٍ من أعراب البادية: كيف بك إذا سكنت البيت الأبيض في أمريكا أو الكرملين في روسيا؟ هكذا كان كسرى، وهكذا كان قيصر في تلك الأيام.

وعاش سراقه وأطال الله عمره، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وفي عهد عمر بن الخطّاب جاءت الغنائم من بلاد الفرس، ومنها غنائم كسرى وتحفه الشخصية وحليه، ومنها سواراه، وتذكر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وعد رسول الله ﷺ وبشارته لسراقه بن مالك فقال: أين سراقه بن مالك؟

فقام رجل من القوم وقال: ها أنا يا أمير المؤمنين.

قال: أتذكر يوم قال لك رسول الله ﷺ كذا؟

قال: نعم أذكره ولا أنساه.

قال: فتعال ألبسك سوارى كسرى، فارفع يدك وقل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقه الأعرابي^(١)!

هكذا كان رسول الله ﷺ - والأمور مدلهمة من حوله، لا يكاد يُرى فيها بصيص - ينظر بنور الله إلى الغيب، وتنكشف له الحجب فيرى مستقبل الإسلام المشرق المضيء، وكيف يفتح الإسلام بلاد الله، وكيف ينشر فيها العدل والإحسان، وكيف تتغير الأحوال، ويجعل الله الذين استضعفوا في الأرض أئمة ويجعلهم الوارثين.

هذه أيّها الإخوة بعض ملامح الهجرة، إنّها هجرة الرسول ﷺ من أحب بلاد الله إليه، وأحب بلاد الله إلى الله، ما كان يحب أن يفارق مكّة، وما يحب

(١) انظر: الأم للشافعي (١٦٥/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

أحد أن يفارق موطنه ومسقط رأسه، ومجمع ألقائه، وملتقى أحبابه، وموطن صباه وشبابه. فكيف إذا كان هذا الموطن مَكَّةَ البلد الحرام؟!

ولكن إذا تعارضت العقيدة وتعارض حب الوطن، فالعقيدة أغلى من الوطن، والعقيدة أغلى من العشيرة، والعقيدة أغلى من الدار، ومن المال، ومن كل ما يحرص الناس عليه.

لقد هجر النبي ﷺ وطنه وتركه، وكذلك تركه أصحابه ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، هان عليهم كل شيء في ذات الله، كانوا يريدون أن يؤسسوا للإسلام داراً، ولا بد للإسلام من دار، دار مستقلة تعلو فيها كلمته، وتُحكم فيها شريعته، وتُقام فيها شعائره، ويظهر فيها سلطانه.

مجتمع المدينة المنورة:

كانت هذه الدار هي دار يثرب، هي دار الهجرة، وهي الدار التي أوى إليها النبي ﷺ وكان فيها أنصاره، وظهرت منها كتائب الرحمن، وجند الإيمان، تنطلق في الآفاق، تحارب الوثنيين واليهود وغيرهم من المبدلين لأديان الله، والمتربصين هنا وهناك.

أقام النبي ﷺ داره بعد الهجرة، أقامها على تقوى من الله ورضوان، بنى فيها المسجد، وأنشأ فيها السوق، وآخى فيها بين المهاجرين والأنصار خاصة، وبين المسلمين عامة.

أقام مجتمع الفضل، مجتمع الخير، مجتمع الحق، المجتمع الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله، ذلك المجتمع الرباني الإنساني الأخلاقي الذي جمع كل خصال الخير.

كانت الهجرة مصدر خير وبركة على الإسلام، وعلى أمة الإسلام، وكانت بداية لتاريخ هذه الأمة، وعلينا أن نستخلص منها الدروس والعبر. فهذا الدين الذي نعم في ظلاله لم يصل إلينا إلا بعد جهود وتضحيات، بذل فيها من بذل، واستشهد فيها من استشهد، أريقت دماء، وأزهقت أرواح، وبُذلت أموال، وفورقت أوطان، صنع ذلك كله المسلمون الأوائل، حتّى وصل إلينا هذا الإسلام العظيم.

يا أيُّها الإخوة، علينا أن نحافظ على هذه التركة النفيسة ولا نفرط فيها، ولا نكون كالذي يرث من أبيه أو جده تركة جمعها بكد يمينه، وعرق جبينه، وهو لم يتعب فيها، فنراه يبدها ويبعثرها ذات اليمين وذات الشمال.

نحن مسؤولون عن هذا الدين العظيم، عن هذه التركة العظيمة، مسؤولون أن نقيمه في أنفسنا، في بيوتنا، فيمن حولنا، عاملون به، وعاملون له، وداعون إليه، حتّى يتم الله نوره، وسيتمه إن شاء الله ولو كره الكافرون: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصَّف: ٩].

يقول رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»^(١).

نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسَّير (٢٧٨٣)، ومسلم في الإمارة (١٣٥٣)، عن ابن عباس.

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المُنير،
صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى
بسنته إلى يوم الدين.

أمّا بعد، أيها الإخوة:

مِمَّا يُثْلَجُ صدور المؤمنين أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقِيضُ لِهَذَا الدِّينِ مَا بَيْنَ فِتْرَةٍ وَأُخْرَى
مَنْ يُؤَيِّدُهُ وَيَنْصُرُهُ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]،
«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم،
حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(١).

ولا يمكن أن تجتمع هذه الأمة على ضلالة، وكلّما حدثت
انتكاسات، وظنَّ النَّاسُ بالإسلام الظنون، وحسبوا أنَّ بساط الإسلام قد
طُوي أو أنَّ شجرته قد ذوت، كلّما حسبوا ذلك ظهر للإسلام قوّة في

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٦)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

وقد روي الحديث بألفاظ مختلفة عن عدد من الصحابة في الصحيحين أو أحدهما أو كتب السنة الأخرى: عن المغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وجابر، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وقرة بن إياس. انظر: الجامع الصغير وزيادته، الأحاديث من (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦).

مكان جديد وأرض جديدة: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان:

لقد حضرت في هذا الأسبوع المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان^(١)، في الخرطوم، ورأينا ما يبشر بالخير، رأينا توجُّهاً صحيحاً إن شاء الله نحو الإسلام، رأينا القوم مُصمِّمين على أن يحيوا بالإسلام، وأن يحيوا للإسلام.

الحمد لله لا زال الإسلام بخير، ولا زالت شعوب هذه الأمة بخير.

ليس هناك شيء يعبر عن ضمير هذه الأمة إلا «الإسلام».

لقد خرجت مسيرة في الخرطوم قوامها نحو مليون شخص، خرجت في الحرِّ والعطش والظمأ والزحام، لا ترفع إلا المصاحف، ولا تهتف إلا بـ«لا إله إلا الله والله أكبر»، «الإسلام منهاجنا، والقرآن دستورنا وأساس حياتنا».

هذا والحمد لله ممَّا يُبشِّرنا بأننا على الطريق، وأننا لا بدَّ عائدون إلى أصولنا وجذورنا، وأن لا شيء يجمع كلمتنا إلى الهدى، وقلوبنا على التقى، وعزائمننا على عمل الخير وخير العمل: إلا «الإسلام».

وقد أعجبنى أن القوم يُسمُّون هذه المرحلة: «مرحلة التحوُّل نحو الإسلام»، أي أنهم لا يعتقدون أنهم طبقوا الإسلام مائة في المائة (١٠٠٪)، ولكنهم يتحوَّلون نحو الإسلام، وإذا صدق العزم وضح السبيل، ومن سار على الدرب وصل.

(١) كان ذلك في عهد الرئيس جعفر نميري.

الحمد لله الذي هدى إخواننا لهذا، والحمد لله الذي جعل في المسلمين من يؤيد هذا الإسلام وينصره.

ونسأل الله تعالى أن ينتشر هذا النور في كل مكان، وأن تعود شريعة الإسلام حاکمة في أرض الإسلام، كل أرض الإسلام إن شاء الله.

أيها الإخوة، في هذا الأسبوع تأتي عاشوراء، وقد كان النبي ﷺ يصوم عاشوراء، ويحث على صيامه، ويقول: «صيام يوم عاشوراء إنني أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»^(١).

وقبل أن يموت قال: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع»^(٢)، أي: مضمومًا إلى العاشر.

يريد أن يصوم تاسوعاء وعاشوراء؛ لأن اليهود كانوا يصومون اليوم العاشر، فأراد أن يتمييز عنهم بضم التاسع إلى العاشر.

فاحرصوا على صيام هذين اليومين، فما أكثر ما نقع فيه من ذنوب، وما أحوجنا إلى التكفير والتطهير.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) رواه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، كلاهما في الصوم، عن أبي قتادة.

(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٣٤)، وأحمد (١٩٧١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.



اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

عباد الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].





الرياضة في الإسلام

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

جاء الإسلام ديناً شاملاً متوازناً، جاء يُنظِّم شؤون الدُّنيا والآخرة، ويُعنى بحياة الفرد والمجتمع، يهتمُّ في شأن الفرد بالجسم والروح والعقل؛ لأنَّه يريد المسلم القوي في جسمه، القوي في عقله، القوي في رُوحه وإيمانه، «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١).

إذا كانت هناك بعض الأديان لا تهتمُّ بالجسم الإنساني، ولا تهتمُّ إلا بالروح - بل بعضها يقوم على تعذيب البدن؛ لتصفو الروح وترقى - وتُحرِّم على الجسد الطيبات من الرزق ومن زينة الله، فإنَّ الإسلام يعارض هذه الوجهة ويقول: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢] من حرَّم هذه الزينة وحرَّم الطيبات وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿ [الأعراف: ٣١، ٣٢] من حرَّم هذه الزينة وحرَّم الطيبات من الرزق على الإنسان؟ ومن ذا الذي يدَّعي أنَّ له حقَّ التحريم غير الله سبحانه؟

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

جاء الإسلام يُعنى بالجسم الإنساني، وسمع الناس لأوّل مرّة في جوّ الدّين هذه الكلمة النبويّة: «فإنّ لجسدك عليك حقّاً»^(١)، من حقّ جسدك عليك أن تقوّيه إذا ضعف، أن تُطعمه إذا جاع، أن تسقيه إذا ظمى، أن تُنظّفه إذا اتّسخ، وأن تُريحه إذا تعب، أن تُعالجه إذا مرض، بل أن تقيه ما استطعت من الأمراض.

هكذا أراد الإسلام أن ينشئ أمة قويّة، ولا يمكن أن تكون الأمة قويّة إلا إذا كان أفرادها أقوياء، فمن الأفراد يتكوّن المجتمع، كما يتكوّن البناء من اللبّات.

أيمكن أن يوجد بُنيانٌ قويٌّ من لبّاتٍ خاويةٍ ضعيفة؟!!

لا يمكن، لهذا كان حرص الإسلام على إنشاء الفرد الصّالح القويّ في كلّ ناحيةٍ من النواحي، ومنها الناحية الجسميّة.

يريد الإسلام أن يُربّي الإنسان من الناحية الجسميّة على ثلاثة عناصر أساسيّة:

العنصر الأوّل الصّحّة والعافية والسلامة من الأمراض:

أن يكون الإنسان معافى في بدنه، كما جاء في الحديث: «من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوتٌ يومه، فكأنّما حيزت له الدُّنيا بحذافيرها»^(٢).

عافية البدن أوّل مُقوّمات الحياة الآمنة الهانئة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤١٤١)، كلاهما في الزهد، وحسنه

الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عن عبيد الله بن محصن الأنصاري.

وكان النَّبِيُّ ﷺ يسأل الله العفو والعافية ويقول: «سلوا الله العفو والعافية؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(١).
ويدعو الله في قنوته فيقول: «وعافني فيمن عافيت»^(٢).
ويقول بين السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وارْحَمْنِي، وعافني، واهدني، وارزُقني»^(٣).

ومن أجل هذا شرع الإسلام النِّظَافَةَ، وأوجب الطهارة في الصلاة: طهارة الثوب والبدن والمكان، وهذه هي الطهارة الحِسِّيَّة، الطهارة من الخبث.

وهناك طهارة أخرى، هي الطهارة من الحدث، وهي الطهارة الحُكْمِيَّة، أوجبها بالغسل وبالوضوء؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يِعَافِيَ إِذَا تَعَرَّضَ لِلْأَقْدَارِ بِاسْتِمْرَارٍ، وَلَمْ يَنْظِفْ نَفْسَهُ، حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا: يَغْسِلَ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»^(٤) إذا لم تأتِ الظروف الطَّبِيعِيَّة وتوجب عليه الغسل بالجنابة أو نحو ذلك، فينبغي في كلِّ أسبوع مرَّة على الأقلِّ، يوم يغسل فيه رأسه وجسده.

هذا في الوقت الَّذِي كَانَ الرِّهْبَانُ فِي الْعَصُورِ الْوَسْطَى فِي أَوْرَبَا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْقَذَارَةِ، وَكَلَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ أَقْدَرَ ظَنَّ أَنَّهُ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ!

- (١) رواه أحمد (٣٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٣٢)، عن أبي بكر.
- (٢) رواه أحمد (١٧١٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤) وحسنه، والنسائي (١٧٤٦)، وابن ماجه (١١٧٨)، أربعتهم في الوتر، عن الحسن بن علي.
- (٣) رواه أحمد (٢٨٩٥)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، كلاهما في الصلاة، وقال النووي في المجموع (٤٣٧/٣): إسناده جيد. عن ابن عباس.
- (٤) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

حتَّى قال بعضهم: رحم الله الراهب فلاناً؛ لقد عاش خمسين سنة، لم يقترب إثم غسل الرجلين!

وقال آخر من هؤلاء: وا أسفاه؛ لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم طوال عمره لا يبيل أطرافه بالماء، فأصبحنا في زمن يدخل فيه الناس الحمامات^(١)!

وإنما دخلوا الحمامات عدوى من المسلمين، المسلمون في الأندلس كان عندهم في قرطبة مئات الحمامات، وهؤلاء ما كانوا يعرفون هذا.

حقٌّ على الإنسان من ناحية تكوينه البدني الصحيح أن يُنظف جسمه، وأن يتبعد عن كل ما يجلب عليه الأمراض: البول في الماء الراكد، البول في الطريق، البول في الظل، وفي موارد الماء.

الإسلام اعتبر هذه الأشياء - التي تجلب على الناس الأمراض المُعدية - من اللواعن الثلاث التي تجلب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(٢).

جاء الإسلام يُعلِّم الإنسان المسلم الذوق الراقي، فلا يليق به أن يبول في الطريق، أو في موارد المياه، أو في الظل، أو نحو ذلك، فهو يحافظ على صحته من ناحية، ويُعلِّمه الذوق، ويُعلِّمه المروءة والترفع والرُّقي من ناحية أخرى.

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ للعلامة أبي الحسن الندوي ص ١٥١، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة.

(٢) عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملائع الثلاث: البراز في الموارد [أي: مجاري الماء وطرقه]، وقارعة الطريق، والظل». رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١).

حَرَّمَ الإسلام على المسلم أن يشرب المُسكِرات أو يتناول المُخَدَّرَات؛ فقد «نهى النبي ﷺ عن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتَرٍّ»^(١).

بل نهى عن كلِّ ما يضر بالبدن: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، «لا ضرر ولا ضرار»^(٢)، أي: لا تضر نفسك ولا تضارَّ غيرك.

ومن هنا حرَّمنا التدخين^(٣)؛ لأنَّ الإنسان يضر نفسه بنفسه، يشتري ضرره بماله!

(١) رواه أحمد (٢٦٦٣٤)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره دون قوله: «ومفتر». وأبو داود في الأشربة (٣٦٨٦)، والطبراني (٣٣٧/٢٣)، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٤٤/١٠)، عن أم سلمة. وقال المناوي في فيض القدير (٣٣٨/٦) برقم (٩٥٠٧): قال الزين العراقي: إسناده صحيح. وذكر المناوي أنَّ عجميًّا حضر القاهرة وطلب دليلاً لتحريم الحشيش، وعقد له مجلس حضره أكابر علماء العصر، فاستدل الزين العراقي بهذا فأعجب من حضر. فيض القدير (٣٣٨/٦)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

(٢) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرَّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس. ورواه الدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري. وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسقط أبا سعيد. وله طرق يقوي بعضها بعضًا. قال ابن الملقن: وصحَّحه إمامنا - أي الشافعي - في حرملة. خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث: وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنَّه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. انظر: جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢)، (٢١١)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (١/٦٥٤ - ٦٦٩) فتوى: أحكام التدخين في ضوء النصوص والقواعد الشرعية، نشر دار القلم، الكويت، ط ٥، ١٠١٤هـ - ١٩٩٠م، وخطب الشيخ القرضاوي (٢٤٥/٢ - ٢٦١)، خطبة: التدخين آفة ضارة وهو حرام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٦، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

ينبغي للإنسان أن يحافظ على نفسه، لا ينبغي أن يسهر طويلاً فيُضني نفسه، ويُضني جسده، وهو مَطِيَّتُهُ، ويصبح في الصباح متعباً مكدوداً مهدوداً، حتّى لو كان هذا السهر في الطاعة والعبادة.

نصح النَّبِيُّ ﷺ الصحابي الذي جار على حقّ نفسه وأهله ومن حوله، بالتوغل في عبادة الله تعالى، والمبالغة في طاعته، نصحه أن يقتصد في صيامه وقيامه وقراءته، قائلاً له: «إِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا [أي: في الراحة]، وَإِنَّ لَعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا [أي: في النوم]، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ [لزوجك] عَلَيْكَ حَقًّا [أي: في المؤانسة والإمتاع]، وَإِنَّ لَزَوْرِكَ [أي: زوارك] عَلَيْكَ حَقًّا [أي: في القرى والإكرام]»^(١) فعلى الإنسان أن يعطي كلّ ذي حقّ حقه.

يجب على الإنسان أن يحافظ على صحّة جسمه وعافيته وسلامته. هذا هو العنصر الأوّل الذي جاء به الإسلام.

العنصر الثاني المرونة والقدرة على الحركة والسرعة:

أن يكون الإنسان ذا جسم مرن مُتَحَرِّك قادر على أداء الواجبات الدنيّة والدنيويّة.

إنّ الإسلام أوجب علينا واجبات دينيّة متنوعة: أوجب علينا الصلوات الخمس، يصلّيها الإنسان ما استطاع في المسجد، يغالب الكسل، ويغالب الهوى، ويذهب إلى المسجد ويصلي، هذه تحتاج إلى قدرة جسميّة.

وصوم رمضان من كلّ عام هو لون من الجوع الإجباري، وهو يحتاج أيضاً إلى قوّة جسميّة.

(١) سبق تخريجه ص ٣٢.

وفي الحج: الإنسان كأنما هو كشّاف أو جوّال، يبيت كيفما اتفق، ويمشي كيفما اتفق، هذا يحتاج إلى قوّة جسميّة.

وفي الجهاد: إذا اعتدي على دينه أو أرضه أو عرضه، فيجب أن يدافع. كيف يدافع الإنسان الضعيف؟

لا بدّ أن يكون قويّاً: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومن القوّة التي يجب أن تُعد: قوّة الأجسام.

ولهذا كان النّبِيُّ ﷺ قوي الجسم، وصارع رجلاً عُرف بالمصارعة اسمه رُكّانة فصرعه^(١)، وكان يركب الفرس مُعْرُورًا (ليس عليه سَرْجٌ ولا لِحَافٌ)^(٢). وكان في الصّحابة العدّاءون والراكضون، وكلّهم يتقنون الفروسيّة، وركوب الخيل، ورمي السهام، وكانوا يلعبون ألعاب الفروسيّة، يُعَدُّون أنفسهم للجهاد، هذه هي الأمّة الحقيقيّة.

لم يكن في الصّحابة مثل هؤلاء المتدينين المتماوتين. رأى سيّدنا عمر رجلاً متماوتًا في صلاته، فقال له: يا هذا، ارفع رأسك؛ فإنّ الخشوع في القلوب، ليس الخشوع في الرقاب^(٣).

(١) رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقائم.

كلاهما في اللباس، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣٧٨)، عن محمد بن علي بن ركانة. (٢) كما في حديث أنس، المتفق عليه: قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا. وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف فقال: «لقد وجدته بحرًا» أو «إنّه لبحر». رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧).

(٣) الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢٨٠/١)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة، لبنان، ط ٢.

ورأت إحدى الصحابيَّات بعض الشَّباب يمشون متهاونين متهالكين
متماوتين، فسألت: من هؤلاء؟

قالوا: هؤلاء نسَّاك (أي: عبَّاد).

قالت: كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا تكَلَّم أسمع، وإذا ضرب أوجع،
وكان هو الناسك حقًّا^(١).

وهناك واجبات دنيويَّة أوجبها الإسلام: السعي على المعيشة،
والسعي على العيال، وهذا يحتاج إلى قوَّة، فلا بدَّ للإنسان أن يكون قويًّا
قادرًا على الحركة.

ومن هنا شرع الإسلام كلَّ الرياضات المشروعة التي تُقوِّي الجسم:
السباحة، والرماية، وركوب الخيل.

وقد رُوِيَ في بعض الأحاديث والآثار: «حقُّ الولد على الوالد أنْ
يُعَلِّمه الكتابة والسَّباحة والرَّماية»^(٢).

وجاء عن عمر: علِّموا أولادكم السباحة والرماية، ومُرِّوهم فليثبوا
على ظهور الخيل وثبًّا^(٣).

هذه أنواع من الرياضات كانت معروفة عندهم.

وفي عصرنا وجدت رياضات، وأصبحت الرياضة علمًا وفنًّا.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٨/٤٤)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار
الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) رواه البيهقي في السبق والرمي (٢٦/١٠)، وضعفه، عن أبي رافع مولى النبي ﷺ.

(٣) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥)، تحقيق مشهور حسن محود
سلمان، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

أصبح هناك معاهد للرياضة - متوسطة وعالية - تُعلِّم النَّاس كيف يروضون أنفسهم، وخصوصًا في عصرنا، بعد أن أصبح النَّاس لا يكادون يمشون. كان النَّاس في الزمن الماضي يمشون لحاجاتهم أحيانًا وأحيانًا، أمَّا النَّاس الآن فيركبون لأي غرض، فهم يحتاجون إلى تمارين رياضية تقوي أجسامهم؛ حتَّى لا يبتلوا بالأمراض من كثرة الراحة.

الإسلام لا يرفض أيَّ لعبة من الألعاب؛ بشرط عدم المبالغة؛ فالمبالغة تفسد الأمور كلّها، إذا زاد الشيء عن حده انعكس إلى ضده! لا بأس أن يلعب النَّاس كرة القدم، أو كرة الطائرة، أو كرة السلة، أو كرة التنس، أو أي نوع من الأنواع، ولكن على ألا تطغى الرياضة على الواجبات الأخرى، ولا تصرف النَّاس عن ذكر الله وعن الصلاة، وعلى ألا ينقسم النَّاس بعضهم على بعض فيتحزبوا، وتصبح الكرة وثنا يُعبد. هذا ما لا ينبغي.

والرياضة ليست خاصّة بالرجال، يمكن للنساء أن يلعبن الرياضة، ولكن بضوابط شرعيّة وقواعد مرعيّة.

نحن لسنا أمّة سائبة، لسنا كالغربيين، الغربيون لهم دينهم ولنا ديننا، هم ليس عندهم أيُّ تحفُّظ.

ولكن نحن إذا أردنا أن نُعلِّم المرأة الرياضة؛ فلا بدّ أن يكون ذلك في نواذٍ خاصّة بها.

في جامعة «قطر» هناك قسم للرياضة، فيه أنواع من الرياضات، ولكنه لا يدخله رجل، لا يدخله إلّا النساء.

في أيام المؤتمر الإسلامي: مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الذي عُقد بالدوحة، زارتني مجموعة من النساء الإيرانيات، وقالوا: إنَّ عندنا رياضة نسائية، للنساء فقط، ولا تظهر الصور في الصحف، ولا في الإعلام، ولا في التلفزيون؛ لأنَّ من آفة الرياضة النسائية الإعلام عنها بالصور ونقلها إلى العالم في الخارج؛ ليتفرج النَّاس عليها وهي تسبح، أو تلعب «الجمباز» وغيرها.

وهذا لا يجوز.

لا مانع أن تلعب المرأة الرياضة، ولكن بضوابطها.

لم تعد المرأة السمينة المُتَرْهِّلَة هي المطلوبة في عصرنا، ولا هي المطلوبة في الإسلام.

المرأة المطلوبة هي القويَّة الجسم، القادرة على خدمة بيتها، وخدمة زوجها، وخدمة أولادها، وخدمة مجتمعها، وخدمة دينها، والجهاد في سبيله عند اللزوم.

رأينا من الصحابيَّات ومن أمَّهات المؤمنين - في بعض الغزوات - من شاركن في الجهاد، بخدمة المقاتلين، وإسعاف الجرحى، وسقاية المقاتلين، ومن شاركن بالقتال في بعض الأحيان.

كانت أم عمارة نسيبة بنت كعب وأم سليم الرُّمَيْصاء، وأمثالهما من الصحابيَّات يقاتلن في غزوة أحد، ونظر النَّبِيُّ ﷺ إلى نسيبة بنت كعب وهي تقاتل؛ فدعا لها، وقال: «لمقام نسيبة بنت كعب من مقام فلان وفلان وفلان»^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤١٣/٨).

لا بدّ للمسلم أن يكون قادرًا على الحركة، ومن هنا عليه أن يمارس أنواعًا من الرياضة التي يحتاج إليها، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. هذا هو العنصر الثاني.

العنصر الثالث: الخشونة:

وهذا خاصّ بالرجال، لا بدّ أن تُربّي الشّباب على الخشونة؛ فليست الحياة كلّها وردًا بلا شوك، الحياة ورود وأشواك، الحياة نسّمات وأعاصير، الحياة حلؤ ومرّ.

فلا بدّ أن يؤهّل الإنسان نفسه لملاقاة الحياة كما هي، يستطيع أن يجوع عند اللزوم، وأن يعطش عند اللزوم، وأن يتحمّل الآلام عند اللزوم. من أجل ذلك فرض الإسلام الصوم شهرًا في كلّ سنة، ليُدرب المسلم على أن يجوع ويعطش، وقد تقتضي سنن الحياة هذا رغما عنه. لا بدّ للإنسان أن يتحمّل، ولا بدّ أن يدرّب على الخشونة، كما جاء: «تمعدّدوا واخشوشنوا»^(١).

تمعدّدوا: كونوا كمعدّد بن عدنان، الذي كان رجلاً خشناً قويّاً. اخشوشنوا؛ فإنّ النّعمة لا تدوم، النعيم والرفاهية لا يدومان باستمرار، دوام الحال من المحال، قد تتغير الدُّنيا ويتغير الزمان، والدهر قُلْب ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فمن عاش طول عمره على الرفاهية وعاش على التّنعيم: لا يستطيع أن يواجه الحياة إذا تغيرت، إنّما يواجهها إذا عوّد نفسه الخشونة، وعوّد نفسه ركوب المصاعب.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الأدب من مصنفه (٢٦٨٥٤)، من قول عمر بن الخطاب.

هذه هي العناصر الثلاثة التي يريد الإسلام لتربية الجسم البشري، وتربية جسم الإنسان المسلم، فهو أمر لا بدّ منه لتكوين الشخصية المسلمة. الشخصية المسلمة: جسم قوي، وعقل قوي، وروح قوي.

هذه هي معالم الشخصية التي يريد الإسلام.

نحن نرحب بالرياضة، ونرحب بتنويع الرياضة، ونرحب بالرياضيين من أيّ بلدٍ كان، ولكننا لا نقبل باسم الرياضة وبدعوى الانفتاح على رياضيّ العالم: أن نخسر أنفسنا، ونخسر قيمنا.

المجتمع «القطري» مجتمع عربي مسلم أصيل:

ينبغي أن نعرّف ضيوفنا من الرّياضيّين وغيرهم: أنّنا قومٌ لنا ديننا، قومٌ تُوجّههم عقيدة، وتحكمهم شريعة، وتضبطهم قيم وأخلاق، وتسودهم آداب وتقاليد.

فلا بدّ لمن يتعامل معنا أن يحترم عقائدنا وشرائعنا، وقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا.

هناك تقاليد صنعها العرف يمكن أن تتغيّر، وهناك تقاليد صنعها الدّين لأهداف يُحقّقها، وهذه لها ثباتها، ولها حرمتها، ولها قُدسيّتها، لا يجوز أن نُفَرِّط في أصولنا، لا يجوز أن نُفَرِّط في ركائز حياتنا المُشخّصة لنا، المُميّزة لهويّتنا عن العالمين.

نحن أمةٌ مُتميّزة، الله جعلها خير أمةٍ أخرجت للنّاس، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فلسنا أذناباً للغرب ولا للشرق، لسنا أسرى لأحد، نحن أسرى ديننا فقط، نحن لا نتقيد إلّا بأحكام ربنا وشريعة ربنا ﷻ.



ولذلك أقول للإخوة الذين يُشرفون على أنواع الرياضات المختلفة: إياكم أن تخلطوا بين الرياضة والتسيب، فالرياضة شيء، والتسيب شيء آخر، فليس من الرياضة إقامة حفلات راقصة، ترقص فيها راقصة شرقية عارية أو شبه عارية، كما رأينا في الصورة التي نُشرت في بعض الصحف القطرية، وأسف لها كلُّ ذي دين في هذا البلد، غيرة على هذا البلد أن ينجرَف إلى ما انجرَف إليه غيره.

لا يجوز لنا - ما دنا مسلمين مُعْتَزِّين بإسلامنا - أن نُقلد قوماً هم مختلفون عَنَّا، الزنى عندهم شيء طبيعي، بل الشذوذ الجنسي - وهم لا يُسمُّونه شذوذاً جنسياً - عندهم أمرٌ مشروع!

هم يقولون: لماذا لا يستمتع الذكر بالأنثى؟!

بل لماذا لا تستمتع الأنثى بالأنثى ويستمتع الذكر بالذكر؟!

أيُّها الغربيُّون، لكم دينكم ولنا ديننا:

نحن لو سرنا في ركاب هؤلاء فلن يقفوا عند حدٍّ، إنَّك ستقدم لهم الخمر من باب الانفتاح والتشجيع، ولكنَّهم لا يكتفون بالخمر، سيقولون لك: الخمر لا تتمُّ إلَّا بامرأة، فأين الأنيس؟ وأين الجليس؟! فربَّما استجبت لهم وجئت بامرأةٍ من بنات جنسهم، استوردتها من أوروبا أو أمريكا، فهنا يقفزون قفزة أخرى ويقولون: إنَّ عندنا تشبعا من هؤلاء، إنَّما نريد من بنات جنسكم! لا يكتفون بالأوروبية ولا بالأمريكية، إنَّهم يريدون مذاقا جديداً وطعماً جديداً ولونا جديداً! لا تعجبوا لهذا، إنَّ الشرَّ إذا انفتح بابه لا يقف عند حدٍّ!

ولهذا ينبغي أن نقف في وجه الشرِّ، وأن ننبه الغافلين، ونُذَكِّر

الناسين، ونوقظ النائمين، ونُعَلِّم الجاهلين، وأنا أعرف من قادة هذا البلد - من أميره ومن المسؤولين فيه - أنهم حريصون على أن يبقى هذا البلد مُتَمَيِّزًا بقيمه وبدينه، وبعقيدته وبأخلاقياته.

فلا يجوز أن يأتي آتٍ - زيد أو عمرو من الناس - ليحرف هذا البلد إلى ما لا يجوز الانجراف إليه.

هذا لا ينبغي.

الغربيون لهم فلسفة خاصّة، منبثقة من فلسفة الحضارة الغربيّة المعاصرة، وهي تقوم على أمرين أساسيين: المادّيّة في الفكر، والإباحيّة في السلوك.

ونحن نرفض الأمرين معًا:

لا نقبل المادّيّة؛ لأننا نؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمُحَمَّد رسولًا.

ولا نقبل الإباحيّة؛ لأننا نلتزم بقيم هذا الدّين وبأخلاقياته.

ومن أجل هذا رأينا هذا البلد حريصًا على أن يكون هناك مدارس للبنين ومدارس للبنات، ومبنى لجامعة البنين، ومبنى لجامعة البنات، وحريصًا على هذا في أمور كثيرة، ممّا يدلُّ على أنّه مُتَمَسِّكٌ بدينه وبقيمه.

الغربيون يؤمنون بالمادّيّة في الفكر، والإباحيّة في السلوك، فليؤمنوا بما شاؤوا، ولكننا نقول لهم: إنّ هذا البلد بلدٌ عربيٌّ مسلمٌ أصيلٌ، مستمسكٌ بالعروة الوثقى لا انفصام لها، فلا يجوز أن ننحرف به إلى ما لا يحبُّ الله ويرضى.

والله لن نسعد في الدُّنيا ولا في الآخرة، ولن نعزَّ ونقوى، ولن تحقق لنا الآمال؛ إلَّا إذا استمسكنا بهذا الدين، بالعروة الوثقى، لا انفصام لها. وبغير هذا سنظلُّ ندور وندور، ونسير ونسير، كالحمار في الرَّحَى، أو كالثور في الساقية، يدور ويدور، والمكان الَّذي انتهى إليه هو الَّذي ابتداءً منه.

وصدق ابن الخطاب حينما قال: نحن كنا أذلَّ قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العِزَّةَ بغيره أذلنا الله^(١).
ادعوا الله تعالى يستجب لكم، واستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

سألني كثير من الإخوة عمّا نشرته الصحف منسوباً إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حول قضية الحجاب في فرنسا^(١).

شيخ الأزهر وقضية الحجاب في فرنسا:

وقلت للإخوة الذين سألوني: إنني لم أتبين ممّا نُشر في الصحف ماذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُ؛ لأنّ بعضها قالت: إنّ شيخ الأزهر قال لوزير الداخلية الفرنسي الذي كان يزور مصر: إنّه لا يجوز لفرنسا أن تجبر المسلمين على أمر يخالف عقيدتهم.

هكذا قرأت عنواناً في بعض الصحف، وهذا هو المظنون من مثله، وهو الذي نقوله ونكرره دائماً.

وقالت صحف أخرى: إنّه قال: إنّ المسلمين في فرنسا عليهم أن يلتزموا بقوانين البلاد، وإلا فليرحلوا عنها!

قال ذلك في شأن الكلام عن حجاب الطالبات المسلمات.

وأنا في الواقع لا أحب أن آخذ الكلام من الصحف؛ لأنّ الصحف كثيراً ما تختصر الكلام، أو تنقله بالمعنى فتحرفه.

وهذا ما شاهدته فيما يؤخذ عني أحياناً من تصريحات، كلمة صغيرة ينقلها الصحفي بمعنى من عنده فيغير المعنى الذي أردته.

(١) انظر: خطب الشيخ القرضاوي (١٩٥/٢ - ٢١٠)، خطبة: معركة الحجاب في فرنسا.

ولذلك نناقش القضية من حيث هي: قضية الحجاب في فرنسا.

كنّا نود أن يقول الشيخ لهذا الوزير ولأمثاله: ما يضركم - أيها الفرنسيون - أن تلبس فتاة مسلمة خماراً على رأسها؟ هل يضر هذا بالدولة الفرنسية؟ أصيب هذه الدولة في أمر من أمورها؟ وكما قال الناس في مصر: (واحد شاييل ذقنه وأنت تعبان ليه)! واحدة تلبس غطاء على رأسها؛ ما الذي يزعجك في هذا؟!

كان ينبغي أن يقول: إنّ الحجاب فريضة إسلامية، ويجب على المسلمة أن تؤدّي ما فرض الله عليها، وأنّ هذا أمر أجمع عليه المسلمون، فلا تفتنوا المسلمة عن دينها، وتوجبوا عليها أن ترتكب ما حرّم الله عليها، وتترك ما أوجب الله عليها.

كنّا نود أن يُقال هذا؛ لأنّ الحجاب معناه: أن تلبس المرأة ما يغطي الجسم ما عدا الوجه والكفين، وبعض العلماء أضاف القدمين. هذا أمر واجب، فلماذا يُفرض على الطالبة المسلمة أن تخالف دينها، وترتكب ما حرّم الله عليها؟!

والقول بأنّ من لم يعجبه ذلك، فعليه أن يترك البلد، لو صحّ هذا بالنسبة للمقيمين، كيف يصحّ هذا بالنسبة لمن يحمل الجنسية الفرنسية؟ هناك حوالي مليونين يحملون الجنسية الفرنسية، بعضهم أصليون وبعضهم جزائريون أو مغاربة أو توانسة أو غير ذلك، وبعضهم ولد في فرنسا، ولا يعرف كلمة في اللغة العربية؛ لأنّ أباه من عشرات السنين في فرنسا، ولعلّ جدّه كان في فرنسا، ويحمل الجنسية الفرنسية!

فماذا يُقال لهؤلاء الذين يحملون الجنسية الفرنسية؟ أيتركون بلدهم؟ هذا أمر لا يجوز أن يُقال.

إنّما الذي يُقال: إنّ العلمانية الحقيقيّة هي التي تقف موقفًا محايدًا من الدين، العلمانية لا تؤيد الدين ولا ترفضه، لا تواليه ولا تعاديه.

هذا هو شأن العلمانية، ليست مع الدين ولا ضدّ الدين، إنّها تدع الناس وما اختاروا لأنفسهم.

الدستور الفرنسي نفسه قام ليحمي الحريات ويوطدها، وفرنسا تزعم أنّها أم الحريات، وأنّ أم الثورات قامت فيها! فكيف تفرض على الإنسان ما يُنافي حريته الدّينيّة، وحرّيته الشخصيّة؟!

حرية الإنسان الدّينيّة أن يلتزم بدينه:

وحرّيته الشخصيّة: أن يتصرف في حياته بما يروق له، وما يختاره لنفسه.

وإذا كان هناك من تلبس القصير ولا يقول لها أحد كلمة نقد أو اعتراض؛ لأنّ هذا من حرّيتها الشخصيّة، فلماذا لا يقف نفس الموقف من المحتشمة، التي تلبس الطويل، أو تغطي الرأس، فما يضيركم منها؟

هذا هو الذي ينبغي أن يُقال.

أمّا ما سمعناه فهو أمر غريب.

نسأل الله أن ينيّر لنا الطريق، وأن يهدينا جميعًا سواء السبيل.

اللهم هبّ لنا من أمرنا رشداً.

اللهم افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام.

اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، وانصرنا على الصليبيين الكائدين الحاقدين، وانصرنا على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على الملاحدة الجاحدين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين.

اللهم ردّ عنا كيدهم، وفلّ حدهم.

اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم أيد إخواننا المجاهدين في فلسطين، وأيد إخواننا المجاهدين في لبنان، وأيد إخواننا المجاهدين في كشمير، وأيد إخواننا المجاهدين في السودان، واجمع كلمة إخواننا في أفغانستان على الحق والهدى، وإخواننا في الصومال، وإخواننا في الجزائر، وإخواننا في سائر بلاد الإسلام.

اللهم اجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، واجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأحسن عاقبتهم في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سحاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.



اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من
لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





هدم مسجد «بابري» في الهند^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:
قُدِّرَ عَلَيَّ جِيلُنَا هَذَا أَنْ يَعِيشَ مَآسِي الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
وَلَا أُدْرِي: أَكَانَ مِنْ حَسَنِ حِظْنَا أَمْ مِنْ سَوِئِهِ أَنْ عَصَرْنَا يَسْمَى عَصْرَ
الِاتِّصَالِ وَالِاقْتِرَابِ؟! حَتَّى وَصَفَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ الْعَالَمِ بِأَنَّهُ قَرِينَتُنَا الْكُبْرَى!
لَا يَحْدُثُ حَادِثٌ فِي مَشْرِقٍ أَوْ مَغْرِبٍ، فِي شِمَالٍ أَوْ جَنُوبٍ، إِلَّا وَعَرَفَهُ
النَّاسُ بَعْدَ لَحْظَاتٍ، وَكَالَاتِ الْأَنْبَاءِ تَطَيَّرَ الْحَادِثُ بِالصَّوْتِ وَبِالصُّورَةِ.
وَلِهَذَا فَنَحْنُ نَرَى مَآسِي الْمُسْلِمِينَ وَنَتَابَعُهَا، نَسْمَعُهَا بِأَذَانِنَا،
وَنُشَاهِدُهَا بِأَعْيُنِنَا، كَأَنَّا نَعِيشُهَا.

(١) كَانَ ذَلِكَ فِي السَّادِسِ مِنْ دِيَسَمْبَرِ عَامِ ١٩٩٢م، وَفِي مَدِينَةِ «أَيُودْهِيَا» بِشِمَالِ الْهِنْدِ عَلَى أَيْدِي مُتَطَرِّفِينَ هِنْدُوسَ، وَقَدْ أَدَّى تَدْمِيرَ الْمَسْجِدِ إِلَى أَعْمَالِ عَنَفٍ دِينِيَّةٍ أَوْقَعَتْ أَلْفِي قَتِيلٍ، وَشَوَّهَتْ سَمْعَةَ الْهِنْدِ. وَكَشَفَتْ التَّحْقِيقَاتُ عَنْ تَوَرُّطِ عِدَدٍ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْمَسْئُولِينَ الْكِبَارِ مِنَ الْهِنْدُوسِ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ: وَزِيرَ الدَّاخِلِيَّةِ لَالُ كَرِيْشْنَا أَدْفَانِي، وَوَزِيرَ الرِّيَاضَةِ أُوْمَا بَهَارْتِي، وَوَزِيرَ تَنْمِيَةِ الْمَوَارِدِ الْبَشَرِيَّةِ مَوْرَلِي مَانُوَهَارُ جَوْشِي، وَلَا تَزَالُ لَجْنَةُ التَّحْقِيقِ الرَّسْمِيَّةُ تَحْتَفِظُ بِصُورِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ مَسْجُودَةً عَلَى أَشْرَاطِ الْفِيْدِيُو وَهُمْ يَهْتَفُونَ لِهَدْمِ الْمَسْجِدِ. صَحِيفَةُ أَخْبَارِ الْخَلِيجِ الْبَحْرِيَّةِ، الْعَدَدُ (١٢٩٤)، ١١ رَمَضَانَ ١٤٢١هـ - ٧ دِيَسَمْبَرِ ٢٠٠٠م، وَرِسَالَةُ الْإِخْوَانِ، الْعَدَدُ (١٦٩)، ٢ رَمَضَانَ ١٤٢٠هـ - ١٠ دِيَسَمْبَرِ ١٩٩٩م.

فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عاش في هذه الهموم،
همًّا بعد همٍّ، ومأساة بعد مأساة!

لم نفرغ من مأساة البوسنة والهرسك، لم نفرغ من مأساة فلسطين
والمسجد الأقصى - المأساة المزمنة الدائمة، قضية المسلمين المركزية
الأولى - لم نفرغ من مأساة الصومال، لم نفرغ من مأساة كشمير وجامو،
لم نفرغ من مآسي الجائعين الذين يهلكون جوعًا في بلاد شتى.

مآسي وكوارث معظمها في بلاد المسلمين:

حيثما فتحت المذيع، أو شاهدت التلفاز، وجدت أخبار المسلمين
تحزُّ في القلب حزًّا، تصيب القلب في أعماقه، إذا كان لنا قلوب.

أحدث المآسي - وليست بحديثة - هي مأساة مسجد «بابري» بالهند،
المسجد الذي هدمه الهندوس عباد البقر وعباد الأصنام، على مرأى
ومسمع من مليار وربع مليار أو أكثر، من المسلمين في أنحاء العالم،
سمعنا الخبر بآذاننا وشاهدناه بأبصارنا في التلفزيون.

كان المسلمون قديمًا تحدث لهم مآسي، وقلَّما يعرفون عنها إلا بعد
أن تحدث بمدة، لم يكن هذا التواصل العالمي.

هُدم المسجد الذي صار له خمسة قرون، بناه ذلك السلطان المسلم
العظيم «ظهر الدين بابر» أحد ملوك المسلمين العظماء في الهند، وأحد
أولئك الأبطال الذين تركوا بصماتهم على تاريخ الهند.

كان هناك السلطان محمود الغزنوي، والسلطان شهاب الدين الغوري،
وهذا السلطان «ظهر الدين بابر التيموري» المنسوب إلى تيمورلنك.



من روائع هذا الدين:

من روائع هذا الدين أنّ التتار «المغول» الذين قضوا على الخلافة العباسية في بغداد، وأسالوا الدماء أنهارًا، حتّى كانت تسيل من الميازيب، هؤلاء انتصر الإسلام عليهم بعد ذلك مرتين: انتصر عليهم عسكريًا في «عين جالوت» بقيادة سيف الدين قطز وجيش مصر، وانتصر عليهم معنويًا حين دخلوا في دين الله مختارين.

في أوّل الأمر لم يكونوا حسني الإسلام، ثمّ حسن إسلامهم، وكان لهم دور في تاريخ الإسلام وخصوصًا في الهند. حكموا الهند قرونًا، فتركوا فيها آثارهم، هم الذين أدخلوا إلى الهند ما لم يكن معروفًا في ذلك الوقت.

معظم الآثار التي تفخر بها الهند وتعتبرها من معالم حضارتها، ومن آثار عمرانها ومدنيتها، ومن جاذبات السياحة التي تجذب إليها الناس من شرق وغرب: تاج محل إحدى عجائب الدُّنيا السبع^(١)، والقلعة الحمراء، ومنارة قطب الدين في دلهي^(٢)، والمنارات الأربع في حيدر آباد، وغيرها وغيرها، هذه الآثار والمعالم كلّها إسلامية.

المسلمون في الهند تركوا آثارًا دالة عليهم، كانت الهند في عزلة عن العالم، لا تأخذ من العالم شيئًا ولا تعطي شيئًا، المسلمون هم الذين وصلوها بالعالم.

(١) بناه الملك «شاه جهان» أحد ملوك الهند، وأراد به تخليد ذكرى زوجته «ممتاز محل» التي لم يكن لحسنها نظير في الحسن، ولا لحبه إيّاها مثيل في الحب.

(٢) كان قائدًا للسلطان شهاب الدين الغوري الذي ملك شمال الهند، ثم ولي الملك من بعده، وهو الذي فتح «دلهي» وبنى فيها منارته المشهورة التي يقف اليوم أمام عظمتها كل سائح يرد الهند.

كانت في حالة خمود وركود، المسلمون هم الذين حرّكوها، هم الذين أحيوا الزراعة، وحفروا القنوات، وصنعوا البرك، وأدخلوا كثيرًا من أنواع المزروعات والزهور، وجمّلوا الحياة، وأنشؤوا الحدائق، وبنوا المساجد، وأسسوا المدارس والمعاهد.

اعترف بذلك المؤرخون الهنود أنفسهم والمؤرخون العالميون، «جواهر نهرو» اعترف بفضل المسلمين على الحياة الثقافية والاجتماعية في الهند.

هذا المجتمع الذي يعيش على نظام الطبقات: ما بين البراهمة الذين خلّقوا من فم الإله، والمنبوذين الذين خلّقوا من أقدام الإله، أو لم يُخلّقوا من الإله قط!

عرف الهنود المساواة الحقيقية حينما دخل الإسلام الهند، مستهم نفحة من التوحيد فدخل الملايين وعشرات الملايين في الإسلام مختارين.

الإسلام هو الذي عرّفهم الحياة الاجتماعية، عرّفهم كيف يحترمون المرأة، وقد كانت المرأة عندهم شيئًا من الأشياء، أو متاعًا من الأمتعة، كما هي نظرة الجاهليات عمومًا للمرأة.

صنع الإسلام الكثير بالنسبة للهنود، وكان من الذين أثروا في تاريخ الهند هذا الرجل باني هذا المسجد، الذي حاول أن يجمع أمراء المسلمين، فقد أراد بعض ملوك الهندوس المشركين أن يفرّقوا بين المسلمين: بأن يتولوا بعضهم، ويعادوا بعضهم، ويضربوا بعضهم ببعض، فوقف هذا الملك العظيم ضدّ هذه التفرقة، وحاول أن يجمع المسلمين، وانتصر على الخونة من أمراء المسلمين.



لذلك تجمّع كلُّ ملوك الشُّرك على «ظهر الدين بابر» ليقتلوه جذوره، ولكن الرجل أبى إلّا أن يقاتل، وجمع رجاله وقال لهم: هل تباعونني على أحد أمرين: النصر أو الشهادة؟ - البيعة التي بايع عليها النّبي ﷺ أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان - قالوا: نبايعك، فوضع المصحف، وكان هو أوّل من أقسم عليه، وأول من بايع، وبايعه رجاله وجنوده، وقد نصرهم الله على الشُّرك.

وكان من الإصلاحات العظيمة التي صنعها ومن مشروعاته الكبيرة: بناء هذا المسجد «مسجد بابري» نسبة إلى «ظهر الدين بابر».

ولذلك فالمسألة ليست في أنّ هناك معبدًا يريدون أن يقيموه، هذه خرافة، أسطورة، المؤرخون المحققون قالوا: لم يكن هناك معبد، هذه أسطورة، كالتّي تشيع أحيانًا في بعض قرى الريف، ويقول بعض النّاس: قد جاءني في المنام من يقول: إنّ في الحقل الفلاني أو الغيط الفلاني قبر ولي من الأولياء، ويذهب بعض الجهلة والغوغاء ليقيموا قبرًا على شيء لا حقيقة له، إنّهم وهم من الأوهام، وأسطورة من الأساطير.

ومع هذا فالواقع يفرض نفسه، وهذا مسجد للمسلمين صار له قرون يصلون فيه ويطعمون فيه الجُمع والجماعات، وتقام فيه الدروس، وتخطب فيه الخطب، فكيف يُهدم والمسلمون يرون ويسمعون ويشاهدون؟ ما الذي حدث؟!

لقد عرفنا أنّ مسجدًا يمكن أن يُهدم والحرب قائمة، ورحى الحرب دائرة، تنزل عليه قبلة تهدمه أو نحو ذلك.

يمكن أن ينزح ناس من منطقة، فيتركوا مسجدهم؛ فيحوله أعداؤهم

إلى متحف من المتاحف، أو إلى كنيسة من الكنائس، كما صُنِعَ بمساجد المسلمين في الأندلس، بعد أن أُجبر المسلمون على التنصر أو الهجرة أو القتل - يختارون إحدى هذه الثلاث - فتركوا مساجد عامرة وجوامع شامخة، فمنها ما حُوِّلَ إلى متاحف، أو حُوِّلَ إلى كنائس، أو حُوِّلَ إلى أشياء أخرى.

رحم الله أبا البقاء الرندي الذي رثى الأندلس بعد سقوط غرناطة - آخر مدن الأندلس - في قصيدته الشهيرة، التي ينبغي أن يحفظها أبناء المسلمين ويتغنوا بها، حينما قال:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ
تلك الأمور كما شاهدها دولُ
فلا يغر بطيب العيش إنسانُ
من سرّه زمنٌ ساءتَه أزمانُ
إلى أن قال:

تبكي الحنيفةُ الغراء من أسفٍ
حتى المحاربُ تبكي وهي جامدةٌ
على بلادٍ من الإسلام خاليةٌ
حيثُ المساجد قد صارت كنائسَ ما
كما بكى لفراق الإلف هيمانُ
حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ
قد أقفرت ولها بالكفر عمرانُ
فيهن إلا نواقيسُ وصلبانُ
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ
إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ^(١)

هذا ما رثاه أبو البقاء الرندي عن مساجد الأندلس، وقد قُتل أهلها أو هُجِّروا، أو أُجبروا على التنصر الظاهري في أوّل الأمر، إلى أن تحول بمرور السنين إلى تنصر حقيقي، ثم ذهب الإسلام من تلك

(١) انظر: مجاني الأدب في حقائق العرب (٢٤٥/٥، ٢٤٦)، نشر مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،



البلاد التي عاش فيها أكثر من ثمانية قرون، وأقام المسلمون فيها حضارة رفيعة البنيان!

أمّا مشكلتنا أو مأساتنا هذه، فهي مأساة مسجد أهله باقون لم يرحلوا، وليس هناك حرب دائرة، ولا قبلة تسقط.

أن ينوي أناس ويصمموا ليهدموا مسجد المسلمين، والمسلمون أحياء ينظرون ويشهدون، هذا ما لم نره ولم نسمع به!

هذا تحدّي لهذه الأمة، هذا اختبار لقوة هذه الأمة.

أهذه الأمة حيّة أم ميّتة؟ أهذه الأمة نائمة أم يقظي؟ أهذه الأمة ساكنة أم متحركة؟ أهذه الأمة تسمع أم بها صمم، تنظر أم بها عمى؟ ما الذي يحدث؟!

ألف مليون أو يزيدون، بضع وأربعون دولة أو تزيد، ما بال هؤلاء لم يتحركوا كما ينبغي؟

احتجوا، ولكنّه احتجاج هامس ضعيف خافت، نريد احتجاجاً جهيراً صارخاً يُسمع الصم، إنّ الهمس ينيم اليقظان، لكن الصراخ يوقظ النائم.

لا نريد نوح الحمام، نريد زئير الأسود، نريد دويّاً يملأ الآفاق، ويُسمع هؤلاء النّاس أنّ المسلمين لا زالوا أحياء، وأنّ المسلمين لحمهم مُرّ، وأنّ المسلمين يغضبون لمقدساتهم، وأنّ المسلمين يحمون حرّماتهم.

لا بدّ من هذا الدوي الإسلامي، أمّا أن تحدث احتجاجات متفرقة متناثرة حية خجولة، فهيهات أن يكون لها صدى.

لماذا لا يجتمع المؤتمر الإسلامي؟ لماذا لا يجتمع مؤتمر القمة؟ القضية اختبار لنا، والله لو سكتنا على ذلك لأمكن لليهود بعد ذلك أن يحطموا المسجد الأقصى، وهم يعرفون أن المسألة لا تعدو أن تكون عدة احتجاجات، واحتجاجات ليست قوية كما ينبغي، ثم ينتهي الأمر! الذين يدرسون ويقرؤون: يعرفون أن اليهود قد أصدروا خريطة لإسرائيل ليس فيها المسجد الأقصى، أي أن هذه هي خطتهم المستقبلية: أن تكون القدس بلا أقصى، وأن يبنوا هيكلهم المزعوم على أنقاض الأقصى، ولا نستبعد شيئاً من ذلك، كل الأمور التي استبعدناها قامت وتحققت.

ما كان أحد يظن أن تقوم دولة لإسرائيل، رفضنا التقسيم، ورفضنا غير التقسيم، وبعد مدة من الزمن أصبحنا نقول: ليتنا قبلنا ما كان بالأمس وأول الأمس!

هذا اختبار لهذه الأمة، اختبار لقوتها، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين أشركوا، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين هادوا، وهناك حلف نجس دنس بين اليهود والذين أشركوا، وقد خبرنا القرآن أنهما أشد الناس عداوة للذين آمنوا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

المئات الآن يُقتلون، أكثر من تسعمائة قتيل، وبعضهم يُحرقون أحياء، ولا يتحرك أحد، يا لله للمسلمين.

لو كان هذا المسجد بيعة يهودية، أو كنيسة نصرانية أو معبدًا مجوسياً، أو أي شيء، لقامت له الدنيا ولم تقعد، أمّا نحن المسلمين فقد

أصبحت كلُّ أمورنا هينة، هُنَّا على النَّاسِ؛ لأنَّنا هُنَّا على أنفسنا، فهانت علينا مقدساتنا وحُرماننا.

الهندوس موجودون في بلاد المسلمين بالملايين، ويحولون المليارات إلى بلادهم من أيدي المسلمين، لتتحول هناك إلى خناجر، وطلقات رصاص، وسكاكين تقتل المسلمين، وإلى فؤوس ومعاول تهدم مساجد المسلمين.

وطالما قلنا من قديم ما جاء في الحديث النبوي: «لا تصحب إلاَّ مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلاَّ تقي»^(١).

حتى المسلم العاصي ينبغي ألا يأكل طعامك، فما بالك بالمشرك الذي لا يلتقي معك في شيء؟!!

الإسلام أجاز للمسلم أن يتزوج الكتابية لضرورة أو حاجة معينة، ولكنه لم يُجزَّ له أن يتزوج مشركة: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ ۚ ءَايَتِهِ ۚ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ومع هذا يُدخل المسلمون هؤلاء إلى بيوتهم ويعايشونهم، يراوحنهم ويغادونهم، ويصاحبونهم ويماسونهم!

لا بدَّ أن يكون لنا وقفة، وقفة مراجعة أمام هذه القضايا.

(١) رواه أحمد (١١٣٣٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٨٣٢)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٥٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠١٨)، عن أبي سعيد الخدري.

لا بدّ أن يعرف النَّاسُ أنَّ المسلمين أُمَّة واحدة، يسعى بدمتهم أدناهم، وهم يدُّ على من سواهم، وأنَّهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

يجب أن نراجع أنفسنا في مواقفنا مع كلِّ من يعادي الإسلام، ومع كلِّ من يغتال حرّيات المسلمين.

لا بدّ من وقفة:

المسلمون متهمون بالتعصب: المسلمون متعصبون، المسلمون متطرفون، المسلمون إرهابيون! والمسلمون هم الذين يُذبحون ويُقتلون، دماؤهم تُسفك، وأعراضهم تهتك، وحرّياتهم تُنهدك، ومساجدهم تُدمر، وبيوتهم تُهدم.

هذا هو أمر المسلمين.

يوم ملك المسلمون الهند، ويوم كانوا هم حكامها، ماذا صنعوا؟ عاشوا في غاية من التسامح مع الفئات الأخرى من الهندوس والسيخ والمجوس والبوذيين. كانوا أكرم النَّاسِ معهم، وأعدل النَّاسِ معهم؛ لأنَّ هذا ما يفرضه عليهم الإسلام.

المسلمون هم الذين قاوموا الإنجليز، قاوموا الإنجليز ببسالة، وتاريخ المسلمين في كفاح الاستعمار الإنجليزي تاريخ مشهود.

للأسف نحن المسلمين قلّما نقرأ التاريخ، وقلّما نعرف تاريخ الأُمَّة الإسلامية وخصوصًا بعد ظهور النزعة القومية، قلّما نهتم - نحن

العرب - بغير العرب، ولا نعرف ماذا صنع المسلمون الذين قاوموا الاستعمار الإنجليزي منذ السلطان «تیبو»، ذلك الرجل العظيم الذي قاوم الإنجليز إلى أن قُتل، وقد أبى إلا أن يُستشهد ولا يُؤسر، وقال كلمته الشهيرة: «لأن أحيا يومًا واحدًا حياة الأسد خير من أن أحيا مائة سنة حياة الفئران»!

لم يُرد أن يكون جُردًا أو أن يكون ابن آوى على حدّ تعبيره، وإنما أراد أن يعيش أسدًا، إما أن يعيش عزيزًا، وإما أن يموت كريمًا، وقد مات! الإنجليز عرفوا هذا، ويوم قُتل السلطان «تیبو» قالوا: اليوم طابت لنا الهند.

وكان يمكن لهذا السلطان أن ينتصر على الإنجليز، وأن يهزمهم شر هزيمة، لولا خيانة بعض الملوك من الهندوس ووقوفهم بجوار الإنجليز المحتلين.

المسلمون ليسوا متعصبين، المسلمون متسامحون، وربما كانوا متسامحين في بعض الأحيان أكثر من اللازم.

لكن التعصب إنما هو من غير المسلمين، كلُّ الفئات تتعصب ضدَّ المسلمين، ويوالي بعضها بعضًا إذا كان العدو هو الإسلام!

كثيرًا ما يختلفون فيما بينهم، فإذا كان العدو المشترك هو الإسلام اتفقوا عليه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [البجائية: ١٩]، ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فعلينا أن يوالي بعضنا بعضًا، وأن يساند بعضنا بعضًا، وأن يشد بعضنا أزر بعض؛ حتّى لا نؤكل لقمة سائغة؛ حتّى لا تدوسنا الأقدام؛ حتّى لا يفترسنا أولئك الظلمة الطغاة.

كان النَّاس قديمًا يقولون: «أذل من يهودي»، كان اليهودي يُضرب مثلاً في الذّلة.

الآن كأنّ المثل يقول: أذل من مسلمة! لأنّ المسلمة تُنتهك حرمتها من صربي متوحش حاقد صليبي، ولا يغضب لها المسلمون، ولا تجد «معتصمًا» يقول لمن نادته: واغوثاه، لبيك يا أختاه!

والمساجد تُهدم ولا نجد الذي يغضب لحرمة الإسلام وقديسيات الإسلام.

أصبحنا أذلاء للأسف.

لِمَ هذا؟!

ما الذي جعلنا نذل ونستخذي ونحن خير أمة أخرجت للنَّاس، وعندنا مصادر القوّة، وعندنا المقدرة أن نتبوأ مكانتنا تحت الشمس؟

عندنا القوّة المادّيّة، والقوّة البشريّة، والقوّة الروحية، عندنا كلّ القوى التي تجعل منّا أمة عظيمة، لو أنا استفدنا من إمكانياتنا وطاقتنا.

يكفي أن عندنا الإسلام، فهل نستمسك بهذه العروة الوثقى؟ وهل تجتمع كلمتنا عليها؟ وهل نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق؟

لقد فرّقنا أهواء شتّى، ومصالح مختلفة، جعلتنا نرى هذه المآسي ولكننا مشغولون عنها، مشغولون عنها بأمور كثيرة: بحرب الأصوليين، بالنزاع الحدودي، بالقتال الكروي، بالملاهي، وبكذا وكذا.

أمور كثيرة شغلنا عن أخطر القضايا وأعظم المآسي، التي ينبغي أن يعيش الناس لها وفيها صباح مساء، تؤرق عليهم ليلهم، وتنغص عليهم نهارهم.

أول ما نطلبه من المسلم هنا: الوعي الذي ينگد عليه، نريد أن يحزن لمصاير المسلمين، لا ينبغي أن يضحك لنا سنّ، لا ينبغي أن يبتسم لنا غرّ، وهذه المآسي قائمة في حياة الأمة الإسلامية.

المشركون من قريش بعد أن هُزموا في بدر، حرّموا على أنفسهم البكاء والنشيج والعويل، اعتبروا أنّ هذا يخفف عنهم، قالوا: لا بكاء ولا نشيج ولا عويل حتّى نأخذ بثأرنا.

خرج بعضهم فسمع من يقول شعراً ينشد فيه، فظن أنّه قد سمح بقول شعر، يرثون فيه الموتى ويكون عليهم، ف قيل له: إنّ فلاناً قد ندّ بعيره فهو يقول الشعر يندب حظه في ضياع البعير، فقال: يبكي بعيراً ولا يبكي قتلانا^(١)!

فعل المشركون ذلك، ولا يبيحون لأنفسهم هذا التغني بشعر الحزن والبكاء؛ إلّا بعد أن يأخذوا بالثأر، وهذا ما فعلوه بعد أحد.

(١) القائل هو الأسود بن عبد المطلب، وكان ضرير البصر، وكان قد أصيب له ثلاثة من أبنائه يوم بدر. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٦٤٨).

هذا موقف النَّاس الذين يريدون أن يعيشوا رجالاً أحراراً.

إنَّ مسجد بابري هذا اختبار للأُمَّة الإسلامية: أتغار على حرَماتها أم لا تغار؟

أستطيع أن تقول كلمة مسموعة، أم تكتفي بالهمس والقول الخافت، والاحتجاج المؤدب المهذب، الرفيق الرقيق، اللطيف الخفيف، إكراماً للهند الكبرى؟ الهند الصديقة؟

لا بدَّ أن يسمع النَّاس صراخنا وزئيرنا، ودوي أصواتنا من أجل حرَماتنا، هذا ما يجب على الأُمَّة الإسلامية، لا ينبغي أن نتهاون في حرَماتنا، فتذهب كلُّ حرَماتنا بعد ذلك؛ لأنَّ من فرط في الصغير فرط في الكبير!

المسألة ليست مسألة مسجد، يمكن أن يبني المسلمون مسجدهم، ويمكن أن تبني الحكومة الهندية مسجداً بعد ذلك، ولكن أن يُهدم معلّم من معالم المسلمين، ومسجد يتعبدون الله فيه صار له قرون، وتتحدى الأُمَّة الإسلامية ولا تواجه هذا التحدي، هذا هو الخطر، الذي يمكن أن يحيط بهذه الأُمَّة.

أيُّها الإخوة، إنَّ الإسلام هو عزنا في الدنيا، وسعادتنا في الآخرة. ينبغي أن نستمسك بالإسلام، ونغار على كلِّ حرَمات الإسلام، وعلى كلِّ مقدّسات الإسلام.

لا بدَّ للمسلمين أن يقفوا كتلة واحدة أمام الباطل، وأمام الكفر الذي يستفزهم، ولا يبالي بهم، وكأنهم غطاء كغشاء السيل.



ندعو الأمة الإسلامية أن تستمسك بالإسلام وبِعُرَى الإسلام، وتتنادى فيما بينها؛ لتقف صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفره إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فقد ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلّا استجاب له^(١)، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهمّ أضح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأضح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأضح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (١٥٢)، كلاهما في الجمعة.



طاعون الهند

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

يشغل النَّاسُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ حَدَثٌ جَلِيلٌ، هُوَ ذَلِكَ الطَّاعُونُ الَّذِي أَصَابَ النَّاسَ فِي الْهِنْدِ، وَأَصْبَحَ يَهْدُّ الْأَلْفَ بِالْمَوْتِ السَّرِيعِ وَالْمَفَاجِئِ.

وَهَذِهِ إِحْدَى الْعَجَائِبِ الَّتِي يَصْنَعُهَا اللَّهُ فِي هَذَا الْكُونِ، يَسْلُطُ عَلَى النَّاسِ الْأَمْرَاضَ وَالْأَوْبَةَ، إِذَا أَخْلَوْا بِسُنَنِهِ أَوْ ابْتَعَدُوا عَنْ تَعَالِيمِهِ، فَسَرَّعَانَ مَا تَصِيبُهُمُ الْآفَاتُ، وَتَفْتَكُ بِهِمُ الْأَوْبَةُ وَالْأَمْرَاضُ.

عقوبة الفاحشة:

فِي أَوْرَبَا وَفِي أَمْرِيكَ وَفِي غَيْرِهِمَا عَرَفَ النَّاسُ مَرَضَ الْإِيدِزْ، الَّذِي يَفْتِكُ بِالْمِلَايِينَ وَيَهْدُّ مِلَايِينَ أُخَرَ، وَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ لَهُ عِلَاجًا إِلَى الْيَوْمِ.

هَذَا الْمَرَضُ أَصَابَ النَّاسَ نَتِيجَةَ الْبُعْدِ عَنْ وَحْيِ السَّمَاءِ، وَعَنْ شَرَائِعِ الْأَدْيَانِ؛ نَتِيجَةَ التَّحَلُّلِ الْجَنْسِيِّ؛ نَتِيجَةَ الْإِبَاحِيَّةِ الَّتِي أَحْلَوْا فِيهَا الزَّوْنِي الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَحَرَّمَتْهُ جَمِيعُ الْأَدْيَانِ، وَلَمْ يَحَرِّمْهُ إِلَّا سَلَامٌ وَحْدَهُ، حَتَّى

إِنَّ الْمَسِيحَ ﷺ قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَقُولُونَ: لَا تَزْنِ، وَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ نَظَرَ بَعِينَهُ فَقَدْ زَنَى»^(١).

وَهُوَ نَفْسَ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْفَرْجُ يَزْنِي»^(٢).

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنى، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ، فَزَنَى الْعَيْنُ النَّظَرَ، وَزَنَى اللِّسَانُ الْمَنْطِقَ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يَصْدُقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(٣).

سَلَّطَ اللَّهُ عَلَى هَؤُلَاءِ هَذَا «الْإِيدِز»، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَفْعَلُوا أَمَامَهُ شَيْئًا؛ رَغْمَ تَقَدُّمِهِمْ فِي الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْأَدْوِيَّةِ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا جَزَاءً وَفَاقًا، لَمَا انْحَرَفُوا عَنْ سُنَنِ الْفِطْرَةِ وَسُنَنِ اللَّهِ، وَأَبَاحُوا الزَّنى وَأَبَاحُوا الشَّدُوذَ الْجَنَسِي: أَنْ يَسْتَغْنِيَ الرَّجُلُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، بَلْ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ، وَتَتَزَوَّجَ النِّسَاءُ النِّسَاءَ! وَيَبَارِكُ ذَلِكَ بَعْضُ الْقَسَسِ، وَتَعْقِدُ لَهُمُ الْكُنَائِسُ هَذِهِ الْعُقُودَ الْبَاطِلَةَ النَّجَسَةَ!

فَلَا غُرُو أَنْ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الطَّاعُونَ الَّذِي يَسْمُونَهُ: «الطَّاعُونَ الْأَبْيَضُ»، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَمَاهُ «الطَّاعُونَ» مِنْ قَدِيمٍ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ:

(١) إِنْجِيلُ مَتَّى (٢٨/٥)، (٢٩).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٩١٢)، وَقَالَ مَخْرَجُوه: حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَالبزار (١٩٥٦)، وَأَبُو يَعْلَى (٥٣٦٤)، وَنَسَبَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (١٠٥٤٣) إِلَى الطَّبْرَانِيِّ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَنَّ إِسْنَادَ الْبَزَارِ وَالطَّبْرَانِيِّ جَيِّدٌ. عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَسْتِئْذَانِ (٦٢٤٣)، وَمُسْلِمٌ فِي الْقَدْرِ (٢٦٥٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

«لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتَّى يعلنوا بها؛ إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، الَّتِي لم تكن مضت في أسلافهم الَّذِينَ مضوا»^(١).
هذا ما حدث هناك.

واليوم يحدث هذا الطاعون القديم الجديد، يحدث في الهند، والعجيب أن يصيب الهندوس ولا يصيب المسلمين!

ما السر في هذا؟

السر في هذا: أنَّ هذا مرض وبائي، سببه ميكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان، والهندوس في مذهب كثير منهم: أنَّهم لا يقتلون ذا روح، لا يقتلون فأراً ولا يقتلون برغوثاً.

الشيء الوحيد الذي يُباح قتله عندهم من ذوي الأرواح هم «المسلمون»! فهم يقتلون المسلمين في كشمير، وفي بابري، وفي بومباي وفي غيرها، أمَّا تلك الأرواح من القوارض والحشرات فلا يجوز الاعتداء عليها!

وعندما كنت في الهند منذ سنوات ونزلت في فندق يملكه الهندوس، وهو من أكبر الفنادق في نيودلهي، كان هناك بعوض نشكو منه، وطلبنا منهم بعض المبيدات الَّتِي تقتل البعوض، فقالوا: هذا لا يوجد عندنا، ونحن لا نوزع هذه الأشياء؛ لأنَّ البعوض روح محترمة!

ومنذ مدَّة من الزمن أصابت الهند مجاعة؛ لأنَّ الفئران أكلت القمح، وطلبوا المعونات، وجاءتهم المعونات من أمريكا وغيرها، ولكن وقف بعض الأعضاء في الكونجرس الأمريكي يقولون: لماذا نعين هؤلاء

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٠/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦).

النَّاس، وهم لا يعينون أنفسهم؟! إِنَّهُمْ تركوا الفئران تأكل القمح؛ دون أن يبیدوها.

هذا ما يصنعه هؤلاء.

ولذلك لا عجب أن انتشر هذا الطاعون بينهم هذا الانتشار الفظيع، ولكن الخطر يمكن أن يضم الجميع: المسلمين وغيرهم، بسبب هذه البراغيث التي تنتقل من مكان إلى مكان.

هذا الطاعون مرض وبائي خطير، والنبي ﷺ جاء عنه في الحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه»^(١).

لا تدخلوا فيها؛ حتّى لا تعرضوا أنفسكم للهلاك؛ فالمسلم لا يجوز أن يضر نفسه، ولا أن يضار غيره: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، «لا ضرر ولا ضرار»^(٢)، فلا يجوز أن يقحم المسلم نفسه في الخطر.

وكذلك ينبغي حصار المرض في أضيق نطاق، فلا يجوز أن يخرج الإنسان من القرية أو البلدة التي أصيبت بهذا الداء.

لم يكن الأقدمون يعرفون السرّ في هذا، ولكن عرفنا ذلك ووجدناه من دلائل نبوة مُحَمَّد ﷺ: إنّ الإنسان قد يكون ظاهر الصحة في البلد الموبوء، وهو يحمل الميكروب ولا يدري ولا يشعر، فإذا انتقل إلى بلد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٣)، ومسلم في السلام (٢٢١٨)، عن أسامة بن زيد.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٥.

آخر أصاب الأصحاء، فلهذا طُلب من النَّاس أن يبقوا في بلد الوباء، ولا يخرجوا منه.

ولكن هذا في القرية الموبوءة أو البلدة الموبوءة، أمّا الهند، وهي شبه قارة كبيرة، فيجوز للنَّاس البعيدين عن هذا الوباء - من أهل الخليج وغيرهم - أن يعودوا إلى بلادهم؛ لأنَّهم ليسوا في قرية الوباء، ويمكن أن يعرف: هل يحملون الميكروب أو لا؟ وأن يأخذوا الأمصال الواقية، قبل دخولهم إلى بلدانهم.

إنَّ الإسلام قد حافظ على صحَّة الإنسان، ولو أنَّ المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم وأحكام شرعهم لكانوا أصحَّ الأمم أجسادًا، وأقواهم أبدانًا؛ لأنَّ تعاليم الإسلام تنشئ الصحَّة والعافية، تنشئ المؤمن القوي وهو «خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١).

إنَّ أوَّل ما يدرس المسلم وأوَّل ما تدرسه المسلمة من فقه الإسلام: «باب الطهارة»، أي: النِّظافة، الطهارة مفتاح الصلاة، كما أنَّ الصَّلَاة مفتاح الجنة، الطهارة من الأحداث، والطهارة من الأخبات.

والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل. وهناك أسباب موجبة للغسل، وأسباب يندب من أجلها الغسل.

وينبغي للمسلم أن يغتسل ما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ إذا وجد بدنه عرقانًا أو مُتسخًا، وخصوصًا عندما يلتقي بالآخرين، ولهذا جاء في الحديث: «غسل يوم الجمعة واجب على كلِّ محتلم»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٣١.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٥٨)، ومسلم في الجمعة (٨٤٦)، عن أبي سعيد الخدري.

وفي الحديث الآخر: «حَقُّ لَهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»^(١)، يجب على المسلم أن يغسل رأسه وجسده في الأسبوع مرّة، كحد أدنى.

هذا ما عرفه المسلمون في وقت كان الرهبان النصارى في أوربا يعتبرون النّظافة ممّا يبعد عن الله! ويعتبرون القذارة ممّا يقرب إلى الله! حتّى إنّ بعضهم مدح أحد الرهبان فقال: إنّهُ عاش طول عمره ولم يقترب إثم غسل الرجلين!

وقال: لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم عمره، ولا يبيل أطرافه بالماء، ولكنّا وا أسفاه أصبحنا في زمن يدخل فيه النّاس الحمامات^(٢)!

وإنّما دخل النّاس هناك في أوربا الحمامات عدوى من المسلمين، انتقلت إليهم من قرطبة وغرناطة والأندلس وغيرها.

الإسلام يعتبر الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخبات - طهارة الثوب، والبدن، والمكان - من شروط صحّة الصلاة، وشاع عند المسلمين هذه الكلمة التي لم تشع عند أمة من الأمم: «النّظافة من الإيمان»، وهي مقتبسة من حديث في «صحيح مسلم»: «الطهور شطر الإيمان»^(٣)، أي: الطهارة نصف الإيمان، وهي تشمل: طهارة البدن وطهارة القلب، الطهارة المادّيّة والطهارة المعنويّة.

الإسلام جاء وشرع الطهارة والنّظافة:

نظافة الإنسان كلّهُ بالغسل.

(١) سبق تخريجه ص ٣٣.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٤.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.



نظافة الأعضاء التي تتعرض للأتربة وللاتساخ بالوضوء.

نظافة الشعر: «من كان له شعر فليُكْرَمه»^(١).

نظافة الفم والأسنان: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»^(٢).

نظافة الأنف بالاستنشاق، فقد شرع في الوضوء المضمضة والاستنشاق، وهما من فرائض الوضوء في مذهب الإمام أحمد.

الطهارة للإنسان كله، والنظافة للإنسان كله.

وشرع مع ذلك نظافة البيت: «نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود»^(٣).

وشرع نظافة الطريق: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم»^(٤).

ولهذا اعتبر إمطة الأذى من الطريق صدقة^(٥)؛ فكل ما يؤذي الناس - ولو بالرائحة الكريهة - يجب أن يُزال.

ومنع النبي ﷺ البول في الماء الراكد أو الماء الدائم، ونهى عن الاغتسال فيه، ونهى عن البول أو التبرز في الماء، أو في موارد الماء، أو

(١) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٣٦٥)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

(٣) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف. والبخاري (١١١٤)، وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (١١٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) رواه الطبراني (١٧٩/٣)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤٢)، والهيثم في مجمع الزوائد (١٠٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٢٣)، عن حذيفة بن أسيد.

(٥) أورد الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب عددًا من الأحاديث الدالة على ذلك، فلتراجع في كتاب الأدب، باب الترغيب في إمطة الأذى عن الطريق.

في الطريق، أو في الظلّ، واعتبر هذا من الملاعن، أي: التي تجلب لعنة الله ولعنة الناس على فاعله.

هكذا جاء الإسلام بالنّظافة، وهي من أهم أسباب الوقاية.

وجاء الإسلام يدعو المسلمين إلى الحركة وإلى النشاط، ويستعيد بالله من العجز والكسل، هكذا كان النبي ﷺ يستعيد بالله منهما^(١)، ويعلم أصحابه أن يستعيدوا منهما.

واعتبر من خصائص المسلم الملتزم أنّه إذا أصبح، أصبح طيب النفس نشيطاً، أمّا غيره فيصبح خبيث النفس كسلان^(٢).

ودعا إلى البكور: «اللهمّ بارك لأمتي في بكورها»^(٣)؛ ليتلقى الإنسان الصباح طيباً من يد الله تعالى، قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة، ويتلقى هذا النسيم المبارك من بدء اليوم.

جاء الإسلام ودعا إلى هذا كلّ.

ودعا إلى أن يداوي الإنسان نفسه إذا مرض، والنبي ﷺ تداوى، وأمر أصحابه بالتداوي، وحينما سأله الأعراب: أنتداوى يا رسول الله؟

(١) كما في الحديث: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهَرَم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النَّار، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٢)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

قال: «نعم، يا عباد الله، تداووا؛ فإنَّ الله ما وضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»^(١).

وضع النبي ﷺ مبادئ خالدة هي تعتبر حجر الأساس لقيام صرح طبي سليم مشيد على أسس قويّة.

النبي ﷺ قرّر حقّ البدن بعبارات صريحة تُسمع لأوّل مرّة في جو الدين، كان النّاس يعتقدون أنّ البدن هذا ينبغي أن يُعذّب حتّى تصفو الروح.

هذا ما عرفته الأديان والفلسفات السابقة: المانوية في فارس، والبوذية في الصين، والبرهمية في الهند، والرواقية في اليونان، والرهبانية عند النصارى، كلّ هؤلاء جاروا على حقّ الجسم؛ بدعوى الرقي بالروح!

ولكن الإسلام حافظ على الجسم، ونهى عن إرهاقه بأي وسيلة من الوسائل، ولو كان بالعبادة.

وحينما بالغ أحد الصّحابة في عبادة الله، وصام النّهار وقام الليل باستمرار، جاء به النبي ﷺ ووقفه عند حدّ الاعتدال، وقال لعبد الله بن عمرو: «ضُم وأفطر، وقُم ونم؛ فإنّ لجسدك عليك حقّا (أي: في الراحة)، وإنّ لعينك عليك حقّا (أي: في النّوم)، وإنّ لزوجك عليك حقّا (أي: في الإمتاع والمؤانسة)، وإنّ لزورك (زوارك من المجتمع) عليك حقّا (أي:

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٤٣٦)، والحاكم (٣٩٩/٤) وصحّحه ووافقه الذهبي، أربعتهم في الطب، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠)، عن أسامة بن شريك.

في الإكرام والمشاركة)، وإن بحسبك أن تصوم كلَّ شهر ثلاثة أيام، فإنَّ لك بكلِّ حسنة عشر أمثالها»^(١).

«فإنَّ لجسدك عليك حقًّا». كلمة جديدة في ظلِّ الدين، لم يسمع النَّاس مثلها من قبل، فلا يجوز أن يُرهق البدن، ولا يجوز أن يُجار عليه لأي سبب. ولهذا شرع الإسلام الرُّخص والتخفيفات، إذا كان الصوم يضرك فأفطر، المرض سبب للرخصة، والسفر سبب للرخصة ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويُكره الصوم، بل ربَّما يحرم إذا كان السفر شاقًّا، وحينما رأى النَّبي ﷺ رجلاً قد ظَلَّل عليه، والنَّاس يرشون عليه الماء، وسأل عنه. قالوا: يا رسولَ الله، صائم. قال: «ليس من البر الصيام في السفر»^(٢)، أي: في مثل هذا السفر الشاق.

ورأى أيضًا رجلاً يُهادى بين ولديه، يعتمد عليهما لا يقدر على المشي وحده، فسأل عنه، قالوا: نذر أن يحج ماشيًا. فقال: «إنَّ الله عن تعذيب هذا نفسه لغني»^(٣). وأمره أن يركب.

هكذا حافظ الإسلام على الجسد الإنساني؛ لأنَّه مطيَّة الإنسان لأداء واجباته الدِّنيَّة والدُّنيويَّة، فله حقُّ: «فإنَّ لجسدك عليك حقًّا»^(٤)، عليك حقُّ لهذا البدن: أن تطعمه إذا جاع، وترويه إذا عطش، وتريحه إذا تعب، وتنظفه إذا اتسخ، وتداويه إذا مرض.

هذا أوَّل مبدأ أقرَّه النَّبي ﷺ في الجانب الصحي والطبي.

(١) سبق تخريجه ص ٣٢.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاهما في الصوم، عن جابر بن عبد الله.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٦٥)، ومسلم في النذر (١٦٤٢)، عن أنس.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٢.



إقرار سنة الله في العدوى:

من ناحية أخرى، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ أقرَّ سنة الله في العدوى.
العدوى سنة من سنن الله، ولذلك قال: «فِر من المجذوم فرارك
من الأسد»^(١).

وجاء رجل مجذوم في بعض الوفود يريد أن يبايع النَّبِيَّ ﷺ فقال
له ﷺ: «قد بايعناك»^(٢)، ولم يضع يده في يده؛ ليقرَّ هذه السنة.
بل أكثر من ذلك أنه أقرَّ هذه السنة بين الحيوانات وقال: «لا يورد
مُمرض على مُصح»^(٣).

المُمرض: صاحب الإبل المراض بمرض الجرب، والمُصح: صاحب
الإبل الصحاح.

والإبل حينما تلتقي عند موارد المياه تتزاحم، ويحتك بعضها
ببعض، فيعدي بعضها بعضاً، وفي هذا إيذاء لهذا الحيوان من ناحية،
ومن ناحية أخرى خسارة مادية؛ لأنه مال للإنسان.

ولهذا قال: «لا يُورد مُمرض على مُصح»، صاحب الإبل المراض
ينتظر حتّى يسقي المصح إبله، ثمَّ يورد إبله المريضة دون أن تختلط
بالإبل الأخرى.

هذا ما جاء به الإسلام.

(١) رواه أحمد (٩٧٢٢)، وقال مخرّجوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف. والبخاري تعليقاً (٥٧٠٧) مجزوماً

به، والبيهقي في النكاح (١٣٥/٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٧٨٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٣١)، وأحمد (١٩٤٧٤)، عن الشريد الثقفي.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧٠، ٥٧٧١)، ومسلم في السلام (٢٢٢١)، عن أبي هريرة.

الإسلام يقف في وجه المدّعين في قضية الطب:

جاء النَّبِيُّ ﷺ بقوله: «من تطبّب ولم يُعلم منه طب؛ فهو ضامن»^(١)، أي أنّه لم يفتح الباب لكلّ من يدعي أنّه طبيب، إذا لم يُعرف عنه الطب، وأنّه مختص في هذا الأمر، فهو ضامن إذا أصاب إنساناً بشيء.

فوقف ضدّ الدجالين، وضد المدّعين في هذه القضية.

كذلك قاوم الإسلام الطب الذي يسميه بعضهم: «الطب الروحاني» القائم على التمايم والكهانة والودّع، ورفض هذه الأشياء، واعتبرها من الجاهلية، ومن ضروب الشرك: «إنّ الرُّقى والتمايم والتّولة شرك»^(٢)، «من علّق تميمة فقد أشرك»^(٣)، «من تعلّق شيئاً وُكِلَ إليه»^(٤).

لا ينبغي أن يعلّق الإنسان هذه الأشياء: الخرزات والأحجبة، وهذه الأشياء التي يعلّقها النّاس، إلّا إذا كانت من آيات القرآن، فأجازها بعض العلماء^(٥).

(١) رواه أبو داود في الديات (٤٥٨٦)، والنسائي في القسامة (٤٨٣٠)، وابن ماجه في الطب (٣٤٦٦)، والحاكم في الطب (٢١٢/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٣٥)، عن عبد الله بن عمرو. ومعناه: أن من تعاطى الطب ولم يسبق له تجربة فهو ضامن لمن طبّه بالدّية إن مات بسببه؛ لتهوره بإقدامه على ما يقتل.

(٢) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥). عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرّجوه: إسناده قويّ. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٤) رواه أحمد (١٨٧٨١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الطب (٢٠٧٢)، والنسائي في تحريم الدم (٤٠٧٩)، عن عبد الله بن حكيم.

(٥) انظر كتابنا: حقيقة التوحيد ص ٥٣ - ٥٥، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



إنَّما تشرع الرُّقى - والرُّقى دعاء ورجاء إلى الله - ترقى المريض وتقول له ثلاث مرات: «اللهم ربَّ النَّاسِ أَذهب البأس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك»^(١).

أو يقول: «أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك»، سبع مرات^(٢). فهذا لا بأس به؛ لأنَّه دعاء إلى الله.

والمسلم يجمع بين الدواء المادي، والدواء الروحي، فهو يدعو الله تعالى، ولكنَّه يحترم الأسباب والمسببات.

التداوي والإيمان بالقدر:

مما وضعه النَّبي ﷺ من المبادئ المهمة أنَّه حل مشكلة «الإيمان بالقدر»؛ فقد كان في أذهان النَّاس وفي أوهامهم أنَّ التداوي ضدُّ التوكل^(٣) وضد الإيمان بالقدر والرضى بالقدر، فإذا أصاب الإنسان مرض فعليه أن يستسلم له ويرضى بالقضاء، ويصبر على البلاء، ولا يستعمل الدواء!

ولذلك عندما سئل النَّبي ﷺ: يا رسول الله، أرايت رُقِّي نسترقئها، ودواء نتداوى به، وثُقة نتقيها: هل تردُّ من قدر الله شيئاً؟

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٥٠)، ومسلم في السلام (٢١٩١)، عن عائشة.
(٢) رواه أحمد (٢١٣٧)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجنائز (٦/٣١٠)، والترمذي في الطب (٢٠٨٣) وقال: حسن غريب. والحاكم في الطهارة (٣٤٢/١)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. وصحَّح إسناده ابن حجر في نتائج الأفكار (١٨٤/٤)، عن ابن عباس.

(٣) من أراد التوسع في هذا فليراجع كتابنا: التوكل ص ٧٥ - ٩٤، الفصل الخامس، نشر مكتبة وهبة، ط ٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

قال: «هي من قدر الله»^(١).

الأدوية التي تتداوون بها، والأسباب التي تتقون بها الأمراض هي من قدر الله، فكما أن الله قدّر المرض قدّر الدواء، هذا من قدره.

والمسلم الفقيه هو الذي يدفع قدر الله بقدر الله، يدفع قدر الجوع بقدر الغذاء، ويدفع قدر العطش بقدر الشرب من الماء، ويدفع قدر الداء بقدر تناول الدواء.

وعندما ذهب سيّدنا عمر في خلافته إلى الشام، قيل له - قبل أن يدخل الشام -: يا أمير المؤمنين، إنّ هناك طاعوناً انتشر في بلاد الشام.

هنا وقف عمر يفكر ماذا يصنع؟ أيخاطر بأصحابه أصحاب النبي ﷺ ويدخل هذه البلاد الموبوءة، ويعرّضهم للخطر؟ أم يرجع؟ واستشار الناس فاختلفوا عليه.

ولكنّه بنور بصيرته وفقهه الراشد، وفهمه السديد للإسلام: صمّم على أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح - أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة -: يا أمير المؤمنين، أتفر من قدر الله؟

قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، ما كنت أنتظر من مثلك أن يقول هذه الكلمة، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، رأيت لو كان معك إبل ونزلت واديين أحدهما مخصب والآخر مجذب، أليس إن رعت المجذب رعيته بقدر الله، وإن رعت المخصب رعيته بقدر الله؟!

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف، على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزيمة.

فأنت تترك المجذب وترعى المخصب (أي: تغلب قدرًا على قدر).
وهذا من فقه عمر رضي الله عنه.

ثم جاء عبد الرحمن بن عوف - وكان غائبًا - فقال له: إن عندي علمًا من رسول الله ﷺ في هذا الأمر، وقصّ عليه الحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارًا منه»^(١).
فعرف عمر أنه وفق لإصابة الحق، وقد كان موفقًا، وكثيرًا ما نزل القرآن بموافقته.

حلّ الرسول مشكلة الإيمان بالقدر؛ حينما قال عن الأدوية: هي من قدر الله.

تشريع الرخص من أجل سلامة البدن:

وشرع النبي ﷺ الرخص والتخفيفات، وحرّم كلّ ما يؤذي البدن ك: المسكرات والمخدرات، حتّى الإسراف في الطعام أو في الشراب ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكيات يُقمن ضلّبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٢).

كلّ هذا حماية لبدن الإنسان أن يُصاب؛ وهو عدة الإنسان ومطيته، في رعاية الحقوق وأداء الواجبات.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٩)، ومسلم في الآداب (٢٢١٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٧١٨٦)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات، غير أن يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدم، فإن صحّ سماعه منه فالحديث صحيح، وإلا فمقطع. والترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في الرقاق (٣٣١/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢٨/٩)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٥)، عن المقدم بن معديكرب.

هذا ما جاء به النبي ﷺ، جاء بكل ما يحفظ البدن، كما جاء بكل ما يحفظ العقل والروح.

واشتكى إليه بعض أصحابه، ممن كانوا مع عمرو بن العاص في إحدى الغزوات، وقالوا: يا رسول الله، صلى بنا وهو جنب!

فسأل النبي عمرًا، فقال: يا رسول الله، كانت الليلة باردة شديدة البرودة، وتذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فتبسم النبي ﷺ^(١).

معنى هذا أنه أقرّ فعل عمرو.

على حين أنكر على جماعة آخرين أفتوا رجلاً من الصحابة - أصابته جراحة - أن يغتسل رغم جراحته!

فاغتسل فتفاقم عليه الجرح، وتضاعفت عليه الآثار، حتى مات بسبب هذا الغسل وهو جريح.

فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، وإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يعصب على جرحه ويتيمم»^(٢).

(١) رواه أحمد (١٧٨١٢)، وقال مخرّجوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (٣٣٤)، وعلّق البخاري مختصراً قبل الحديث (٣٤٥)، وصحّحه النووي في المجموع (٢٢٠/٢)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه أبو داود في الطهارة (٣٣٦، ٣٣٧) والدارقطني في الطهارة (٧٢٩)، ونقل عن شيخه فيه أبي بكر بن أبي داود قوله: هذه سنة تفرّد بها أهل مكة، وحملها أهل الجزيرة. لم يروه عن عطاء، عن جابر، غير الزبير بن خريق، وليس بالقوي. وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء، عن ابن عباس، وهو الصواب. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٤)، دون قوله: «إنما كان يكفيه...».



اعتبرهم قتلة، ودعا عليهم؛ لأنهم أفتوا بجرأة في أمر لا يعلمونه،
كان يجب أن يسألوا إذا لم يعلموا؛ فإنما شفاء العيِّ السؤال.

إنَّ الإسلام قد جاء بهذه المبادئ لإرساء دعائم طب علمي موضوعي
قائم على أساس صحيح، وجاء كذلك بالطب الوقائي الذي يقوم على
أسباب الوقاية من الأمراض.

فلو أنَّ المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم، واتبعوا أحكام ربِّهم في رعاية
هذا الجسم الذي هو هبة من الله تعالى لنا، ونعمة منه علينا، ووديعة منه
لدينا، لكانوا أصحَّ الأمم وأقواها أجسامًا.

لكلِّ داء دواء:

ينبغي للمسلمين أن يحفظوا هذه الأجسام بحفظهم لتعاليم وحي
السماء، التي فيها وحدها الشفاء من كلِّ داء، لقد علَّمنا النَّبي ﷺ
فقال: «إنَّ الله تعالى لم يُنزل داء إلا أنزل له دواء، علِّمه من علِّمه،
وجَّهله من جَّهله»^(١).

وقال: «لكلِّ داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى»^(٢).

وبهذا فتح أبواب الأمل أمام الأطباء، وأمام المرضى؛ ليفتشوا عن
أدوية الأمراض، التي يعتقد النَّاس أنها مستعصية، وأنها مُعضلة، وأنه
لا علاج لها.

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه،

ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧)، عن جابر.

هناك علاج، وهناك دواء، ولكن لم يهتد إليه الإنسان، ولا بد أن يسعى للبحث عن هذا الدواء، وهو واصل إليه إذا وفقه الله الذي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

فتح الإسلام أمام الأطباء وأمام المرضى باب الأمل، وباب الرجاء واسعاً ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

كذلك ربط الإسلام بين صحّة الجسم وصحّة النفس، ولا يصحّح النفس ويضمن لها السلامة، مثل الإيمان بالله وبالدار الآخرة وبقدّر الله تعالى، ومثل التزام أحكام الشرع، فهذه وحدها هي التي تعطي الإنسان العافية النفسية، مع العافية البدنية.

وخير ما يُعطاه الإنسان هي هذه العافية: صحّة البدن، وصحّة النفس، وهي أجلّ النعم على الإطلاق كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(١).

ويقول رَحِمَهُ اللهُ^(٢) فيما رواه الترمذي: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها»^(٢).

من أعطي الأمن والعافية في نفسه وفي جماعته، والقوت اليومي المنتظم ولو بالقليل، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها.

وقال النبي ﷺ: «سلوا الله العفو والعافية؛ فإنّ أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية»^(٣).

(١) انظر: زاد المعاد (١٩٦/٤)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٢.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٣.



ولذلك شرع الإسلام أن نقول في القنوت: «وعافني فيمن عافيت»^(١).
وأن نقول بين السجدين: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني،
واهديني، وارزقني»^(٢).

وأن نقول في الأدعية الماثورة: «اللهم إنني أسألك العفو والعافية في
الدُّنيا والآخرة، اللهم إنني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي
ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي،
ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن
أُغتال من تحتي»^(٣).

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *



(١) سبق تخريجه ص ٣٣.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣.

(٣) رواه أحمد (٤٧٨٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وأبو داود في الأدب
(٥٠٧٤)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٣٢٥)، وابن ماجه في الدعاء
(٣٨٧١)، والحاكم في الدعاء (٥١٧/١) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، عن ابن عمر.



مشاهداتي في الهند

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كُنْتُ فِي زِيَارَةٍ لِلْهِنْدِ^(١)، زِيَارَةً جَامِعَاتِهَا وَمُؤَسَّسَاتِهَا الْعِلْمِيَّةَ وَالدِّينِيَّةَ، وَبَقِيتُ أَسْبُوعَيْنِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْوَاسِعَةِ الشَّاسِعَةِ، وَمِنْ حَقِّكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا شَيْئًا عَنِ الْهِنْدِ، أَوْ عَنِ مُسْلِمِي الْهِنْدِ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَجْهَلَ حَالِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

الْمُسْلِمُونَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فَهَلْ يَصِحُّ لِلْأَخِ أَنْ يَجْهَلَ أَحْوَالَ أَخِيهِ؟

مَا يَجُوزُ هَذَا.

وَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يَقُولُ: «مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَصْبَحْ وَيَمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِإِمَامِهِ، وَلِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ»^(٢).

(١) كَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ جَمَادَى الثَّانِيَةِ ١٤١٧ هـ - أَكْتُوبَر ١٩٩٦ م.

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ (٩٠٧)، وَفِي الْأَوْسَطِ (٧٤٧٣)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ =



فينبغي أن نهتم بأمر إخواننا المسلمين في أنحاء الأرض، ومن هؤلاء المسلمين: إخواننا في الهند.

والهند تربطها ببلاد الخليج روابط قديمة وحديثة، وروابط تاريخية، فيجب أن نتعرفوا على أحوال إخوانكم هناك.

الهند قارة أو شبه قارة واسعة، يبلغ تعدادها حالياً ما يقارب الألف مليون! وهم يتزايدون ويتناسلون.

والمسلمون يقدرّون فيها بما لا يقل عن مائة وخمسين مليوناً، وبعضهم يقول: إنّ المسلمين لا يقلّون عن مائتي مليون، فإنّ الإحصاءات الرسمية تحاول أن تقلّل أعداد المسلمين؛ حتّى لا يطالبوا بحقوق أكثر.

ومعنى هذا أنّ المسلمين في الهند يكادون يقاربون أعداد المسلمين في العالم العربي كلّهُ.

المسلمون في الهند يمثلون التجمّع الثاني للمسلمين في العالم.

أكبر تجمّع للمسلمين في العالم في جمهورية إندونيسيا التي تبلغ الآن المائتي مليون، والمسلمون يشكّلون أكثر من تسعين في المائة (٩٠٪) من عدد سكانها.

والتجمّع الثاني للمسلمين في الهند، قبل باكستان وقبل بنغلاديش.

ليس المسلمون إذن بالعدد الهين أو القليل.

= (٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان، عن حذيفة بن اليمان. والحديث وإن لم يبلغ درجة الصحة، لكن معناه صحيح.

صحيح أنَّهم أقلِّيَّة بالنسبة للكثرة الهندوسية، ولكنَّهم أقلِّيَّة ذات وزن، وذات شأن، ولها أهميتها، ولها تاريخها، ولها دورها في حياة الهند. المسلمون لهم مساجدهم وجوامعهم، لهم مدارسهم وجامعاتهم، لهم ثقافتهم ولغتهم، لهم حياتهم الخاصة المتميزة في ذلك المجتمع الَّذي له سمات خاصَّة، لا توجد في غيره من المجتمعات.

سمات المجتمع الهندوسي:

١ - الوثنية:

المجتمع الهندوسي العام مجتمع وثني، تكثر فيه الأصنام والآلهة، يكاد النَّاس يعبدون كلَّ شيء!

هناك من يعبدون الأنهار، هناك أنهار مقدسة في الهند تُعبد! هناك من يعبدون القردة! هناك من يعبدون الفرج! هناك من يعبدون الشيطان! هناك بعض الجبال تُعبد! هناك من يعبدون البقرة ويقدسونها، وهي إذا سارت في الشارع لا يستطيع أحد أن يمسه؛ بل قال بعض الإخوة المسلمين: رأيت من يأخذ بولها وروثها ويتمسح به!

هذه البقرة الأنثى، أمَّا الثور، فإنَّه يجرُّ الأثقال ويُضرب بالسياط.

الأنثى هي المعبودة، أمَّا الثور الذكر، فليس له قيمة، وكذلك بنت عمها «الجاموسة»، وهي أغلى منها ثمنًا، وأكثر منها نفعًا، وأدسم منها لبنًا، هذه الجاموسة لا تُعبد، بل تسقي الأرض، وتجرُّ المحراث، وتجرُّ العربات، وتعمل ما تعمل، فهم يعبدون البقرة وحدها!

هذا مجتمع وثني معروف.



ومن العجائب حينما كنت هناك وجدت أمام الفندق الذي أسكن فيه تمثالاً من الورق مُعدّاً، قلت لهم: ما هذا؟

قالوا: في يوم الاثنين ستري، هذا الإله «راون»، والإله «راون» تقول عنه الأساطير الهندوسية: إنه اغتصب زوجة الإله «راما»!

وهذه المنطقة - في شمال الهند، في لكنو وما حولها - تقدّس الإله «راما»، ولذلك كلُّ سنة يقيمون تمثالاً للإله الذي اغتصب زوجة إلههم ويحرقونه!

وفعلاً رأيت بعد أيام مئات الآلاف من الناس يتجمعون وهم يشاهدون إحراق هذا الإله المُغتصب! لأنّه إله شرير.

والعجيب أنّه في جنوب الهند يحدث العكس.

في جنوب الهند يحرقون «راما» إله الشمال، هم يعبدون الإله المُغتصب؛ لأنّه الأقوى، ويحرقون خصمه الأضعف «راما»، وهؤلاء وهؤلاء هندوس!

هذا من سمات هذا المجتمع الوثني.

٢ - التناقضات الهائلة:

من سمات هذا المجتمع التناقضات الهائلة، ففيه كبار الأغنياء «المهراجات» الذين يملكون المليارات، ويسكنون القصور المشيدة، ويعبثون بالملايين عبثاً، وهناك أناس آخرون لا يجدون القوت، يبحثون في أكياس القمامة وفي صناديق الزبالة؛ عسى أن يجدوا فيها شيئاً يؤكل من فضلات الناس!

هناك من يسكنون القصور الفاخرة، وآخرون يولدون ويعيشون ويموتون في الشوارع!

رأيت هؤلاء في مدينة «بومباي» وفي «دلهي» القديمة.

وفي مدينة «لكنو» أمام «ندوة العلماء» و«دار علومها» على حافة نهر «كُتن»، وجدت الناس بنوا لأنفسهم (عشًا) عشوائية، وظلّلوها ببعض الأقمشة، ويعيشون فيها، ويبيتون فيها، وهذه هي كل حياتهم.

هذه الهند بلاد التناقضات: فيها الفلاسفة والدكاترة، وفيها الأميون، مئات الملايين من الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

٣ - الطبقة:

ثم هي بلاد الطبقات، التي يُولد كلُّ إنسان عليها، كلُّ إنسان يولد في طبقة هي قدره الأبدي، ولا يستطيع أن يرتقي منها.

هناك أربع طبقات:

هناك الذين خلّقوا من فم الإله!

والذين خلّقوا من ذراعي الإله!

والذين خلّقوا من فخذي الإله!

والذين خلّقوا من تحت أقدام الإله!

وهؤلاء هم الطبقة المنحطة الذين يسمونهم «المنبوذين» الأنجاس.

كان الهنود قديمًا لا يمُسُّونهم ولا يقتربون منهم؛ لأنهم نجس ورجس، إلى أن قام بعض مصلحيهم وخففوا من هذا، وخصوصًا بعد اتصال الهند بالعالم، واتصال العالم بها.

ولازال المتدينون منهم ينكرون التعامل مع هذه الطبقة، وهي تمثّل معظم الهند، أغلبية الهند الساحقة من هذه الطبقة المنبوذة المنحطة، التي ينظرون إلى أصحابها كأنّهم أخط من البهائم، وأذلّ من الكلاب؛ بل هم يعبدون البهائم ويعبدون الحيات وخاصة حية «الكوبرا» المعروفة، وهؤلاء لم يقاربوا أن يكونوا بهائم، أو يكونوا بقراً، أو يكونوا حيّات!

فهذا مجتمع الطبقات، من وُلد في طبقة لا يستطيع أن يرتقي منها. يمكن أن يتعلّم ويحصل على أعلى الدرجات، على الماجستير وعلى الدكتوراه وعلى الأستاذية، وربّما كان نابغة من نوابغ العلم، ويعترف له العالم ويعطيه أعلى الدرجات، يمكن أن يأخذ جائزة «نوبل» في العلوم، ومع هذا يظلّ في طبقته، الطبقات قدّرية لا حيلة للإنسان فيها! هذه هي الهند.

دخول الإسلام الهند:

ولذلك حينما دخل الإسلام الهند، كان شيئاً جديداً وغريباً على هذا المجتمع.

دخل الإسلام الهند من وقت مبكر، في القرن الأوّل الهجري، دخلها عن طريق الفتح، وعن طريق العلماء والدعاة والتجار.

أول من فتح الهند هو ذلك الشاب المسلم: مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد الثقفي، ابن عم الحجاج الثقفي، وهو الذي أرسله إلى تلك البلاد، وهو شاب في ريعان شبابه، ومقبل عمره.

كان في السابعة عشرة من عمره، وظلَّ يُلحَّ على الحجاج لبيعته قائداً للجيش الإسلامي، ليذهب إلى هذه البلاد، وأنا رأيت محطة قطار بالقرب من كراتشي اسمها «محطة مُحَمَّد بن القاسم».

مُحَمَّد بن القاسم هذا الشاب الطموح الذي قال فيه الشاعر:
 إِنَّ السَّامِحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ!
 قَادَ الْجِيوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حِجَّةٍ يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُودْدًا مِنْ مَوْلَدٍ^(١)!
 ليعرف ذلك شبابنا الذين يعيشون في هذه السن وليس لهم مثل
 عُليا، ولا آمال كبيرة يتعلَّقون بها، ويعيشون لها.

هكذا كان الشَّباب الإسلامي: أسامة بن زيد قاد الجيش وهو ابن
 الثامنة عشرة، وهذا قاد الجيش ودخل به في بلاد لم يعرفها من قبل،
 وهو ابن السابعة عشرة!

دخل الإسلام مبكراً في هذه البلاد، وكانت الهند تابعة للدولة
 الأموية أولاً، ثمَّ للدولة العباسية بعد ذلك، ثمَّ للدولة العثمانية، ثمَّ
 حكمها ملوك كبار من المغول، حكموا الهند نحو عدة قرون، وتركوا
 فيها آثاراً واضحة وبصمات بيّنة تدلُّ على رقي المسلمين وحضارتهم،
 وخصائص رسالتهم.

ما كان الهنود يعرفون هذه الحضارة، ولا هذه الفنون الراقية، ولا هذه
 التحف المعمارية.

كلُّ ما تفخر به الهند الآن من آثار سياحية، يشاهدها الناس، ويطلِّع
 عليها السياح من أنحاء العالم هو من آثار المسلمين: القلعة الحمراء في

(١) من شعر يزيد بن الحكم. انظر: تاريخ دمشق (١٦٤/٦٥).

دلهي، منارة قطب الدين، تاج محل إحدى عجائب الدُّنيا السبع - وهو تحفة معمارية فنية لا نظير لها في العالم - الجوامع الكبرى، الحدائق التي لا نظير لها إلخ.

أشياء كثيرة جدًّا في الهند وبعضها الآن في باكستان وفي بنجلاديش، هي من صنع المسلمين؛ فالإسلام ترك آثاره هناك.

حكم الهند ملوك عظام أقاموا العدل، ونشروا الخير بين النَّاس، وفتحوا الممالك، وأقاموا دولة العدل والإحسان، وظلُّوا أكثر من ثمانية قرون.

وكان هناك تفاوت بين الملوك بعضهم وبعض، بعضهم أحيانًا انحرف مثل الملك المشهور «جلال الدين أكبر»، الَّذي اقترب من الوثنية وقرب الوثنيين، وثار على دينه، وكاد ينسلخ من الإسلام أو قل: إنَّه انسلخ بشخصه من الإسلام، وكاد يسلم الدولة الإسلامية في الهند من الإسلام.

ولكن قىض الله للمسلمين من اهتُمُّوا بأبنائه، علِموا أنَّ هذا الرجل سيذهب ويموت، فليضعوا همَّتَهُم في أولاده، وهكذا كان همُّ ذلك العالم المجدد الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، الَّذي وجَّه جهوده لتربية أبناء هذا الملك المنحرف، وفعلاً أثر في أولاده، وظهر هذا الأثر بعد وفاة هذا الملك، وظهر في أحفاده أكثر من ذلك، خصوصًا في ذلك الملك العادل الَّذي عُرف في التاريخ باسم «عالمكير»^(١) أورانك زيب^(٢)، وهو رجل كان ملكًا قويًّا عادلاً شجاعًا مؤمنًا صالحًا، تمسك بالإسلام في نفسه وفيما حوله، ونشر الدعوة الإسلامية، وحكم الهند خمسين عامًا كاملة.

(١) أي: زمام العالم أو قائد العالم.

(٢) أي: زينة الملوك.

كان يقوم الليل، ويحافظ على الفرائض والنوافل، ويقرأ القرآن، ويكتب القرآن بخطه الجميل، كان يتعيش من هذا الأمر، يأكل رزقه من كتابة المصاحف بخطه، كان آية في حسن الخط.

قال عنه العلامة الشيخ علي الطنطاوي: هو سادس الراشدين بعد عمر بن عبد العزيز^(١).

الكثيرون منّا لا يعلمون أنّه هو الذي جمع «الفتاوى الهندية العالمية» في المذهب الحنفي، وهي فتاوى مشهورة، تُعدّ من المراجع المهمّة في الفقه الحنفي.

فهذا الرجل كان من ثمرات التربية الربانية الصالحة التي قام بها العلماء الدعاة المجددون المربون.

المهم أنّ المسلمين ظلّوا حكامًا للهند إلى أن جاء الإنجليز بمكرهم وكيدهم، ودخلوا إلى الهند باسم «شركة الهند الشرقية»، ولا زالوا يعملون عملهم حتّى أقصوا المسلمين عن الحكم.

ولم يكتفوا بذلك، بل مكّنوا لغير المسلمين، وحرّموا المسلمين من حقوقهم.

وظلّ الأمر كذلك، ظلّ هناك صراع بين المسلمين وغير المسلمين حتّى انتهى إلى ذلك التقسيم المعروف، انقسمت الهند وخرجت إلى دولتين: هندستان، وباكستان (التي هي الآن باكستان وبنغلاديش، كانت باكستان الغربية وباكستان الشرقية).

(١) انظر: رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي (٢/٢١٠ - ٢٢٠)، تحت عنوان: بقية الخلفاء الراشدين، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.



وبقي عدد كبير من المسلمين هو الذي نتحدث عنه الآن.

هؤلاء لم يستطيعوا أن يهاجروا، ما كان يمكن أن يهاجر كل المسلمين إلى باكستان، هذا وجود إسلامي راسخ الجذور، عميق الأثر، لا يمكن أن يترك هؤلاء مساجدهم وبيوتهم، ومدارسهم ومزارعهم وأرضهم وتاريخهم، ولذلك بقوا في أماكنهم.

هناك بلاد في الهند إلى الآن فيها مساجد خاوية لا يدخلها أحد؛ فقد هاجر أهلها أو هُجِّروا، والهندوس يريدون أن يحطّموها، ولكن المسلمين يقفون ضدّ ذلك.

يعيش المسلمون في الهند وسط أغلبية من الهندوس، وهذه الأغلبية تغلب عليها تيارات متعصبة، وأحزاب متعصبة.

هناك أناس علمانيون لا يهتمهم أمر الدين، ولا يتعصبون له، ولا ضده؛ فكل إنسان وما اختار لنفسه.

وقد قام على هذا الأساس الدستور الهندي، فقد قالوا: إنّه دستور علماني، لا يتحيز لطائفة من الطوائف ضدّ طائفة أخرى، وقام على أساس ذلك «حزب المؤتمر» الشهير، الذي كان للمسلمين فيه دور كبير، والذي رأسه «جواهر نهرو» وابنته «أنديرا غاندي» وأولادها بعد ذلك.

وكان المسلمون لهم مكان بيّن في هذا الحزب؛ لأن للمسلمين مكاناً مرموقاً في مقاومة الإنجليز، وفي معركة التحرير.

كان المسلمون أعلى صوتاً في معركة التحرير من غير المسلمين، هم الذين قادوا هذه المعارك، وعلماءهم كان لهم دورهم:

الشيخ «محمود حسن» شيخ الهند، والشيخ «الكنكوهي»، ومولانا «أبو الكلام آزاد» الذي حكم عليه الإنجليز بالإعدام، ووقف أمام المحكمة يترافع، ومرافعته تحفة من تحف الأدب السياسي في التاريخ. كان المسلمون لهم دورهم في معركة التحرير.

ولكن تغلب على الهند اليوم تيارات متعصبة كما قلت، وأحزاب هندوسية تقول للمسلمين: من أراد منكم أن يعيش بالإسلام فليذهب إلى باكستان، ارحلوا إلى باكستان، هذه ليست بلادكم، بلادكم باكستان. وهذا في غاية الخطأ؛ فالهند وطنهم، وهم أبناؤها، وهم أصلاء فيها. بعض هذه الأحزاب المتعصبة يحصل على مقاعد كبيرة في البرلمان، وهم كانوا يطمعون أن يحصلوا على أغلبية مطلقة ولكنهم حصلوا على أغلبية نسبية حوالي أربعين في المائة (٤٠٪)، وهذا ليس بالأمر الهين أيضاً، ولذلك نجد إخواننا المسلمين يحسون بالخطر إزاء هذا التعصب المخوف.

مشكلات عدة يواجهها المسلمون:

١ - مشكلة الدعوة الإسلامية:

المسلمون عاشوا دعاة في الهند، نشروا الإسلام في هذا المجتمع بالدعوة، الإسلام لم ينتشر بالسيف، الجيش الإسلامي دخل أماكن محددة وقليلة جداً، لكن سائر الناس دخلوا عن طريق الدعوة الإسلامية.

الآن نرى المسلمين لا يستطيعون أن يدعوا بصراحة إلى الإسلام. منذ عدة سنوات أسلمت قرية بكاملها، وهذه هيجت الشعور



الهندوسي العام، وقامت الدُّنيا ولم تقعد، وذهبوا إلى أهل هذه القرية وما زالوا بهم حتَّى ردُّوهم إلى وثنيّتهم.

المسلمون في الهند ليس لهم حرية الدعوة كما ينبغي، ولذلك كانت نصيحتي لهم أن يدعوا بالحكمة والهدوء؛ دون إثارة ضجّة؛ لأنَّهم حينما أسلم أهل هذه القرية نشروا في الصحف، وعملوا الإعلانات، وهذا لا ينبغي في مثل هذا البلد.

٢ - مشكلة الأحوال الشخصية:

هناك مشكلة أخرى، وهي تتعلّق بالقانون، وخصوصًا قانون الأحوال الشخصية.

قانون الأحوال الشخصية حسب الدستور يحافظ على الشخصية الدينيّة للمسلمين، فللمسلمين قوانينهم في الزواج والطلاق، والإرث والنفقات وغيرها، ولا ينبغي أن يُفرض عليهم ما يخالف دينهم.

ولكن ما بين الحين والحين تثور بعض القضايا، يريدون أن يفرضوا على المسلمين ما ليس من دينهم، وآخرها منذ عدة سنوات حينما حكمت المحكمة لامرأة مطلقة بأن تفرض لها نفقة من مطلقها طوال حياتها أو تتزوج، إذا لم تتزوج تظلّ تأخذ نفقة من المطلق طوال الحياة.

وللأسف، إنّ بعض المسلمين أعطى هؤلاء القضاة مبررًا من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولكن أين هذا المتاع - وهو المتعة التي تُعطى للمرأة: مبلغ معين بمثابة تعويض لها، حتَّى يريح صدرها وضميرها - من نفقة طوال الحياة، وقد أصبحت امرأة أجنبية بالطلاق؟!

هذا لأنَّ المرأة عندهم متصلة بزوجها، بمجرد أن تتزوج المرأة الهندوسية تصبح جزءًا من كيان الزوج، تنفصل عن أبيها وأمها، وتصبح لحمًا في زوجها.

وكان المتبع من قبل أنَّ المرأة تكون تبعًا لزوجها في الحياة وفي الممات، فحينما يموت الزوج يجب على المرأة أن تحرق نفسها لتلحق بزوجها! هذا كان المتبع، ولا زال بعضهم يفعل ذلك إلى اليوم، فهم عندهم هذا الأمر.

لكن الإسلام يقول: المرأة هي زوجة الرجل، هي منه وهو منها، إلى أن تُطلق.

إذا طُلقَت أصبحت امرأة أجنبية، من حقها أن ترتبط بغيره، وأن تتزوج غيره، وأن تعود إلى أسرتها الأصلية، إلى أبيها وأمها.

فلذلك أرادوا أن يفرضوا على المسلمين قانون النفقة الأبدية للمرأة المطلقة.

وثار المسلمون جميعًا ووقفوا وقفة رجل واحد، وكان في هذا الاتحاد قوّة للمسلمين، فلم يستطع القضاء الهندوسي أن يفرض ما كان يفرضه.

وأنشأ المسلمون مجلسًا للأحوال الشخصية لعموم الهند، وهو يرأسه الآن العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي.

٣ - مشكلة التعليم:

هناك أيضًا قضية تتعلق بالتعليم، المفروض أنَّ الدستور العلماني يضمن لكل فئة أن تعلّم أولادها دينها بالطريقة التي تراها، وأن يكون التعليم محايدًا لا يفرض عقيدة من العقائد على المتعلّمين.



ولكن الذي حدث الآن أنّ التعليم أصبح يتضمن عقائد هندوسية، ويدرس الطالب في الهند كأنها بلد هندوسي وثني تمامًا، وكأن المسلمين لا وجود لهم، ويدرس تاريخ الهند على أن لا وجود للإسلام في هذا البلد، وبدأ يغير التعليم العقلية التي تتعلم، وهذا ما يحتاج عليه المسلمون.

٤ - مشكلة اللغة:

أيضًا هناك مشكلة اللغة، المسلمون لغتهم لغة «أوردو» وهي لغة خليط من الفارسية والهندية والعربية، وتكتب بالحرف العربي، وهناك نجد الحكومة تريد أن تقاوم هذه اللغة، وأن تحذفها من التعليم ومن الحياة؛ لأنها لغة الإسلام والمسلمين، لغة الثقافة الإسلامية، والعلوم الإسلامية.

٥ - مشكلة الأمن:

هناك مشكلة أخرى تتعلق بأمن المسلمين، المسلمون باعتبارهم أقلية يتعرّضون في كثير من المحافظات والولايات إلى اضطهاد الأكثرية، وتقوم بين الحين والحين اصطدامات دموية عنيفة.

ولا زلنا نذكر جامع «بابري» الذي هُدم، وخطبت في شأنه خطبة من فوق هذا المنبر، وكيف هدمه هؤلاء بزعم أنه كان تحتة معبد لإله من آلهتهم!

وهذه حجة يقولونها كلما أرادوا أن يهدموا أثرًا من الآثار الإسلامية؛ بزعم الأساطير التي عندهم، والتي ليس لها حقيقة تاريخية.



٦ - المشكلة الاقتصادية والسياسية:

وهناك المشكلة الاقتصادية والسياسية؛ فالمسلمون لا يأخذون حقّهم بنسبتهم العددية في وظائف الدولة، لا يأخذون حقّهم في الجيش، ولا في الشرطة، ولا في الوظائف الإدارية ولا في غيرها.

وهذا يؤثر على الوضع الاقتصادي للمسلمين، فكأنهم ليسوا مواطنين في الدولة، فلا ينتفعون بخيراتها كغيرهم!

قليل من المسلمين يمسكون ببعض الوظائف الكبيرة، وهؤلاء من بقايا العهد الإنجليزي، وأمّا في عهد الاستقلال فيكادون يطردون المسلمين من هذه الوظائف.

وكلّ هذا يشكّل خطرًا على الجماعة الإسلامية في الهند، ولا ينقذ المسلمين من هذا إلا أن يتوحدوا، وأنا قلت هذا حينما كنت هناك، وقلت لهم هذا من قبل.

وأنا زرت الهند خمس مرات، وفي إحدى المرات حضرت أكبر تجمّع في حياتي في الاحتفال بمرور مائة وخمسة عشر عامًا على تأسيس جامعة «ديوبند» التي يسمونها: «أزهر الهند»، وحضر هناك نحو مليوني شخص، أكبر تجمّع رأيته في حياتي، وتكلّمت كلمة وقلت لهم: أنتم أقلية، ولكنكم لستم بالعدد القليل، أنتم التجمّع الإسلامي الثاني في العالم، ولا يمكن أن تقوم لكم قائمة إلا إذا توحدتم، أنا أعرف أنّ الأقليات في العالم كلّها تتضام وتتلاحم، وتتوحد فيما بينها لتحافظ على هويتها وشخصيتها، وحرماتها وحقوقها أمام الأكثرية، وإلا أكلت وسُحقت وديست بالأقدام.



كلُّ الأقليات تتجمع وتتوحد إلا الأقليات الإسلامية للأسف!

قلت: وأنتم مثل لهذا، أنتم عدد ضخم (مائة وخمسون مليوناً أو يزيدون) لماذا لا تتحدون؟ لماذا لا تقفون صفّاً واحداً كالبنين المرصوص؟!

كُن ما شئت، من خريج أي جامعة: من ديوبند، أو من مدرسة مظاهر العلوم، أو من الإصلاح، أو الفلاح، أو ندوة العلماء، كن من أهل الحديث، أو من الجماعة الإسلامية، أو من جماعة التبليغ، أو من أي جماعة شئت، ألسنت مسلماً، تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟

لماذا لا نجتمع على ما يصير به المسلم مسلماً، على الحد الأدنى من الإسلام؟

يكفي أن نكون من أهل القبلة، لنقف معاً ضدّ هذا التيار الذي يريد أن يقتلعنا من جذورنا، لا يجوز أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا المكر الكُبار، والكيد العظيم، الذي يكيده لنا أعداؤنا، وقد حدّدوا الهدف، ووضعوا الخطط، وقدّروا المراحل، وشرعوا في التنفيذ، وبدأت تظهر النتائج.

لا يجوز لنا أن نقف متفرّجين، أو نصمّ آذاننا، ونغشي أبصارنا، وندفن رؤوسنا في الرمال، والحقائق تواجهنا، والمصير يزعجنا ويقلقنا.

لا بدّ أن نقف ونحدّد أيضاً هدفنا، ونضع خططنا، نستطيع أن نفعل الكثير، لا بدّ أن نرقى بمستوى المسلمين في الهند، المستوى الثقافي والتعليمي.

قلت للمسلمين هناك: أطلقوا أبناءكم وبناتكم من تلاميذ الجامعات والمدارس في العطل، يعلّمون المسلمين والمسلمات ألف باء القراءة والكتابة، يمحوون الأمية.

لا يجوز أن يبقى المسلم في هذا العصر أميًا لا يقرأ ولا يكتب، لا بدّ من حملة يقودها العلماء والدعاة؛ لرفع المستوى الفكري والتعليمي لهذه الأمة.

ومن ناحية أخرى: يجب أن نرفع المستوى الاقتصادي للمسلمين، بمعنى أنّه لا بدّ أن يتعاون المسلمون فيما بينهم لإنشاء مؤسسات وشركات.

قد لا يستطيع الفرد وحده أن يصنع شيئًا، ولكن القليل على القليل كثير، والبحر من قطرات، والجبل من حصيات، فلا بدّ أن نتعاون فيما بيننا حتّى نرفع شأن المسلمين اقتصاديًا.

ولا بدّ أن نرفع من شأن المسلمين اجتماعيًا، بمعنى أن بعضنا يساعد بعضًا، القوي يأخذ بيد الضعيف، والمليء يصبّ على الفارغ، والغني يعطف على الفقير، فنحن أمة واحدة، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا»^(١).

لا بدّ أن نخطّط للمستقبل، ونتجمّع فيما بيننا، وننسى الخلافات الجانبية والمعارك الجزئية، ونقف للمعركة الكبرى معركة الوجود الإسلامي: هل نكون أو لا نكون؟ هل نبقي في الهند أو لا نبقي؟ هل تظل «الله أكبر» و«لا إله إلا الله» ترتفع بها المآذن أو لا؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.



هذه هي القضية الأساسية، وهذا ما ينبغي أن نقوله لإخواننا ونكرّره. وأحمد الله أنني وجدت كثيرًا من الوعي وكثيرًا من الاهتمام، وأصبح المسلمون يعرفون الخطر الذي يواجههم، ولا بدّ أن يواجهوا هذا الخطر، خطر التعصب والكراهية ضدّ الوجود الإسلامي.

إنّهم الآن - أي: الهندوس - لا يسمحون بإقامة مساجد في المناطق الجديدة، وكثيرًا ما تكون شاسعة واسعة، سرت في مدينة «حيدر آباد» العريقة، المدينة القديمة أجد فيها مساجد، والمدينة الجديدة لا أجد فيها أية مساجد، قلت لهم: ألا يوجد هنا مسلمون؟

قالوا: يوجد كثيرون.

قلت: أين يصلّون؟

قالوا: يصلّون في المدينة القديمة.

قلت: ولم لا يكون لهم مساجد؟

قالوا: السلطات لا تسمح بإقامة مساجد! بل بالعكس هم يريدون هدم المساجد القديمة إن استطاعوا بحجة أو بأخرى.

يستطيع المسلمون أن يقيموا المساجد الصغيرة في القرى بعيدًا، أمّا في المدن فلا يستطيعون شيئًا.

لا بدّ للمسلمين إذن أن يواجهوا مصيرهم بشجاعة وبذكاء، وبعقل وحكمة.

وعلى المسلمين في العالم العربي والعالم الإسلامي أن يشدّوا أزرهم، أن يقفوا وراءهم، أن يُشعروا الهند أنّ هؤلاء المسلمين جزء

منهم، لا يجوز لكل جماعة أن تعيش وحدها، ولكل شعب أن يتصرف وكأنه وحده في العالم، لو فعلنا ذلك لأكلنا وانتهكت حرماننا، وضيعت حقوقنا.

نحن إنما نكون قوة إذا اتحدنا، الاتحاد يقوي القلّة، والتفرّق يضعف الكثرة.

الكثرة تضعف بتفرّقها، والقلّة تقوى باتحادها، والله تعالى قد حذّرنا من التفرّق: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وليس الأمر مقصوراً على سوء العاقبة في الآخرة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ولكن سوء العاقبة في الدنيا أيضاً؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال ﷺ: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه من كل ذنب، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أركان الإسلام: إيتاء الزكاة، وهي الركن الثالث في الإسلام، بعد الشهادتين وإقامة الصلاة.

وقد قرن القرآن الزكاة بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعاً، منه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] لا يَحِلُّ سَبِيلَ الْمُشْرِكِ إِلَّا بِالتَّزَامِهِ بِالْبَعْدِ عَنِ الشِّرْكِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.

وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ١١] لا يستحق المرء أخوة المسلمين الدينية؛ إلا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ولا يستحق رحمة الله إلا بإيتاء الزكاة وإقامة الصلاة: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١] لا يستحق رحمة الله إلا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة.

وقد أقامت وزارة الأوقاف صندوقاً للزكاة، فمن ليس له أقارب يعطيهم أو أناس يعرفهم تماماً، فليدفع إلى هذا الصندوق، وليبرئ ذمته،



ولا يجوز أن يغلبه الشحُّ وحبُّ الدُّنيا وحبُّ المال، ويضيع حقَّ الله تعالى، فلا يكسب في دنيا ولا أخرى.

أسأل الله تعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، إنَّه سميع قريب.

* * *





القنبلة النووية الباكستانية وقضية كشمير^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تزاحمت عليّ في هذه الأيام الموضوعات التي تفرض على الإنسان المسلم أن يتحدّث عنها، أو يعلّق عليها، ويذكّر إخوانه المسلمين بها، وبواجبهم نحوها.

أتحدّث عن قضية المسلمين الأولى التي مازلنا نبدئ فيها ونُعيد، ولن ينتهي الحديث عنها: قضية فلسطين، قضية القدس، قضية المسجد الأقصى، التي تتعرض لأشدّ الأخطار، والتي لا نجد للأسف من يقوم بشأنها كما يجب القيام؛ إلّا أولئك الأبناء الذين وضعوا رؤوسهم على أكفّهم وأرواحهم في أيديهم، وقد باعوها لله تعالى: أبناء حماس والجهاد، ومن عدا ذلك فهم في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

على حين يقول «نتنياهو» بصريح العبارة لا بالإشارة: لست مقتنعاً بالسلام مع العرب!

(١) أُلقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة، ٣ صفر ١٤١٩هـ، الموافق ٢٩ مايو ١٩٩٨م.



ولا زال يؤكد أنَّ مُلك إسرائيل «من الفرات إلى النيل».

ولا زال رجال الكونجرس الأمريكي يعلنون أنَّ سفارة أمريكا ستنتقل إلى القدس في العام المقبل.

هل نتحدّث عن هذه القضية؟

أو نتحدّث عن قضية أخرى فرضت نفسها في تلك الأيام: قضية إندونيسيا.

أكبر بلد إسلامي تعرّض للمؤامرات وتعرّض للمغامرات، المؤامرات من القوى الغربيّة الكائدة والحاقدة، الّتي تضمّر الشرّ للمسلمين، والّتي عزّ عليها أن يكون في النمرور الآسيويّة نمران إسلاميّان: إندونيسيا وماليزيا، فكادت كيدها، ومكرت مكرها، حتّى توقع هذين البلدين الإسلاميين في مشكلات اقتصادية؛ لتتشغل هذه البلاد بأنفسها وبمتاعبها عن طموحاتها.

هذا ما حدث في ماليزيا، ونرجو - إن شاء الله - أن تتغلّب ماليزيا على مصاعبها ومتاعبها، كما لاحظت ذلك في زيارتي القريبة لها، وهي متغلّبة عليها إن شاء الله.

أمّا إندونيسيا فقد كان فيها الاستبداد، وإذا وُجد الاستبداد زرع الفساد، زُرعت السرقات والاعتصاب، الّذين يسرقون الشعوب بالملايين بل بالبلالين، وهذا سبب ما حدث من إثارة واضطرابات أدّت إلى ما أدّت إليه، وانتهت بخروج «الدكتاتور» المستبد، ووجود حكومة جديدة تعلن الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي، وتعدّ بإجراء انتخابات، وعلى الله قصد السبيل، وأسأل الله أن يوفّق الحكومة الجديدة في خطواتها لإخراج إندونيسيا من أزمتها.

أَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؟ أَمْ أَتَحَدَّثُ عَنْ قَضِيَّةٍ أُخْرَى فَرَضْتُ نَفْسَهَا عَلَى الْعَالَمِ؟

القنبلة الإسلامية النووية:

هذه القضية حدثت بالأمس فقط: إنها القنبلة الإسلامية النووية، إنها التفجير الباكستاني النووي^(١)، خمس تجارب أجرتها دولة باكستان الإسلامية ردًا على التجارب الهندية التي كانت تشكّل خطرًا أكيدًا على باكستان؛ بل على العالم الإسلامي كلّهُ، فالهند متحالفة تحالفًا ظاهرًا وخفيًا مع إسرائيل، يجب أن نعلم هذا أيها الإخوة.

من قديم والهند متحالفة مع إسرائيل، إسرائيل تمولها اقتصاديًا، وتعينها تكنولوجياً، وساعدتها في أوّل محطة للطاقة أنشأتها الهند سنة ١٩٦٩م، وما زالت متعاونة معها؛ لأنها ترى أنّ عدوها الأوّل وخصمها اللدود هو باكستان، وباكستان جمهورية إسلامية.

فإسرائيل تعلم من هو عدوها، وترى أنّ البلاد الإسلامية كلّها أعداء لها. ولذلك كانت تعمل بكلّ جهدها للحيلولة بين باكستان والوصول أو الدخول في النادي النووي، كما حالت قبل ذلك حينما ضربت المفاعل

(١) كان ذلك يوم الخميس ٢٨ مايو ١٩٩٨م، وكتب الأستاذ الدكتور أحمد العسّال من هناك يقول: وكم كان ابتهاج الشعب عظيمًا وفرحه غامرًا؛ بنجاح التجارب حين خرج النَّاسُ إلى الشوارع في كلّ مكان يوزعون الحلوى، ويذهبون إلى البرلمان للتعبير عن سعادتهم، ثم كيف كانت المساجد غاصّة بالنَّاس يوم الجمعة التي تلت يوم التفجير، وأقيمت صلوات الشكر، ومُدت الأكف، وابتهلت القلوب بالدعاء إلى الله ﷻ أن يحفظ باكستان ويعينها على الدفاع عن الإسلام، والذود عن حماه وحرمة، شيء فاق الوصف وذرفت الدموع تضرعًا وشكرًا للحي القيوم. مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٣٠٣)، ١٤ صفر ١٤١٩هـ - ٩ يونيو ١٩٩٨م.

النُّووي العراقي، وكما فعلت قبل ذلك حين قتلت أعدادًا من الخبراء المصريين الذين يدرسون في الغرب، من النُّوابع والعباقرة الذين وصلوا إلى درجات عالية جدًا في الفيزياء النووية، فمازالت إسرائيل وراءهم حتّى قتلتهم.

صحيح لم يثبت البوليس، ولم تثبت التحقيقات أيادي إسرائيل، ولكن كلّ الدلائل وكلّ البراهين تشير بأصابع الاتهام إلى إسرائيل.

إسرائيل تعرف من عدوها، ولذلك تقف مع الهند ضدّ باكستان، وكانت في هذه الأيام تريد أن تضرب باكستان ضربة حتّى لا تردّ على التفجيرات النووية الهندية، ولكن باكستان كانت يقظة، وكانت حذرة، وكان الله معها.

ولم تستطع إسرائيل أن تحقّق أهدافها في ضرب باكستان، ومنعها من تفجيراتها النووية الناجحة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

كان لا بدّ لباكستان أن تردّ هذا الردّ، وأن تحقّق التوازن النووي «توازن الرعب» كما يقولون.

ومنذ سنة ١٩٧٦م وبباكستان تعمل جهدها حتّى تحقّق القدرة النووية، والغرب يكيد لها، ويتربص بها، ويحاول منعها، وأقاموا الدُّنيا وأقعدوها حينما استطاعوا أن يأتوا ببعض مادّة «اليورانيوم» من هنا أو هناك.

ولكن الباكستانيين - منذ أن فجرت الهند تفجيراتها الأولى سنة ١٩٧٤م - صمّموا وعزموا، وأصرُّوا على أن يمتلكوا القدرة النووية، وهذا من حقّهم.

ولهذا فنحن نهني أنفسنا، ويجب أن يهني المسلمون بعضهم بعضاً، بما حقّقه باكستان المسلمة.

لقد أفلقت هذه التجربة الباكستانية الغرب كلّ الإقلاق، وأرعبت إسرائيل كلّ الإرعاب، وأزعجت الهند كلّ الإزعاج، وزلزلت القوى المعادية للإسلام والمُتربّصة بالمسلمين في أنحاء العالم زلزالاً! لِمَ؟ لا أدري لِمَ؟

امتلك غير المسلمين للقنبلة النووية:

امتلك النَّاس من الديانات المختلفة القوّة النوويّة:

اليهوديّة - على رغم قلة أعداد أهلها في العالم - مُمثّلة في إسرائيل ملكت القنبلة النوويّة.

تمتلك إسرائيل أكثر من مائتي قنبلة نوويّة، تُهدّد بها العالم العربي والعالم الإسلامي، تمتلك ترسانة نوويّة بتأييد الغرب، وتمويل الغرب.

والمسيحيّة بمذاهبها الثلاثة الكبرى: المسيحيّة «البروتستانتية» مُمثّلة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا تملك القنبلة النوويّة.

والمسيحيّة «الكاثوليكية» مُمثّلة في فرنسا تملك القنبلة النوويّة.

والمسيحيّة «الأرثوذكسيّة» مُمثّلة في روسيا تملك القنبلة النوويّة.

والبوذية تملك القنبلة النوويّة مُمثّلة في الصين.

والهندوسيّة تملك القنبلة النوويّة مُمثّلة في الهند.

لماذا لا يملك الإسلام؟!

فلماذا يُفرض على الإسلام وحده أن يكون أعزل لا يملك القوة؟! لماذا لا تملك باكستان المسلمة القوة النووية، والقنبلة النووية؟ إنَّ من حقِّ باكستان، ومن حقِّ المسلمين أن يدخلوا العصر النووي. لا يمكن أن يقوم سلام بين مُسلَّح وأعزل، بين الناب الجارح أو المخلب الجارح واللحم الطَّريِّ، بين الذئب والحمل. السَّلام لا يقوم أبدًا بين القويِّ والضعيف، وإنَّما الَّذي يتحقَّق هو قهر القويِّ للضعيف، وسيطرة المُسلَّح على الأعزل. إنَّ رئيس وزراء باكستان قال بالأمس في ثقة المؤمن وإيمان الواصل: الآن نفتح باب الحوار مع الهند، ولا نمنع أن نقيم معاهدة عدم اعتداء بيننا وبين الهند. من منطق القوة، من منطلق امتلاك القوة النووية يتحدَّث رئيس وزراء باكستان، أمَّا إذا كان لا يملك شيئًا؛ فماذا يستطيع أن يفعل؟ إنَّ العالم قد هاج هياجه من أجل ما صنعت باكستان، ولم نسمع صيحة قوِّية ولا تأييدًا قويًّا من بلاد العرب والمسلمين. سهرت ليلة أمسٍ لأسمع الإذاعات، وأرى القنوات المختلفة، فلم أجد تصريحًا لرئيس مسلم أو ملك مسلم، أو أمير مسلم أو مسؤول مسلم يقول: نحن مع باكستان، ولا أدري لِمَ كلُّ هذا الخوف؟ لِمَ كلُّ هذه الهزيمة النفسية؟

باكستان تُهدِّد:

«كلينتون» يهدِّد باكستان، وحلف الأطلسي يهدِّد باكستان، والغرب يهدِّد باكستان بعقوبات اقتصادية شديدة وقاسية، فليكن ما يكون.

لقد نادى رئيس وزراء باكستان أبناء شعبه أن يشدوا الأحزمة على بطونهم، وأن يستعدوا لمرحلة قادمة، مرحلة التقشف، مرحلة البعد عن الكماليات، إنها مرحلة حرب اقتصادية؛ بل ربّما تكون حربًا أكثر من اقتصادية؛ فإسرائيل تهدّد، والهند تهدّد بضرب المنشآت النووية، فلا بدّ أن تكون باكستان مستعدة على قدم وساق.

ونحن نقول لباكستان: نحن الشعوب الإسلامية - لا نستطيع أن نتحدث باسم الأنظمة الحاكمة، إنّنا نتحدث بلسان الشعوب المحكومة - نقول لإخوتنا في باكستان: نحن معكم، ونحن من ورائكم، نشدّ أزركم، ونقوّي ظهركم، ونضع أيدينا في أيديكم، قلوبنا معكم، وأيدينا معكم، وألسنتنا معكم، ندعو لكم أن يؤيدكم الله بنصره، وأن يحميكم من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين.

نحن ندعو لإخوتنا في باكستان؛ فإنّهم لم يظلموا أحدًا، لقد فعلوا ما توجبه السيادة الوطنية، من حقّهم أن يمتلكوا ما امتلك غيرهم.

لم يرتكبوا إثماً، ولم يقتربوا جرمًا، ولم يخالفوا قانونًا دوليًا، إنّهم ما دخلوا في معاهدة حظر الانتشار النووي أو حظر التجارب النووية، كما فعل للأسف أكثر العرب، أكثر العرب دخلوا في هذه المعاهدات، ولا أدري ما السرّ في دخول هذه المعاهدات، وقبولهم أن يوقعوا عليها، وبجوارهم إسرائيل تملك ما تملك من هذه الأسلحة المدمّرة؟!!

لقد أصرّ العالم الجديد أو النّظام العالمي الجديد أو القُطب الأوحد - الذي يريد أن يحكم العالم - على أن يجرد العراق من كلّ أسلحته النووية والكيماوية وغيرها، وأن يجرده حتّى من القدرة العلمية، يريد أن يدمّره.

فلماذا لم يطالبوا إسرائيل بما طالبوا به العراق؟!!

هذا هو «المعيار المزدوج»، إنهم لا يتعاملون مع الناس بمنطلق واحد، ولا بمعيار واحد، إنهم «المطففون»، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿[المطففين: ٢، ٣].

إنَّ الحقَّ ليس واحدًا عندهم، إنَّ الحقَّ يتلون بلون من يتعاملون معه. يا أيُّها الإخوة، يجب أن يدخل المسلمون العصر النووي، لا بدَّ من أن نبين للناس أنَّ المسلمين ليسوا لحمًا طريًّا يأكله من يريد، وليسوا فريسة سهلة كما يتراءى لأعدائهم، إنَّ لحمهم مسموم، لا يستطيع من أراد أن يأكلهم أو يفترسهم أن يمضغ ذلك بسهولة ويبتلعه بسهولة.

نحن أمّة الجهاد، نحن الأمّة التي فرض الله عليها أن تدافع عن نفسها، فإما أن نعيش عيش الأعزّاء، وإما أن نموت موت الشهداء: ﴿هَلْ تَرَبَّصُوا بِنَا إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

إنَّ ما نأسف له أن تقف الهند هذه المواقف مع إسرائيل، وتتحالف معها سرًّا وعلانية، وأن تقف ضدَّ باكستان المسلمة، وأن تقف ضدَّ حقوق المسلمين في الداخل، كما هدمت مسجد «بابري»، وأن تقف ضدَّ كشمير، والمسلمون في باكستان ليسوا إلا جزءًا من الأمّة الهندية، فإن خالفوهم في الدين، فهم منهم في العرق والأصل.

قضية كشمير:

كان ممّا يُنتظر - لو لم تحدث هذه التفجيرات الباكستانية - أن تُغير الهند على كشمير الحرة؛ لتبتلعها وتضمّها إليها بالقوة، كما فعلت مع كشمير المحتلة.



كشمير - أيها الإخوة - وما أدراكم ما كشمير؟

إنَّها القضية الإسلامية المنسية، القضية التي أغفلها المسلمون، ولم يضعوها في بؤرة اهتمامهم.

قضية كشمير قضية إسلامية، الظلم فيها واضح، والحقُّ فيها بيّن.

حينما قُسمت شبه القارة الهندية بين دولتين: الهند وباكستان، كان قرار التقسيم - كما قرَّره الأمم المتَّحدة - يقضي أنَّ كلَّ منطقة فيها أغلبية هندوسية تكون من حقِّ الهند أو «هندستان»، وكلَّ منطقة فيها أغلبية إسلامية فهي من دولة باكستان، وكان المفروض وفقًا لهذا أن تكون كشمير ضمن دولة باكستان.

فكشمير أغليتها الساحقة مسلمون - خمس وثمانون في المائة (٨٥٪) من سكانها مسلمون - وهذا من نحو ستة قرون، حينما أسلم ملكها وأسلم الكثيرون معه، وانتشر الإسلام فيها، وأصبحت ولاية إسلامية «ولاية جامو وكشمير».

كان مقتضى قرار التقسيم أن تكون كشمير وجامو مع باكستان، ولكن لأنَّ الذي كان يحكم كشمير في ذلك الوقت ملك هندوسي جاءت الهند بوثيقة مزوَّرة وقالت: إنَّ ملك هذه البلاد رغب في الانضمام إلى الهند!

والمسألة ليست بالرغبة.

لقد كان الذي يحكم «حيدر آباد» أميرًا مسلمًا، والأغلبية في حيدر آباد وثنية هندوسية، وإن كان فيها أقلية مسلمة كبيرة ولها وزنها، ولكن ضُمَّت حيدر آباد إلى الهند، دون اعتبار بحكامها.

وكان المنطق العادل والمقابل أن تُضم كشمير إلى باكستان، ولكن الهند كان لها مطامع في كشمير. كشمير أيها الإخوة هي جنة الله في أرضه، من لم ير كشمير لا يعرف حقيقتها.

كشمير جنة الله في أرضه، فيها من الحدائق والبساتين، والسهول الخصبة والمزارع، والأنهار والبحيرات والقمم الشاهقة: ما لا يُوجد في غيرها. وأهلها عندهم من الذكاء والنشاط والصناعات ما فاقوا به المسلمين في الولايات الأخرى.

ولذلك طمعت الهند في كشمير، وضمتها إليها. ولم يستسلم الكشميريون، وقاموا، وجاهدوا حتى حرّروا ثلث هذه الولاية، أو ما يسمى الآن «كشمير الحرة».

ثم خدعت الأمم المتحدة باكستان، ورفعت القضية إلى مجلس الأمن وقالت: إننا مستعدون أن نجري استفتاء في هذه الولاية ليقرر أهلها: ماذا يختارون؟ أينضمون إلى الهند أم ينضمون إلى الباكستان؟ أم يكونون دولة مستقلة؟ ووافق مجلس الأمن على ذلك.

وكانت الهند تريد أن تكسب وقتًا حتى تثبت أقدامها، وتُعدّ عدتها، وتهيئ جنودها، وتسيطر على الولاية سيطرة كاملة في كل شيء، وهذا ما حدث.

ففي سنة ١٩٥٧م - أي: بعد عشر سنوات من قيام الهند وباكستان كدولتين - أعلنت الهند ضم كشمير بالقوة إليها.

وبدأت تحاول مسح شخصيتها، وتعلّم المسلمين الهندوسية في المدارس؛ ليخرج المسلم من المدرسة، وهو لا يعرف شيئاً عن دينه. وأخذت تفرض على المسلمين التقاليد الهندوسية، والقيم الهندوسية.

ولكن المسلمين رفضوا ذلك من أوّل يوم، وكانوا يقاومون ويجاهدون ما بين الحين والحين، وسقط منهم من سقط من الشهداء.

ولما جاءت سنة ١٩٩٠م - منذ نحو ثماني سنوات أو أكثر قليلاً - بدأ الجهاد الحقيقي، وبدأت حركة الجهاد لتحرير كشمير، وهي حركة شعبية إسلامية، انضم إليها عشرات الآلاف من أبناء كشمير، وبدؤوا يقاومون الجيش الهندي الوحشي المكوّن من نحو ثمانمائة ألف (٨٠٠٠٠٠) جندي هندي!

ولكن عشرات الآلاف من أبناء الإسلام الذين صمّموا على الجهاد والبذل دوّخوا هذا الجيش وأرعبوه، حتّى إنّ بعضهم كان يهرب من الجيش؛ فراراً ممّا يفعله بهم المسلمون، وبعضهم كان يطلب إجازات، وبعضهم يطلب التسريح من الجيش، فكان من الضباط من يقتل الجنود الذين يطلبون هذه الإجازات.

لم يستطع الجيش أن ينتقم من المجاهدين، فوجّه نقمته إلى المدنيين البراء، الذين لا يملكون سلاحاً، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم، فقتلوا الآلاف وعشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، ودمّروا الآلاف من البيوت، ومن المساجد، ومن المدارس، ومن المكتبات، ومن كلّ ما يملك المسلمون، وفعلوا الأفاعيل بوحشية لا نظير لها، حتّى إنهم اغتصبوا النساء جهاراً نهاراً.

كانوا يغتصبون الزوجة أمام زوجها، والبنت أمام أبيها، والأم أمام ابنها، والأخت أمام أخيها، لا يبالون بأحد، وبعد أن يغتصبوهن اغتصاباً جماعياً عياناً بياناً يقتلونهن، عدة جنود يتعاورون على المرأة الواحدة حتى تنتهي، فإن لم تنته بالفعل أنهوها بالقتل، وقطعوا أجزائها وفعلوا فيها ما فعلوا من تمثيل وتشويه.

هذا ما يحدث في كشمير المسلمة.

وهناك تعقيم إعلامي على ما يجري هناك، الهند لا تسمح بأن يأتي مندوب صحفي أو مندوب تلفزيوني، أو بأي وسيلة من وسائل الإعلام لتدخل هذه المناطق.

استطاع بعض الناس أن يتسللوا إليها حتى من الهنود أنفسهم، وكتبوا عن هذه المجازر، وكتبوا عن هذه المآسي وهذه المآثم التي تحدث، وكتبوا ذلك إلى لجان حقوق الإنسان في العالم.

ونحن العرب والمسلمين كأنّ الأمر لا يعنينا، كأنّ هؤلاء الإخوة - وهم نحو ثلاثة عشر مليوناً يسكنون ولاية جامو وكشمير - ليسوا إخوة لنا، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والرسول ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه»^(١)، أي: لا يخذله، لا يتركه، لا يتخلى عنه، فكما أنّ الظلم حرام من المسلم للمسلم، فتخلي المسلم عن المسلم حرام.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البرّ والصّلة (٢٥٨٠)، عن

ويقول عليه السلام: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنیانِ يشدُّ بعضُهُ بعضًا»^(١)، «مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحُمَّى»^(٢).

إنَّ قضيةَ كشمير قضيةٌ إسلاميةٌ منسيةٌ من المسلمين ومن العرب، وينبغي أن نكون مع إخواننا، نمدُّ إليهم ما استطعنا من العون المادي والأدبي، والسياسي والدبلوماسي، والفكري والروحي.

على الأقل ندعو لهم في صلواتنا أن ينصرهم الله على عدوهم، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن ينصرهم نصرًا عزيزًا.

أشد الناس عداوةً للمسلمين إسرائيل والهند:

إنَّ الهند عدوانية بطبيعتها، هي أشبه بإسرائيل في كلِّ شيء.

إسرائيل عدوانية، والهند عدوانية، والله تعالى قد جمع بين الاثنين حينما قال في كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ومن قديم وقف اليهود في المدينة مع مشركي مكة الوثنيين ضدَّ مُحَمَّدٍ ﷺ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنَ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

(١) سبق تخريجه ص ١٠٢.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البرِّ والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن

بشير.

قالوا: إِنَّ المشركين والوثنيين أهدى من مُحَمَّد والمؤمنين معه! وهم أهل كتاب مثلهم ويدعون إلى التوحيد!

هؤلاء الهنود لهم مطاعم في البلاد التي تحوطهم، هكذا ذكر كثير من قادتهم في كتبهم بصراحة، وأنه لا أمان لهم إلا إذا استولوا على نيبال وعلى باكستان وبنغلاديش وبورما وأفغانستان وماليزيا، حتى يصلوا إلى سنغافورة!

هكذا قالوا.

بل قالوا: إنه لا بدّ لنا أن نؤمن البوابتين الرئيسيتين: سنغافورة وقناة السويس!

تصوروا هذه مطاعمهم، حتى قال من قال منهم: إِنَّ الكعبة كانت معبدًا هندوسيًا قديمًا والعرب استولوا عليه!

كأنّ لهم مطاعم حتى في الكعبة، ولا نستغرب من هذه الأشياء، فقد كنا نقول عن مطاعم اليهود: إنها «هلوسات وأضغاث أحلام»، ولكن كثيرًا ما تصبح أضغاث الأحلام حقائق واقعة؛ حينما يغفل الناس عن مصايرهم، وحينما يلهون عن حقائق الوجود من حولهم.

إننا مع هذا للأسف نفتح الصدور، ونفتح الأبواب والدور، للهنود المشركين، يملؤون ساحاتنا، ويدخلون بيوتنا، ويساكنوننا، ويربون أولادنا، وندفع إليهم أموالاً ورواتب؛ تتحول إلى خناجر وأسلحة ضدّ إخواننا المسلمين.

أين الوعي العربي الإسلامي؟ أين صحوة هذه الأمة؟!



يجب أن نعرف: من لنا ومن علينا؟ من هو صديقنا ومن هو عدونا؟
 وإذا عرفنا ذلك، فقد سِرنا خطوة أولى في الطريق الصحيح.
 نسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سُبُلنا، وأن يهيئ لنا من
 أمرنا رشداً، وأن ينصرنا على عدوه وعدونا، إنه سميع قريب.
 أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور
 الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الرحلة إلى اليابان^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:
أريد أن أحدثكم عن رحلتي الأخيرة إلى اليابان.
فقد زرت اليابان قبل ذلك مرتين: مرّة في أواسط السبعينيات، ومرّة
في أواخر السبعينيات من هذا القرن العشرين.
وهذه هي المرة الثالثة.

في المرتين السابقتين كان الوجود الإسلامي في اليابان ضعيفاً، فلم
أحس به، ولكن في هذه المرة أحسست بهذا الوجود.
والدعوة جاءتني من المراكز الإسلامية هناك، فقد أصبحت هناك
مراكز، وأصبحت هناك مساجد، وأصبحت هناك أماكن تجمّع فيها
المسلمون، وأصبح هناك مسلمون يدرسون من البلاد الإسلامية.
انفتحت اليابان على العالم، وكانت مغلقة على نفسها من قبل،

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٢ المحرم ١٤١٨هـ، الموافق ٣٠ مايو ١٩٩٧م.



وأعطت منحًا دراسية لطلاب من العرب، وطلاب من باكستان، ومن بنغلاديش، ومن إندونيسيا وهم أكثر عددًا.

هؤلاء الطلاب يحملون حماس الشباب وإيمان الشباب، وحيث وُجد الشباب المؤمن وُجد العمل وُجد النشاط وُجدت الهمة، لهذا كان الوجود الإسلامي في هذه المرة ظاهرًا عن المرتين السابقتين.

والمسلمون من قديم يتحدثون عن اليابان، وعن نشر الإسلام في اليابان، وعن استعداد اليابانيين للدخول في الإسلام منذ نحو قرن.

وهذا الحديث ينتشر في المجلات الإسلامية والصحف الإسلامية.

ومن أكثر من تسعين عامًا نُشر في مصر وفي الهند وفي عدد من البلدان: أن إمبراطور اليابان سيقم مؤتمرًا دينيًا ليختار فيه أحسن الأديان لليابانيين!

ولم يكن هذا نبأ صحيحًا.

فالإمبراطور لا يمكن أن يفعل هذا؛ لأنه مصدر ديني عند اليابانيين.

اليابانيون يعتبرونه إلهًا أو ابن الآلهة، لا يكادون ينظرون إليه، إذا مشى موكبه في الطريق، فالناس ينحنون راكعين، ويخلعون أغطية رؤوسهم، ولا يجوز أن ينظروا إليه، ومن نظر إلى الإمبراطور عوقب قانونًا!

حتى العساكر والجنود الذين يصطفون في الطريق تحية للإمبراطور يديرون إليه ظهورهم ولا ينظرون إليه.

فمثل هذا لا يمكن أن يتخلى عن دينه، وأن يبحث عن دين آخر، ولكن هكذا انتشر الخبر في البلاد الإسلامية، وذهب من ذهب إلى

اليابان في ذلك الحين، ولعلمهم كانوا يريدون إقامة مؤتمر للأديان للتعرف على الأديان، وليس للتخلي عن دينهم.

وفي ذلك الوقت سافر أحد علماء الأزهر من المصريين، من الصعيد، من «جرجا» اسمه: «علي الجرجاوي»، كان يصدر مجلة في القاهرة اسمها: مجلة «الإرشاد»، ودعا علماء مصر ورجال الأزهر أن يذهبوا إلى هذا المؤتمر في اليابان، ولما لم يستجب له أحد باع عدة أفدنة ممّا يملك في الصعيد، وقطع تذكرة في الباخرة، وذهب إلى اليابان مرورًا بـ «ينبع» و«جدة» و«عدن» و«بومباي» و«سنغافورة» و«هونج كونج»، إلى أن وصل إلى اليابان، وفي الطريق تعرّف على أحد الصينيين قال عنه: إنّ اسمه سليمان الصيني، وهذا سليمان الصيني عرفه على رجل يعيش في اليابان من روسيا، اسمه الحاج «مخلص محمود».

وحينما وصلوا إلى اليابان تعرّفوا على رجل هندي يدعى «حسين عبد المنعم»، ثمّ تعرّفوا على رجل ياباني، وصاروا خمسة، وكوّنوا جمعية دينيّة لنشر الإسلام.

كتاب الشيخ الجرجاوي عن اليابان:

وقال الشيخ الجرجاوي في كتابه الذي سماه «الرحلة اليابانية»^(١): إنّ النّاس أقبلوا عليهم، وكانوا يشرحون الإسلام باللغة العربية، وهذا الياباني الذي أعطاهم منزله تبرعًا منه، ودخل في الإسلام، كان يجيد

(١) طبعته مطبعة جريدة الشورى بمصر سنة ١٣٢٥هـ، وقد عثر عليه د. عبد الودود شلبي عام ١٣٨٢هـ بالمكتبة الأزهرية القديمة، وكتب حوله مقالة بعنوان: الرحلة اليابانية، نشرتها مجلة الأمة القطرية ص ٥٢ - ٥٥، عدد شوال ١٤٠٦هـ، ووصف الكتاب بأنه أشبه بالمذكرات اليومية للزعماء والمشاهير.



الإنجليزية كما يجيد اليابانية لغته الأصلية، فكان يحدث أناسًا بالإنجليزية، وأناسًا باليابانية.

وقال الشيخ الجرجاوي: إنه دخل في الإسلام حوالي اثنا عشر ألف شخص! ولكن في الواقع هذه الآلاف المؤلفة لم نجد لها أثرًا حينما زرت اليابان في أواسط السبعينيات؛ لأنّه ليس المهم أن يعلن الإنسان دخوله في الإسلام، ثمّ تدعه في محيطه؛ فيذوب في هذا المحيط كما يذوب الملح في الماء، إنّما المهم أن تتابعه وأن تعلّمه الإسلام، وأن تحاول أن تعيشه في جو إسلامي ومحيط إسلامي.

لهذا ظلّ اليابانيون بعيدين عن الإسلام.

دخل منهم من دخل في الإسلام، وذهب منهم من ذهب للدراسة في الأزهر، كان منهم علماء درسوا في الأزهر.

ومنذ نحو خمسة عشر عامًا أو ثمانية عشر عامًا جاءنا طالب ياباني هنا في الدوحة؛ ليدرس في كلية الشريعة في جامعة قطر، وظلّ عدة سنوات، ولكن اللغة كانت مشكلته، كيف يستطيع أن يفهم الفقه وأصول الفقه والعقيدة؛ وهذه العلوم باللغة العربية؟!

وعجز هذا الطالب وعاد إلى اليابان، بعد أن حصّل بعض العلم، وإن لم يكمل المسيرة.

وفي رحلتي هذه حضر هذا الطالب إحدى محاضراتي وسلّم عليّ، وقال لي: ألا تذكرني؟

قلت: والله أذكر شكلك.

قال: أنا «معمّر»، الذي كنت تلميذك في كلية الشريعة في قطر، وأنا الآن محاضر في كلية العلاقات الدولية.

المهم أنّه أصبح يوجد الآن مسلمون، البعض يقدرونهم بعشرات الآلاف، ولكن أعتقد أنّ هذا التقدير مبالغ فيه، هم بضعة آلاف، ربّما كانوا خمسة آلاف أو عشرة آلاف أو نحو ذلك، لا يزيدون على ذلك فيما أظن.

ولكن الإسلام بدأ ينتشر فيما بينهم، ووجود هؤلاء الشّباب - الذين يعيشون بالإسلام ويعيشون للإسلام - مهمّ في نشر الإسلام بين اليابانيين، وإن كنت أخذت على كثير منهم أنّهم يائسون من انتشار الإسلام هناك.

قال بعضهم: إنّ اليابانيين قوم مشغولون، يعملون في اليوم اثنتي عشرة ساعة، وربّما خمس عشرة ساعة، وليس عندهم وقت للنّظر في الأديان، وهم قوم عمليون يهتمون بالجانب العملي، أمّا الجانب الفكري والجانب العقدي فهم يكتفون بما ورثوه.

ولكنّي قلت لهم: أنا لا أوافقكم على هذا، اليابانيون هم صنف من البشر الذين بعث الله إليهم محمداً ﷺ.

دعوة محمّد ﷺ دعوة عالمية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وهؤلاء من النّاس ومن العالمين.

وما الذي يميز اليابانيين عن غيرهم؟ ألم ينتشر الإسلام في الصين بالقرب منهم منذ القرن الأوّل الهجري؟!

وهؤلاء الماليزيون، وهؤلاء الإندونيسيون، وهؤلاء الفلبينيون، قريبون منهم وقد انتشر الإسلام بينهم!

ما الذي يمنع من انتشار الإسلام بين اليابانيين؟

بالعكس، نحن نعتبر اليابانيين أقرب إلينا، فليس بيننا وبينهم ثارات قديمة، كما في الحروب الصليبية التي بيننا وبين الغرب، وليس بيننا وبينهم صراعات حديثة، كما حدث بيننا وبين الدول التي استعمرت البلاد الإسلامية واحتلت أراضيها.

هم شرقيون مثلنا، نعتزُّ بنهضتهم، وبيننا وبينهم مودة، فلماذا نقيم الحواجز بيننا وبين هؤلاء القوم؟!

وهم يعيشون في ظل الحضارة الماديّة التي غزتنا، ويحتاجون إلى دين صحيح يعرفهم بربهم، يعرفهم باليوم الآخر وما فيه، بدل عقيدة تناسخ الأرواح التي يؤمنون بها.

اليابانيون ينتشر عندهم دينان:

دينهم الأصلي «الشتوية»، وهو دين الإمبراطور.

والدين الآخر «البوذية»، وحوالي ثمانين في المائة (٨٠٪) من أهل اليابان يدينون بالبوذية.

البوذية مذهب فيه خرافات كثيرة مثل «تناسخ الأرواح»: أنّ الإنسان بعد أن يموت تحلُّ روحه إما في مخلوق أسوأ منه، قد تحلُّ في كلب أو خنزير أو حمار أو نحو ذلك، وقد تحلُّ في إنسان إلخ.

وعندهم أنَّ الإنسان يستطيع أن يشتري اسمًا له فيرقيه من مرتبة إلى مرتبة، الكهنة يبيعون هذه الأسماء بعد الموت، والنَّاس يشترونها بحوالي عشرين ألف دولار أو تزيد!

مجرد الاسم ينقلهم من مرتبة إلى مرتبة، ويجعلهم من أهل الخير ومن أهل الجزاء الحسن!

هذه الخرافات تنتشر بينهم.

ولذلك هم في حاجة إلى عقيدة سليمة، إلى دين صحيح، ولن يجدوا هذا الدين إلَّا في الإسلام.

كلُّ ما في الأمر أنَّنا لم نبلِّغ رسالة الإسلام كما ينبغي.

مسؤولية المسلمين عن الدعوة إلى الله:

نحن - المسلمون عامة والعرب خاصَّة - مسؤولون عن الدعوة إلى الإسلام في العالم، سيسألنا الله عن هذه الأمم التي ضلَّت عن الصراط المستقيم، ولم تهتدِ إلى الله، ولم تعرف عقيدة التوحيد ولا رسالة مُحَمَّدٍ ﷺ، سيسألنا الله عن ضلال هذه الأمم، التي لم تسمع عن الإسلام، بعضها لم يسمع عن الإسلام قط، وبعضها سمع عنه ما يمنع من النَّظر إليه، سمع صورة لا تحمل على البحث عن الإسلام، صورة مشوَّهة، صورة كريهة عن هذا الدين، الذي قام به رجل في جزيرة العرب: السيف في يد والنِّساء في الناحية الأخرى إلخ هذه التشويهات التي صُوِّرت بها رسالة الإسلام، ورسول الإسلام، ودعوة الإسلام.

لا بدَّ أن نبذل جهدًا في تعريف النَّاس بهذا الدين.



النَّصارى وصلوا إلى اليابان منذ سنين قليلة، عشرات السنين.

حينما وصلوا إلى اليابان قالوا: ما هذه اللغة؟

اللغة اليابانية هذه لغة صنعها الشيطان لا نستطيع أن نترجم إليها
الأنجيل!

اللغة صعبة جدًا؛ لأنّها حروف ورسوم وصور كلّها، ولكنّهم فرّغوا
منهم شبابًا درسوا هذه اللغة حتّى أتقنوها، ثمّ بدؤوا يخاطبون النّاس
بلسانهم، وينقلون الإنجيل إليه، وأخذوا يبشّرون بالنّصرانية وينصّرون
النّاس، ويدخلونهم في النّصرانية.

وهم لا يريدون من النّاس إلّا أن يعلنوا أنّهم مسيحيون، يقولون: فقط
قل: «أنا مسيحي»، ولا نريد منك شيئًا، نُعَمِّدك ولا نطلب منك أمرًا،
وهذا أمر سهل يسير.

المسلمون على عكس ذلك، يريدون من النّاس حينما يدخلون في
الإسلام: كيت وكيت، وكيت وكيت وكيت!

لا يأخذون النّاس بالتيسير، أوّل ما يقولون لهم: عليكم أن تصلوا،
وكم تصلون! الصبح: أربع ركعات، والظهر عشر ركعات، والعصر ثمانى
ركعات إلخ.

يقول النّاس: هذا كمّ هائل لا نستطيعه.

ويقولون لهم: لا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا!

وأول ما يطلبون منهم أن يمتنعوا منه: شرب الخمر، واليابانيون
مولعون بشرب الخمر، كأنها الماء عندنا: الخمر شيء أساسي لديهم،
ولو كانت «بيرا» على الأقل.

عقبات في دعوة اليابانيين:

قال الإخوة هناك: هذه عقبة أمامنا.

قلت: لو أن الإسلام فعل مع العرب ما تفعلونه مع اليابانيين، ما دخل العرب في الإسلام؛ لأن الإسلام جاء والعرب مولعون بشرب الخمر، وكانوا يسمونها بأكثر من مائة اسم، وكم كان لهم شعر في مدحها؟ وكم وصفوا مجالسها وأقداحها وندماءها؟

وكم قال قائلهم:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تُروِّي عظامي بعد موتي عروقتها^(١)!

هذه هي الخمر، فلو جاء الإسلام من أول الأمر وقال: امتنعوا عن الخمر، لقالوا: والله لن ندخل في الإسلام.

إنما أبقاهم على هذا الأمر وأخذهم بالتدريج، حتَّى نزلت الآية الحاسمة في سورة المائدة في أواخر العهد النبوي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فقالوا: قد انتهينا يا رب، انتهينا يا رب.

كان الرجل منهم يمسك بالكأس، شرب بعضها وبقي منها البعض، فلم يُكمل الكأس وأفرغها في الحال، وقال: انتهينا يا رب.

(١) من شعر أبي محجن الثقفي. انظر: الحماسة البصرية (٣٨٩/٢)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت.



لم يقل ما قال امرؤ القيس قديمًا: اليوم خمر وغداً أمر!
لا، بل ذهب إلى ما في بيته، وأخذ قِرب الخمر ومزّقها، وأفرغها
وأسالها في الطرقات، إعلانًا بالبراءة من هذا الأمر.
لا بدّ أن نتدرج بالنّاس.

إنّ النّبي ﷺ حينما جاءه رجل يسأله عن الإسلام قال: «خمس
صلوات في اليوم والليلة».

فقال: هل عليّ غيرهن؟ قال: لا، إلّا أن تطوع.
«وصيام شهر رمضان».

فقال: هل عليّ غيره؟ فقال: لا، إلّا أن تطوع.

وذكر له رسول الله ﷺ الزّكاة فقال: هل عليّ غيرها؟
قال: لا، إلّا أن تطوع.

فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»^(١)، أو «دخل الجنّة وأبيه إن
صدق»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) هذه الزيادة رواها مسلم كما في الحديث السابق.

وقوله في الحديث: «وأبيه» كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها، تريد بها التأكيد،
غير قاصدة بها حقيقة الحلف. والنّهي عن الحلف بالآباء ورد فيمن قصد حقيقة الحلف، لما
فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله تعالى.

ويحتمل أن يكون هذا قبل النّهي عن الحلف بغير الله تعالى. انظر: صحيح مسلم بشرح
النّووي (١٦٨/١)، نشر دار الفكر.

وفي حديث مماثل قال: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»^(١).

حينما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»^(٢).

منهج التدرج في الدعوة:

هكذا منهج التيسير والتدرج.

هذا يحتاج إلى داعية موفق يركّز على الأساسيات، ولا يدخل في التفاصيل والفروع والهوامش، التي يثقل بها كاهل الإنسان الداخل في الإسلام، هذا نتركه يتعلم ثم يترقى هو شيئًا فشيئًا.

في أوّل الأمر نركّز على أداء الفرائض واجتناب الكبائر، حتّى لو أن هناك كبيرة لا يستطيع أن يتخلى عنها مثل «شرب الخمر» نقول له: إن شاء الله ستوفق فيما بعد إلى اجتنابها.

ما المانع من أن يدخل في الإسلام وهو شارب الخمر؟

لا بدّ أن يكون عند الداعية أفق واسع يركّز على الأساسيات ويدع الهوامش، يركّز على الأصول ويدع الفروع، لا يدخل في الأمور المختلف فيها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

بعض النَّاس الذين يدعون إلى الإسلام يُدخلون الداخل في الإسلام في متاهات، يحدثونه في أمور لا حاجة له فيها، يحذّره من الطواف بالأضرحة ومن تقديس الأولياء! وما حاجته إلى الأضرحة وإلى الأولياء، وليس عنده لا أضرحة ولا أولياء؟!

هؤلاء قوم لا يدفنون موتاهم، يحرقون الموتى، فما عاد عنده قبور ولا أضرحة ولا شيء من هذا. وهناك من يُدخل الداخل في الإسلام، فيما تختلف فيه المذاهب بعضها وبعض!

لا نريد أن ندخله ولا أن نربطه حتّى بمذهب، بل نربطه بالإسلام العام. ما حاجته أن تقول له: أنت حنفي، أو أنت مالكي، أو أنت شافعي؟! ليدخل في الإسلام العام، ويسأل فيما يعنّ له من تيسر له من أهل العلم. قال لي الإخوة: نحن محتاجون إلى أن نختلط بهؤلاء حتّى نعلّمهم الإسلام، والاختلاط يترتب عليه أشياء منها:

١ - أننا لا بدّ أن نأكل طعامهم. قلت لهم: كلوا طعامهم.

الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْبُذِيّينَ وَغَيْرَهُمْ يَعَامِلُونَ مَعَامِلَةَ الْمَجُوسِ^(١)، وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْمَجُوسِ فَقَالَ: «سَنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(٢).

(١) انظر: تفسير المنار (١٨/٥)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) رواه مالك في الجزية (٩٦٨)، والشافعي في المسند (١٠٠٨)، وعبد الرزاق في أهل الكتاب (١٩٢٥٣)، وابن أبي شيبة في الزكاة (١٠٨٧٠)، وضعّفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٨)، عن عبد الرحمن بن عوف، لكن أخذ الجزية من المجوس ثابت بأحاديث أخر.

وقد كان المجوس يقولون بإلهين اثنين: إله للخير والنور، وإله للشر والظلمة، وكانوا يعبدون النار، ومع هذا رأينا النبي ﷺ قال: «سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ».

٢ - قالوا: يعرضون لنا الخمر في حفلاتهم.

قلت: هل يلزمونكم بشرب الخمر؟

قالوا: لا، بل هم مؤدبون جدًا معنا، لا يطلبون منا أن نشربه، ولكن نحن نجلس في مجتمع يُشرب فيه الخمر.

قلت: يا أخي هذه سهلة؛ لأنَّ المحرَّمات أنواع ومستويات، هناك محرَّمات لا تُباح بحال، لا لضرورة ولا لغير ضرورة؛ مثل: تحريم نكاح الأم والبنت، والعمة والخالة والأخت: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُتُمُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

هذه لا تباح بحال من الأحوال.

وهناك محرَّمات تباح للضرورة مثل: أكل الميتة والدم والخنزير، الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وهناك محرَّمات تباح للحاجة، أي: أقل من الضرورة.

العلماء قالوا: ما حُرِّم لذاته يُباح للضرورة، وما حُرِّم لسدِّ الذريعة يُباح للحاجة.

فجلوس الإنسان في المجالس التي يُشرب فيها الخمر محرَّم لسدِّ الذريعة ليس لذاته.

شرب الخمر محرَّم لذاته، إنّما أن تجلس في مجلس يدار فيه الخمر هذا حُرِّم لسدِّ الذريعة، فهذا يباح للحاجة.

إذا كنت في حاجةٍ إلى أن تختلط بهؤلاء وتقترب منهم لترغبهم في الإسلام، فلا بأس في هذا ولا حرج إن شاء الله.

نحن في حاجة إلى الداعية الذي ينظر إلى الإسلام بعين وإلى الواقع بعين أخرى، ويزاوج بين الواجب والواقع، ويقترّب من الناس ويعرف مشاكلهم، ويخاطبهم بلسانهم، وهذه مشكلة.

النّصارى كما قلت لكم قالوا: إنّ المشكلة هي اللغة، ثمّ عرفوا لغة القوم، وأدخلوا من أدخلوا في النّصرانية، وصار لهم عشرات الجامعات البروتستانتية وبضع عشرة جامعة كاثوليكية.

نحن في حاجة إلى أن ندرس اللغة اليابانية لغة القوم؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

للأسف لا يوجد عندنا مؤسسات للدعوة العالمية تدرس هذه الأمور، وتبعث إلى كلّ قوم من يخاطبهم بلغتهم، بلسانهم.

في سنة (١٩٧٨م) اجتمع المبشّرون البروتستانت في «كلورادو» في أمريكا، وكان هدفهم العمل على تنصير مسلمي العالم، ورصدوا لذلك ألف

مليون دولار، وكونوا لذلك معهداً اسمه «معهد زويمر» باسم هذا المنصّر العُتل القديم، الَّذي كان مقرّه في البحرين في أوائل هذا القرن، أرادوا أن يحيوا ذكراه بإنشاء هذا المعهد: معهد مهمته أن يخرج منصّرين للمسلمين.

ما معنى منصّرين للمسلمين؟

يعني أناساً متخصصين في تنصير المسلمين: منصّر يذهب إلى جنوب إفريقيا، وثانٍ يذهب إلى شمال إفريقيا، وثالث إلى شرق إفريقيا، ورابع إلى غرب إفريقيا، وغيره يذهب إلى وسط إفريقيا، كلُّ واحد من هؤلاء عليه أن يدرس القوم الذين سيبشّر فيهم، يدرس لغتهم، يدرس اللهجات المحلية، يدرس العقيدة السائدة: أي عقيدة هي؟ هل هي العقيدة السلفية أو العقيدة الأشعرية؟ أي طريقة من الطرق منتشرة بينهم؟ القادرية أم النقشبندية أم التيجانية؟ أي مذهب يسود بينهم: المالكي، أم الشافعي، أم الحنفي؟ ما هي الشخصيات المؤثرة فيهم؟ إلخ، ويعيش بينهم ويعرف كلَّ شيء عنهم.

نحن في حاجة إلى أن نفعل هذا، وأنا أقول: ليس معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] أنك تكلم اليابانيين باليابانية والصينيين بالصينية فقط.

لا، إنّما تكلم كلَّ قوم باللسان الَّذي يفهمونه، الَّذي يؤثّر فيهم.

تكلم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، تكلم أهل الشرق بلسانهم، وأهل الغرب بلسانهم، المتحضرون لهم لسان، والبدو لهم لسان، أهل الريف لهم لسان، وأهل المدن لهم لسان، لا بدّ أن تخاطب كلَّ قوم بلسانهم.



نحن لم نُعد العُدة لهذا الأمر للأسف، لم نهَيِّ الدعاة الذين ينتشرون في العالم، ديننا دين عالمي، ومع هذا لم ننشره في العالم. المسيحية ليست دينًا عالميًا، المسيح قال: أنا لم أبعث إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة^(١). ولم يقل: إنه بعث للعالمين. النبي الوحيد الذي أعلن أن دعوته للعالمين هو مُحَمَّد ﷺ، ومع هذا لم نبْلغ العالم دعوته.

العالم مفتوح لنا الآن، نستطيع أن ننشر دعوتنا بشَتَّى اللغات ما استطعنا، نستطيع أن نوجّه دعوتنا بالإذاعات الموجهة إلى العالم، نستطيع أن نبعث بها إلى العالم كله، عن طريق المحطات الفضائية، نستطيع، ولكن لم نفعل هذا!

أين أغنياء المسلمين؟ أين الملايين التي تذهب هنا وهناك؟

لماذا لا تُرصد كما رصد أولئك «ألف مليون دولار» جمعوها من أغنياء النَّصارى، ألف واحد من كبار المليونيرات، من كلِّ واحد مليون، جمعوا الألف مليون بأسهل ما يكون، وما أكثر من عندنا ممن يستطيعون أن يعطوا مليونًا ولكن أين هؤلاء^(٢)؟

(١) انظر: إنجيل متى (٦/١٠).

(٢) يقول الشيخ علي الجرجاوي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: الرحلة اليابانية موجّهًا كلامه إلى الأغنياء والموسرين من المسلمين: أمّا أنتم أيها الأغنياء والموسرون، فإنكم خالفتُم سيرة كل ذوي الغنى واليسار من الأمم الأخرى، تلك السيرة التي أنتم بها أولى وأحرى؛ إذ أنتم تجهدون أنفسكم ليل نهار في كسب الدرهم والدينار، وتبذلون ما تجمعونه في سبيل الملاهي والعقار، ومظاهر الأبهة والفخار، أو في لعب القمار، أو تكتنزون خوفًا من الدهر أن يوقعكم في شَرِك الفقر، أو تدلون به إلى الحكام طمعًا في رتبة أو نيشان، أو يساعدكم على ظلم فلان وفلان.

نحن في حاجة إلى تكوين دعاة ينتشرون في أرجاء العالم، وينشرون الإسلام فيه.

تصوّروا أن معظم لغات العالم لا يُوجد فيها ترجمة صحيحة للقرآن الكريم، بل لا توجد ترجمة مرضي عنها من المسلمين في أي لغة، حتّى اللغة الإنجليزية التي هي أشهر اللغات والتي يتكلّم بها مئات الملايين من المسلمين، لا توجد فيها ترجمة صحيحة لمعاني القرآن، أو لتفسير مختصر للقرآن الكريم.

المسلمون مقصّرون:

نحن في حاجة إلى أن نعرض ديننا على العالم، ونقيم الحجّة على النَّاس، ونُعذر إلى الله تعالى.

= أمّا هؤلاء فإنهم يبذلون أموالهم في نشر العلوم والصناعات، وغير ذلك من وجوه المنافع، وبذلك سادت الأمم الراقية وارتفعت، بمقدار انحطاطكم في الهمم. أليس من الخسران المبين أنكم تمنعون زكاة المال، ولا تؤدّون شكر المنعم به عليكم، وتذهبون في كل صيف من كل عام إلى أوربا، وتبذرونه ذات اليمين وذات الشمال، في سبيل شهواتكم النفسية، وبعد صرف الدرهم والدينار تفدون محتقنين الأوزار والذل والعار، على حين أنكم ترون الأغنياء من الأمم الأخرى تجود بالمال للبعثات العلمية والدينية، وترقية العلوم العصرية؟!!

ماذا عليكم لو فتحتم اكتتاباً لتأليف بعثة دينية، تسافر إلى بلاد اليابان وتنشر التعاليم الدينية، والعقائد الإسلامية، على أن المال لديكم لا يُوزن بالميزان؛ بل يُكال بالقُفزان؟ هل يوجد منكم ألف، ولو على وجه التقريب، يوجد كل واحد بنصف ما يصرفه في شهواته البهيمية؛ ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه، أمّا دينه فلاّنه سعى في الدعوة إليه، وأمّا وطنه فلاّنه بفعله هذا يجعل الأمم الأخرى ترمق المصري بعين الاعتبار، وأمّا نفسه فلاّنه أكسبها فضيلة من أعظم الفضائل؟!!

هذه كلمتي قلته، وإنّي على يقين بأنها لا تعدم منصفاً كشف الله عن بصيرته حجاب الضلال، ولا تلبس عليه الحقّ بزور المقال، كما أنّها لا تعدم من خُلقة المجادلة في الله بغير علم ولا هدى، والله يرشدنا إلى الطريق المستقيم. تنظر مقالة د. عبد الودود شلبي عن الرحلة اليابانية، مجلة الأمة القطرية ص ٥٥، عدد شوال ١٤٠٦هـ.



صحيح أن العالم المتقدم الآن وصل إلى القمر، وغزا الفضاء، وصنع الكمبيوتر، وصنع هذه الثورات المعروفة: الثورة البيولوجية، والثورة الإلكترونية، والثورة المعلوماتية إلخ هذه الثورات، ولكن الإنسان الذي وصل إلى القمر لم يستطع أن يُسعد نفسه على ظهر الأرض، هو في حاجة إلى دين يحقق له معنى وجوده، ويعرفه سرّ حياته، ولماذا يعيش، ولماذا يموت: وماذا بعد الموت؟

لا يوجد هذا إلا في رسالة الإسلام.

نحن مسؤولون عن إيصال هذه الرسالة إلى البشر جميعاً، ونحن قادرون لو أننا جعلنا هذا في بؤرة الشعور، وجعلناه نصب أعيننا، ولم نجعله على هامش حياتنا.

نحن أمة دعوة، فالله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] كل من اتبع محمداً ﷺ فهو داع إلى الله، وداع على بصيرة.

نحن أمة مبعوثة كما قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مِيسَّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعْسَّرِينَ»^(١).

نحن مبعوثون بما بُعث به نبينا ﷺ.

قال ربعي بن عامر لرسستم قائد جيوش الفرس - حينما سأله: من أنتم؟ وما الذي أخرجكم من بلادكم؟ -: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(٢)!

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

انظروا إلى هذا الصحابي الذي لم يتخرّج في جامعة، وإنّما تربّى في مدرسة مُحَمَّد ﷺ، لخص أهداف الإسلام الكبرى، وفلسفة الإسلام الكلية في هذه الكلمات، لم يدخل في التفاصيل التي يدخل فيها بعض الدعاة، قال له: الإسلام جاء يحرّر الناس من عبادة الطواغيت، حتّى يعبدوا الله وحده، ويعرّفهم بالعدل الذي هو هدف الرسالات السماوية كلّها، ويخرجهم من جور الأديان وتطرفات الأديان إلى عدل الإسلام ووسطية الإسلام.

هذا ما ينبغي أن نعرفه:

نحن في حاجة إلى أن نجعل هذا الأمر من أوليات حياتنا.
اليابانيون يمكن أن يدخلوا في الإسلام لو وجدوا الدعاة الصادقين، الدعاة الذين يعيشون بالإسلام وللإسلام.
وأنا قلت للإخوة: إنكم تؤثرون في اليابانيين بسلوككم أكثر ممّا تؤثرون بكلامكم، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال.

بماذا انتشر الإسلام في البلاد التي دخلها؟

هل انتشر بالسيف كما يقول المبشّرون والمستشرقون وأمثالهم؟
لا والله، إنّ السيف قد يفتح أرضاً، ولكنّه لا يفتح قلباً.
وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامي، ولم تعرف السيف قط: إندونيسيا، ماليزيا، الفلبين، بنغلاديش، حتّى الهند التي دخلها المسلمون، دخلوا جزءاً معيناً منها بجيوشهم، ثمّ انتشر الإسلام بطريق الدعوة ومعايشة المسلمين الصالحين، إفريقيا انتشر الإسلام فيها بطرق الصوفية وبالتجارة، وهكذا.

ذهب النَّاس من اليمن ومن حضرموت وغيرها إلى ماليزيا
وإندونيسيا ليشتروا الأشياء التي عُرِفَتْ بها هذه البلاد، ويوردوها
لبلادهم، ورآهم النَّاس؛ فوجدوا فيهم الصدق في القول، والأمانة في
العمل، والتواضع للنَّاس، وحب الخير والشَّهامة والنجدة، وكلَّ
صفات الخير.

وجدوهم يعبدون الله، إذا جاء وقت الأذان أذَّن المؤذن فقاموا
وتطهروا وصلُّوا صفوفًا، أعجبوا بهم وسألوهم: من أنتم؟
قالوا: نحن مسلمون.

قالوا: ما الإسلام؟

فأجابوهم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله،
فتصبح أخًا لي وأصبح أخًا لك، ونتعاون على البر والتقوى.

هل هناك شيء مطلوب مني لأدخل في الإسلام؟

لا، لا يُطلب منك شيء، تعلن فقط «أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا
رسول الله»، وتلتزم بأحكام هذا الدين؛ لأنَّ الإسلام ليس فيه تعميد
ولا طقوس لمن يريد الدخول فيه، ليس فيه شيء من هذا.

وفي عصرنا وجدنا أناسًا للأسف كما حكى لي أحد كبار المسؤولين
في إندونيسيا في أواسط السبعينيات، قال: أرادت بعض القبائل في
إندونيسيا أن تدخل في الإسلام؛ فذهبوا إلى بعض المشايخ من العلماء
الكبار، وقالوا لهم: نريد أن ندخل في الإسلام. فقال لهم: تستطيعون أن
تدخلوا بشرط.

قالوا: وما هو الشرط؟

قال: أن تختنوا!

فأعرضوا عن الإسلام.

هذا إنسان خائب؛ اعتبر الاختتان شرطًا، من قال: إنَّ هذا شرط؟ يستطيع الإنسان أن يفعل هذا فيما بعد، وهو ليس من الأركان ولا الفرائض، إنَّما هو من سنن الفطرة.

فلا بدَّ أن يكون هناك عقل مسلم يستطيع أن يُدخل النَّاس في الإسلام. اليابانيون قرييون جدًّا منَّا، وعندهم عادات طيبة، من هذه العادات: الحياء، الحياء صفة عامة، الياباني رجل حيي، رجل مؤدب مهذب. لهذا لم أجد في اليابان كلَّها من يقبِّل امرأة في الطريق، كما وجدت ذلك في أوروبا وأمريكا، هذا المشهد لا يوجد في اليابان تلقائيًّا.

هم أناس مؤدبون، ويحترمون الكبير، ويرحمون الصغير، كما هو شأن الإسلام: «ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّر كبيرنا»^(١).

الكبير عندهم يُحترم، بل كلُّ سابق يُحترم، يحترمون الأقدم: الأقدم سنًّا، الأقدم في الخبرة والوظيفة، الأقدم في الصف، الَّذي يسبقك في الصف يصير هو أولى منك؛ فلا تحاول أن تتقدم عليه.

ويحترمون الصغير، الطفل محترم عندهم جدًّا، الرجل الكبير يقوم للطفل ليُجلسه!

(١) رواه أحمد (٦٧٣٣)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٤٣)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٠)، وقال: حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.



وعندهم النظام التعليمي يهتم بالأطفال اهتمامًا بالغًا، ليت بلادنا الإسلامية تحاول أن تستفيد من النظام التعليمي في اليابان.

الأمريكان قالوا لليابانيين: تعالوا فانظروا في مناهجنا التعليمية وانقدوها، وماذا فيها من عيوب؟ وماذا فيها من نواقص؟ وماذا تقترحون للعلاج؟

الأمريكان فعلوا هذا؛ لأنهم كانوا يرون أن نظامهم التعليمي يكاد ينهار، وكتب منهم من كتب كتابًا معروفًا، تُرجم إلى العربية تحت عنوان: «أمة على حافة الخطر».

ينبغي أن نستفيد من هؤلاء.

اليابانيون يهتمون بشخصية الطفل وبناء شخصيته، الأطفال - كما قيل لي - مسؤولون عن مدارسهم، لا يوجد في مدارس اليابان فرّاشون ولا فرّاشات! الأولاد هم الذين ينظفون المدرسة ويحملونها ويزيّنونها، يحملون الطفل هذه المسؤولية.

ويحملونه مسؤولية جماعية، يغرسون فيه روح الجماعة من أوّل الأمر: الألعاب ألعاب جماعية، العمل أعمال جماعية.

نحن في حاجة إلى هذا الأمر، وهذه الروح.

قال لي أحد الإخوة: إن ابنه كان في إحدى المدارس اليابانية، وارتكب خطأ، دفع المدرّسة فوقعت، فأخذته بالرفق، فعرفت بذلك والدته فقالت لها: لماذا لم تخبرينا بهذا الأمر؟

قالت لها: ولماذا أخبركم؟ هو ابني كما هو ابنكم! والطفل ينبغي أن

نسامحه، إذا ارتكب عشر غلطات نسامحه في التسع ونحاسبه على واحدة، ونأخذه بالرّفق حتّى يدع هذه الأشياء! انظروا إلى هذه الرحمة، وهذه العناية بالطفولة.

اليابانيون عندهم قدر من المادّيّة والفردية:

قال لي بعض الإخوة: يمكن أن يموت الرجل هنا جوعًا، ولا يجد أحدًا يمدُّ إليه يد المعونة! وهذا ما لا يمكن أن يحدث في ديارنا طبعًا.

ثمّ من ناحية أخرى: الآن غزتهم الحضارة الغربيّة، الجيل الجديد بدأ يتغير عن الأجيال القديمة، قد غزتهم أفلام الجنس، وأفلام العنف الأمريكيّة.

وذهاب الشّباب إلى بلاد الغرب بدأ يؤثر عليهم، ويُفسد من أخلاقهم، ويغيّر من طبائعهم وسلوكياتهم، وهذا هو الخطر على هذه الأمّة.

المهم - أيها الإخوة - أننا في حاجة إلى أن نعرف هؤلاء القوم، وأن ننشر فيهم دعوة الإسلام، وأن نبليّغهم رسالة الله.

نحن أمّة مسؤولة عن تبليغ رسالة الله إلى العالم، نحن مسؤولون عن هذا بصفتنا أمّة، وبصفتنا أفرادًا.

نحن كأفراد ينبغي أن نبحث عن هذا الأمر، ويسأل كلّ منّا نفسه: ماذا قدّمت أنا للإسلام؟ ماذا بذلت في سبيل نشر الإسلام؟

أنت مسؤول عن هذا، كلّ مسلم مطالب بهذا؛ لقول الله تعالى:



﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [التَّحْل: ١٢٥].

هل دعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟ هل جادلت بالتي هي أحسن؟

ينبغي على كل مسلم أن ينظر في هذا الأمر.

ويوم نشعر بهذه المسؤولية الكبرى سيتغير الحال.

إنَّ بلاد المسلمين وسوء أوضاعها تقف حاجزاً في سبيل نشر الإسلام؛ لأنَّهم يقولون: إذا كان الإسلام بهذه الصورة التي تعرضونها؛ فلماذا نرى بلادكم على عكس ذلك؟

إذا كان الإسلام يدعو إلى العلم؛ فما بال المسلمين جهلاء؟

وإذا كان يدعو إلى القوَّة؛ فما بال المسلمين ضعفاء؟

وإذا كان يدعو إلى النِّظافة؛ فما بال هذه القذارة التي تضرب أطنا بها في بلاد المسلمين؟

وإذا كان يدعو إلى النِّظام؛ فما هذه الفوضى؟

وإذا كان يدعو إلى التَّآخي؛ فما هذه العداوة بين المسلمين بعضهم وبعض؟

وإذا كان، وإذا كان إلخ، فنحن الذين نقف عقبة في سبيل الإسلام.

يجب أن نصحَّح مسالكنا، ونصلح من أحوالنا، وأن نجتهد في نشر ديننا، ولن يترنا الله أعمالنا، والمستقبل لهذا الدين إن شاء الله

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

* * *



اليوم العالمي لمكافحة المخدرات^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

حديثنا اليوم عن المخدرات، بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، وقد أصبح العالم كله يكافح هذه الآفة القاتلة المدمرة، التي تقوم عليها عصابات وشبكات خطيرة، لأناس يملكون المال، ويملكون السلاح، وهم في بعض البلاد: دولة داخل الدولة، يُسقطون الحكام ويقيمونهم، بما لهم من نفوذ، وما يملكون من ثروات، وما يشترون من ذمم، وما يستخدمون من وسائل لا تتقيد بأي قيم أو أخلاق، فغايتهم خبيثة، ووسائلهم أشدُّ خبثًا.

هؤلاء النَّاسُ يقومون على تدمير البشر، وتخریب حياة البشر؛ ليملكوا هم الملايين والبلايين بعد ذلك.

هذه الآفة يشكو العالم منها، كلُّ العالم، ونشكو منها نحن العرب والمسلمين، فقد دخلت إلى بلادنا من قديم تحت اسم «الحشيشة» أو

(١) هو السادس والعشرون من شهر يوليو.

«الحشيش»، وقاومها علماء المسلمين، وقد دخلت مع التتار، مع سيف التتار إلى بلاد المسلمين، وكان المسلمون يعتقدون أنّ تسليط التتار عليهم بسبب انتشار هذه الآفة القبيحة.

أجمع علماء المسلمين - يوم ظهرت هذه الآفة وهذه الحشيشة - على تحريمها، لم يشذ عن ذلك فقيه من الفقهاء، ولا مذهب من المذاهب، كلهم قالوا بتحريمها، فهي حرام، بل هي كبيرة، وقالوا: إنّ من استحلّ أكلها أو شربها أو تناولها، فلا بدّ أن يُستتاب (تُطلب منه التوبة)، فإنّ تاب ورجع فيها، وإلا عوقب كما يُعاقب المرتدون؛ لأنّه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة.

تحريم المخدرات في القرآن والسنة:

للأسف نجد في عصرنا أناساً يماحكون بالباطل، ويجادلون في غير موضع للجدل، يقولون: لا نجد في القرآن ولا في السنة على حرمة هذه المخدرات!

وكذبوا؛ فنصوص القرآن والسنة تحرّم هذه المخدرات بلا نزاع.

هؤلاء يريدون أن يأتي القرآن ويقول: قد حرمت عليكم الحشيش، أو قد حرمت عليكم الويسكي أو الكُنْيَاك أو الشمبانيا!

القرآن لا يأتي بالتفصيلات، والسنة لا تأتي بالتفصيلات، إنّما تضع مبادئ عامة، وقواعد كلية، ونصوصاً مطلقة، يدخل تحتها آلاف الجزئيات والمسائل.

هذا ما يأتي به القرآن وما تجيء به السنة.

القرآن قد حرّم الخمر وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ
بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُنْهَوْنَ ﴿[المائدة: ٩٠، ٩١].

هكذا نزلت الآيتان الكريمتان في سورة المائدة، وحينما قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ قالوا: قد انتهينا يا رب، قد انتهينا يا رب^(١).

كان الرجل منهم يمسك بالكأس في يده، شرب بعضها وبقي بعضها، فأفرغها ولم يكمل الكأس، ثم ذهبوا إلى بيوتهم؛ فجاؤوا بقرب الخمر وأفرغوها في طرقات المدينة، وقالوا: انتهينا يا رب.

وكلمة ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ ليست كما يزعم بعض الناس كلمة خفيفة لا تدل على التحريم؛ بل تدل على أبلغ التحريم وأشدّه، ولذلك تأتي مع الشُّرك ومع الكبائر، كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (أي: الأصنام والأوثان) ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبْرًا إِلَّا تَمَّ وَالْفَوْحَشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

فهكذا كلمة ﴿اجْتَنِبُوا﴾ لا تأتي إلا مع الشُّرك والطاغوت والأصنام، وكبائر الذنوب وفواحشها.

ومعنى ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، أي: اجعلوا بينكم وبين هذا الشيء جانبًا، وابتعدوا عنه.

(١) رواه أحمد (٣٧٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، والنسائي في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

مثلها كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، ليس معناه: «لا تزنوا» فقط، بل ابتعدوا عن كل ما يقرب إلى الزنا: الخلوة، التبرج، الخلاعة، النظرة بشهوة، إلى آخر هذه الأشياء.

حرّم الإسلام الخمر ولعن فيها عشراً^(١)، كل من ساهم فيها من قريب أو بعيد.

فما هي الخمر؟

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الخمر قد حُرِّمت، وهي من خمسة أشياء (وهي الأشياء التي كانت موجودة في الحجاز وفي المدينة في ذلك الوقت): العنب، والتمر، والعسل، والبُر (أي: القمح)، والشعير. ثم قال: والخمر ما خامر العقل، ألا إِنَّ الخمر ما خامر العقل^(٢).

هذه الأشياء الخمسة هي التي كانت موجودة، لكن عمر وضع هذه القاعدة: الخمر كل ما خامر العقل، أي: خالط العقل ولا بسه، وأخرجه عن طبيعته المدركة المميّزة الحاكمة، بحيث أصبح يخلط بين الأشياء بعضها وبعض، ويرى البعيد قريباً والقريب بعيداً، ويرى المحال معقولاً، ولا يميّز بين الصواب والخطأ، ولا بين النفع والضّر، والخير والشرّ.

«كل ما أخرج العقل عن طبيعته وخامرته فهو خمر»، هكذا قال عمر أمام الصحابة ولم ينكر عليه أحد، فهذا إجماع من الصحابة.

(١) رواه أحمد (٥٧١٦)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، كلاهما في الأشربة، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦١٩)، ومسلم (٣٠٣٢)، كلاهما في التفسير، عن ابن عمر.

وهذا ما ينطبق على هذه المخدرات: حشيش، أفيون، كوكايين، هيروين، كلُّ هذه الأشياء تخامر العقل، وتجعل الإنسان غير واعٍ بنفسه ولا بما حوله، ويتصور الأشياء على غير ما هي عليه.

الناس يقولون عنه: مسطول، إنسان تائه ضائع، لا يعرف واجبه، ولا يعرف حقّه، لا يعرف نفسه، ولا يعرف ربّه، ولا يعرف أهله، ولا يعرف وطنه، إنسان فقد الوعي.

فمثل هذا نعتبره قد تناول الخمر بالمفهوم العمري، لا فرق بين الخمر المعروفة وهذه الأشياء، إلّا أنّ الخمر مادة سائلة، وهذه الأشياء مادة جامدة، والجمود والسيلان لا أثر له في الأحكام.

المهم الأثر الذي يتركه على عقل الإنسان.

هؤلاء الذين يأكلون الحشيش أو يتناولون الأفيون أو يشمون الهيروين أو نحو ذلك، أناس فقدوا وعيهم، يعيش الواحد منهم لشهوته، (لكيفه) كما يقولون. ويقول أحدهم: (راس بلا كيف يستاهل ضرب السيف)!

هؤلاء أناس فقدوا وعيهم، لم يعودوا يصلحون لدين ولا دنيا، لم يعودوا يصلحون لحماية أسرة ولا لحماية مجتمع.

هؤلاء ضحايا هذه المواد المخدرة.

القرآن حرّم الخمر، والأحاديث حرّمت الخمر، وهؤلاء من شرّاب هذه الخمر، فالخمر ما خامر العقل.

تحريم القرآن للخبائث:

ثمّ من ناحية ثانية: القرآن قد حرّم الخبائث.

كان من أوصاف النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب (أهل التوراة والإنجيل) أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

اليهود حُرِّمَتْ عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم كما قال الله تعالى: ﴿فِظْلَمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوْا وَقَدْ بُرِّهَوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

حَرَّمَ الله عليهم الطيبات بسبب هذه المناكر وهذه الكبائر.

أَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فجاء يحلُّ لأمته كلَّ الطيبات، ويحرِّم عليها الخبائث، الأشياء الضارة والمؤذية والسيئة.

ما حَرَّمَ إِلَّا خَبِيثًا وَضَارًّا وَمُؤْذِيًّا، كُلُّ ما حَرَّمَهُ الإسلام فلخبثه ولضرره: ضرره المادي أو ضرره المعنوي، ضرره الحاضر أو ضرره المستقبلي، ضرره على الفرد أو ضرره على المجتمع، ضرره على الجسم أو ضرره على العقل، فالتحريم في الإسلام يتبع الخبث والضرر.

من يقول: إِنَّ هَذِهِ الْمَخْدَرَاتُ نَافِعَةٌ، وَإِنَّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ؟!!

إِنَّهَا قِطْعًا مِنَ الْخَبَائِثِ، مِنَ الْمَضَارِّ، مِنَ الْمُؤْذِيَّاتِ، وَلِذَلِكَ نَجِدُ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَحَارِبُهَا.

هناك بلاد كثيرة تبيح المُسكرات - للأسف الشديد - ولكنها تمنع المخدَّرات وتحاربها؛ لأنَّ الجميع يوقن أنَّها من الخبائث ومن المضار، ومن المؤذيات للفرد وللجماعة.

نهي القرآن عن إلقاء النفس إلى التهلكة:

ومن ناحية ثالثة: نجد القرآن يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الذين يبيعون هذه المخدرات ويروجونها يأكلون أموال الناس بالباطل، وهم يضلُّون بها الناس بغير حقٍّ، والذين يتناولونها يقتلون أنفسهم، قد لا يكون قتلاً سريعاً، ولكنه قتل بطيء وانتحار بطيء.

الذي يتناول هذه المخدرات يقتل نفسه. وقد قال علماؤنا: لا يجوز للمسلم أن يتناول شيئاً من طعام أو شراب يضرُّ نفسه؛ لأنَّ هذا الجسد ليس ملكاً لك، إنَّه ملك الله، استودعك الله إياه، أمانة عندك لله تعالى، لا يجوز أن تخون هذه الأمانة، وأن تفرط فيها، وأن تؤذي نفسك، وأن تضرَّ جسدك، ولذلك قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(١) لا تضر نفسك ولا تضار غيرك.

في سرية من السرايا كان المسلمون بقيادة عمرو بن العاص، وفي ليلة باردة احتلم عمرو بن العاص، وأصابته الجنابة، فتميم وصلى بأصحابه، فأنكر بعضهم ذلك عليه، وشكوا للنبي ﷺ، فسأل النبي عمراً وقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟!».

قال: يا رسول الله، كانت الليلة باردة شديدة البرودة، وقد ذكرتُ قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

(١) سبق تخريجه ص ٣٥.

فتبسم النبي ﷺ^(١). معناه أقر عمرًا على هذا الفقه، فهذه سنة تقريرية. لا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه ولو في عبادة، فكيف يقتل الإنسان نفسه بتناول هذه السُّموم؟!

هذا ما جاء به القرآن، وهذا ما جاءت به السنة.

ثم جاءت السنة فيما روته أم سلمة رضي الله عنها، في الحديث الذي رواه أبو داود قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومُفتر»^(٢).

المسكر معروف، والمُفتر هو الذي يصيب الجسد بالفتور وبالخدر، فقرنه النبي ﷺ مع المسكر في سياق واحد، ونهى عن هذا وذاك.

أمّا المسكر فلا يشك أحد في تحريمه، وكذلك المُفتر، فقد اقترنا في سياق واحد.

وهناك إجماع علماء الأمة من جميع المذاهب على تحريم هذه المخدرات، وكانت المخدرات في عصرهم تتمثل في تلك التي سموها «الحشيشة» أو الأفيون.

أمّا الآن فقد أصبحت أشدَّ خطرًا، وأبعد أثرًا، وأكثر تدميرًا.

هذه «السُّموم البيضاء» التي ظهرت الآن، والتي يسمونها «البودرة»: الكوكايين والهيروين، وهذه الأشياء التي خفَّ حملها وغلا ثمنها، وبعض الجرامات أو الكيلو جرام منها تقدر بالملايين.

هذه الأشياء أصبحت تغزو الناس، بشمة واحدة يصبح الإنسان مدمنًا.

(١) سبق تخريجه ص ٨٢.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٥.

وهم يصلون إلى الشَّباب وإلى الرجال وإلى النِّساء، بوساطات شتَّى، وبوسائل مختلفة.

هؤلاء اللصوص تجَّار المخدَّرات المحاربون لله ورسوله: يجنِّدون أناسًا لينشروا هذه السُّموم بين النَّاس، فإذا سقط أحدهم ضحية لهؤلاء فقد انتهت حياته، دُمِّر تدميرًا، يصبح إنسانًا مدمنًا، لا يسيطر على نفسه، لا يملك إرادته، لا يفكر لنفسه.

عندما ينتهي تأثير اللقمة الأولى، أو الحقنة الأولى، أو الشمة الأولى: يكون كالمجنون، يسعى إلى من يغذيه بهذا الشيء من جديد.

إذا كان معه مال أنفق ماله حتَّى ينفد ماله، فيسرق، يسرق من أبيه، يسرق من أخيه، يسرق من قريبه، يسرق من صديقه، يسرق من مال الشركة التي يعمل بها، أو الحكومة التي يعمل بها، يسرق حيثما كان وكيفما كان، حتَّى يستجيب لهذه الرغبة العارمة المدمرة، حتَّى يخمد هذه النَّار الناجمة بين أضلاعه، ولا يتورَّع أن يعمل أي شيء؛ حتَّى يريح أعصابه، ويُشبع نهمته.

وهنا يصبح ضعيفًا رخوًا يستطيع أعداء الأُمَّة أن يستغلوه ليعمل لحسابهم، ليعمل جاسوسًا لهم، يتجسس على وطنه وعلى أهله، وعلى أقرب النَّاس إليه، لقد ضعفت مقاومته وانهارت إرادته، فلم يُعدَّ عنده شيء، أصبح بقايا إنسان!

ومن أجل هذا نجد أعداء الدين وأعداء الله وأعداء الوطن وأعداء الأُمَّة: يحاولون إشاعة هذه المخدَّرات في الأُمَّة.

إسرائيل كما تحاول أن تنشر «الإيدز» في شباب الأُمَّة، تحاول أن تنشر المخدَّرات، وأن تروِّجها، وأن تهزِّبها إلى أمتنا لقتل الإرادة في

أبنائها، ولقتل روح المقاومة، ولقتل القوة النفسية التي هي ينبوع الجهاد والكفاح.

هذا ما يصنعه أعداء الأمة.

مقاومة الآفات القاتلة:

لا بدّ أن نقاوم هذه الآفات، نقاومها بكلّ ما نستطيع، بكلّ أجهزة الإعلام: تقاومها الصحافة، تقاومها الإذاعة، يقاومها التلفزيون، يقاومها المسجد، تقاومها المدرسة، تقاومها الجامعة، يقاومها المرّبون، يقاومها الوعّاظ، تقاومها الشرطة، يقاومها النّاس كلّ النّاس.

أصبحت المخدّرات جزءاً من الحرب الشرسة التي تُشنّ على الإسلام والمسلمين، فلا بدّ أن نكون أيقاظاً لهذه المعركة.

يجب أن نصون أبنائنا، ويجب على كلّ أب وعلى كلّ أم أن يكونوا أيقاظاً لحركات أولادهم ولتصرفاتهم، وأن يعرفوا من يصادقون ويصاحبون، فقد رأينا في «الأفلام» ماذا يصنع هؤلاء للوصول إلى هؤلاء الشّباب، والأهل في غفلة لا يعلمون ماذا حدث لأولادهم.

الولد يذهب ليسهر عند صديقه، أو يذاكر عند صديقه، وهو يذهب إلى تلك البؤرة العفنة، وإلى ذلك الوكر النّجس القذر، حيث يصبح فريسة لهؤلاء، يتحكّمون فيه كيف يشاؤون.

يجب أن نستيقظ وأن نباشر مسؤوليتنا: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته»^(١).

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.



لا بدّ أن نقاوم هذه الآفة، نقاومها بالعقوبة.

المتعاطي يجب أن يُعاقب، صحيح أنّه ضحية، ولكنّه مسؤول أمام الله، ومسؤول أمام الشرع، ومسؤول أمام القانون، فلا بدّ أن يعاقب، يعاقب عقوبة شارب الخمر، يعاقب بالجلد، أو يعاقب بالسجن.

ومن وصل إلى حد الإدمان وسلّم نفسه يجب أن نعالجه؛ فتسليمه لنفسه نوع من التوبة، ومن تاب تاب الله عليه.

لا بدّ أن نُفسح صدورنا للتائبين، ونعينهم على أنفسهم وعلى شياطينهم من الإنس والجن.

أمّا الذين يجب ألا تأخذنا فيهم لومة لائم، ولا تأخذنا فيهم رافة في دين الله، فهم التجار الذي يروجون هذه المخدرات، هذه السُّموم الخضراء أو البيضاء أو الصفراء، سموها ما شئتم.

لا بدّ أن نقف لهؤلاء بالمرصاد، لا بدّ من تشديد العقوبة عليهم.

وقد قلت منذ سنوات: إنّ عقوبة هؤلاء يجب ألا تقل عن الإعدام، السجن يدخلونها ويستطيعون بملايينهم أن يحولوها إلى روح وريحان، بل كثير منهم يتخذون السجن وكرًا لتهريب هذه الأشياء، ويتفقون مع آخرين لنشرها وهم داخل السجن، ويديرون الشبكة والتجارة وهم في داخل السجن، في كثير من البلدان، إلّا ما رحم ربك.

فالسجن ليس عقوبة لهؤلاء، وليس تأديبًا ولا تهذيبًا ولا إصلاحًا لهم، إنّما العقوبة الرادعة هي «الموت».

إنّ الإسلام قد شرع القصاص لمن قتل نفسًا واحدة كما قرّر القرآن: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿[المائدة: ٣٢]، من تجرأ على قتل نفس يتجرأ على قتل غيرها.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، القاتل المعتدي المتعمد يجب أن يُقتل، فإذا قُتل هذا القاتل المتعدي أحيينا نفوسًا أخرى، وهذا ما قرّره القرآن حينما قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

إذا كان من قتل نفسًا واحدة يجب أن يُقتص منه، فكيف بهؤلاء الذين يقتلون مجتمعات، يقتلون شعوبًا، ويدمرون كيائها بهذه المخدرات ليشروا، وليصبحوا من أصحاب الملايين والبلايين؟!

هؤلاء يريدون أن يكسبوا الثروات والغنى على حساب حياة البشر، وأن يبنوا قصورًا من جماجم الخلق، ويزخرفوها بدماء الناس!

هؤلاء العثة، القساة، الطواغيت: لا علاج لهم ولا عقوبة لهم إلا الموت، إلا الإعدام.

عقوبة التعزير:

هناك في الشرع عقوبة «التعزير» التي تصل أحيانًا إلى القتل، هكذا جاء في الأحاديث أن بعض العقوبات تصل إلى القتل، وهي ليست من الجرائم المعروفة الموجبة للقتل شرعًا، مثل من يتجسس لحساب أعداء المسلمين، ومثل الداعية إلى إفساد العقول بالبدع المغلظة، ومن تكررت منه جرائم مثل اللواط، لإفسادها في الأرض، وهذا الذي يروج المخدرات لا شك مفسد في الأرض فيجب أن يُقتل.

في المملكة العربية السعودية بجوارنا قرّر العلماء أن من اغتصب

امرأة وهتك عرضها عنوة، وتحت التهديد بالسلاح، فعقوبته «القتل»، وإن كان عزباً غير محصن.

هذه الجريمة البشعة التي تشيع الخوف في الناس: يجب أن يكون هذا عقابها، وهذه نظرة صحيحة، وفقه سليم تؤيده قواعد الشريعة ومقاصدها.

وكذلك مرتكب هذه الجريمة، جريمة الاتجار بالمخدرات، والإثراء على حساب صحّة الناس، وعقول الناس، وحياة الناس، هؤلاء ليس لهم عقوبة إلا الإعدام.

ثم هم من ناحية أخرى: محاربون لله ورسوله، وساعون في الأرض فساداً، هؤلاء الناس ينطبق عليهم قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، إنهم محاربون، وحدّ الحُرابة يجب أن ينطبق عليهم، ويختار الإمام أو القاضي من هذه العقوبات ما هو أليق بهم، وبحكم جرائمهم.

أيّها الإخوة، لا بدّ أن نقف ضدّ هؤلاء الذين يحاولون تدمير مجتمعاتنا، وتحطيم أبنائنا.

هؤلاء قتلة سفّاحون، لا يقتلون فرداً إنّما يقتلون أمّة، فلا بدّ أن تتعاون الأمّة على حربهم.

هناك شيء نسيت أن أقوله في تحريم هذه الأشياء: إنّ هذه المخدرات ضدّ مقاصد الشريعة الإسلامية.

الشرعية جاءت بالمحافظة على الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

هذه المصالح الضرورية جاءت الشرعية بالمحافظة عليها، وكلُّ أحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وأنكحة وقضايا وحدود وقصاص كُلُّها تدور حول المحافظة على هذه الضروريات الخمس، وما يكملها وما يلحق بها.

الخمر والضروريات الخمسة:

وهذه المخدرات ضدُّ هذه الضروريات الخمس كُلِّها:

هي ضدُّ الدين؛ لأنَّها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة.

الذي وقع ضحية هذه المخدرات لا ينهض لصلاة، ولا لصوم، ولا لحج، ولا لعمرة، ولا لتلاوة قرآن، ولا لذكر الله، ولا لفعل خير، لقد هلك، دُمِّر، انتهت حياته وإرادته.

وهي ضدُّ المحافظة على النفس؛ لأنَّها تدمِّر نفس الإنسان، تدمِّر حياته، وتدمِّر صحَّته، وتجعله أحياناً ينتهي بالموت.

بعض هؤلاء المدمنين ينتهون بالموت، ومن لم يمت منهم فقد مات موتاً أدبياً.

وما قيمة حياةٍ فقدَ الإنسان فيها إرادته، ولم يُعدَّ قادراً على صنع شيء، لا قادراً على أن يبدع، ولا على أن يتكر، ولا على أن ينجح، فهو ميت أشبه بالحي.

ثمَّ هي ضدُّ المحافظة على العقل؛ لأنَّها تدمِّر العقل، وتغيِّب الإنسان عن وعيه.

وما مُيّز الإنسان عن الحيوان إلَّا بعقله، والعقل هو مناط التكليف في نظر الشرع.

ثمَّ هي من ناحية أخرى ضدَّ المحافظة على النّسل؛ لأنّها خطر على نسل الإنسان.

الإنسان المدمن الذي وقع في شباك هؤلاء لا يستطيع أن يرفع أطفالاً، ولا أبناء، ولا بنات، ولا زوجة.

ولذلك كثيرًا ما يضيّع أولاده وهو لا يدري؛ لأنّه فقد الوعي بالمسؤولية.

ثمَّ هي ضدَّ المحافظة على المال أيضًا؛ لأنَّ الإنسان يضيّع فيها ماله، بل يسرق مال غيره، يضيّع المال فيما يضرّه ولا ينفعه، فيما يهدمه ولا يبنيه.

فهي ضدَّ هذه الضروريات كلّها.

من أجل هذا لا ينبغي أن يشكَّ أحد في تحريمها.

ما الوقاية من هذا؟ وما العلاج لهذه الآفة؟

الحقيقة أيُّها الإخوة، أنّه لا علاج لها إلَّا بمنع تهريبها، وحظر دخولها إلى بلادنا، وبمقاومة مروجيها، وبإعدام المتّجرين فيها؛ ليكونوا عبرة لغيرهم، وقلّما نصل إليهم؛ لأنّهم دونهم أسوار وأسوار، وكثيرًا ما يختبئون وراء آخرين من الكبار!

ولكن نستطيع الوقاية منها، والوقاية خير من العلاج، ودرهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج.

وأعظم وقاية من هذه المخدّرات والآفات هي التربية الدّينية الصحيحة.

الدين هو الواقي الأوّل والسلاح الأوّل والموئل الأوّل، الذي ينبغي أن نفرز إليه في محاربة هذه الآفات المدمّرة القاتلة.

إذا ربينا أولادنا تربية دينيّة، ووفرنا لهم بيئة صالحة، وعرفنا كيف نختار لهم الأصدقاء الأخيار، والأصحاب الأطهار، ولم نتركهم لأصدقاء السوء يفسدونهم ويدمّرون عليهم حياتهم، إذا استطعنا أن نعيش أولادنا في بيئة صالحة، ومحضن صالح يرعى: عقولهم وإراداتهم، ويعلمهم مخافة الله، ورقابته سبحانه، والإيمان بالآخرة، وذكر الحساب والجنّة والنّار، إذا أقمنا هذا الوازع الذاتي وهذه الروادع الأخلاقية في نفوسهم، إذا أحيينا هذا الضمير الديني في صدورهم، فقد أقمنا سدّا منيعاً بينهم وبين هذه الآفات.

الشباب المتدين الملتزم بدينه، وبقيم دينه، وبأخلاق دينه، هو أبعد النّاس أن يقع فريسة لهؤلاء؛ لأنّه لا يشرب حتّى سيجارة، السيجارة يراها حراماً ومنكراً، وأول الآفات هي السيجارة، من السيجارة يبدأ الفساد، ومن خلالها يمكن أن يأخذه دعاة الفساد وتجار الشرور، إلى الأشياء الأخرى، والمنكرات الكبرى.

الشباب المتدين لا يتناول سيجارة، ولا شيئاً محرّماً أو مشتبهاً فيه بأي طريقة كان، ولا يأخذ شيئاً من ذلك بالفم ولا بالشّم ولا بالحقن، ولا بأي شيء من هذا، ويمتنع تماماً بكامل إرادته عن هذه الأشياء، ويعيش في بيئة صالحة.



إِنَّ ابْنَ الْمَسْجِدِ وَابْنَ الْقُرْآنِ وَابْنَ الْإِسْلَامِ: هُوَ الَّذِي يَسْتَعِصِي عَلَى هَؤُلَاءِ، لَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ أَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ فَقَدْ حَصَّنَهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ، وَحَصَّنَهُ اللَّهُ بِالْإِسْتِقَامَةِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ أَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ، كَمَا عَجَزَ شَيَاطِينُ الْجِنِّ أَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ بِتَرْبِيَّتِهِمُ التَّربِيَّةَ الدِّينِيَّةَ، بَوَضْعِهِمْ فِي الْبَيْتَةِ الصَّالِحَةِ، بِأَنْ يَكُونُوا تَحْتَ إِمْرَافِ عُلَمَاءٍ وَدُعَاةٍ وَمُرَبِّينَ صَالِحِينَ، لَا تَتْرَكُوهُمْ يَضِيعُوا وَيَذُوبُوا فِي مَجْتَمَعِ الْفَسَادِ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَهَذَا أخطرُ الْأَشْيَاءِ.

وَنَحْنُ فِي عَصْرِنَا أَصْبَحْنَا نَحَارِبُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَنُغْزِي مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، بِأَجْهَازَةٍ شَتَّى، فَلَا بَدَّ أَنْ نَحَافِظَ عَلَى أَبْنَائِنَا.

حَافِظْ عَلَى ابْنِكَ، عِلْمَهُ الصَّلَاةَ، عِلْمَهُ الْأَخْلَاقَ، عِلْمَهُ فَرَائِضَ الدِّينِ، عِلْمَهُ فَرَائِضَ الْخَيْرِ، عِلْمَهُ مَقَاوِمَةَ الشَّرِّ، صِلْهُ بِالْخَيْرَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وَاطْمَئِنِّ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ فَقَدْ وَضَعْتَهُ فِي طَرِيقِ السَّلَامَةِ.

بِهَذَا وَحْدَهُ نَقَاوِمُ هَذِهِ الْآفَاتِ الْقَاتِلَةِ وَهَذِهِ الْمَخْذَرَاتِ الْمَهْلِكَةِ، وَنَحْمِي أَوْلَادِنَا، وَنَحْمِي شَبَابِنَا، وَنَحْمِي مَجْتَمِعِنَا، مِنْ كُلِّ مَنْ يَرِيدُ بِهِ السُّوءَ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يَحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَفْقِّهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَغَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

اعتبار مجلس النواب الأمريكي «القدس» عاصمة لإسرائيل:

آسفنا أشدّ الأسف ما قرّره مجلس النواب الأمريكي، من اعتبار «القدس» عاصمة لإسرائيل، وقرّر نقل السفارة الأمريكية إليها، ورصد لذلك مائة مليون دولار.

وهذا - وإن آسفنا - لا نستغربه من سياسة أمريكا، التي وقفت إلى جانب باطل إسرائيل في كلّ حين.

ليس هذا أوّل موقف تتخذه أمريكا متحدية بذلك العرب والمسلمين في العالم كلّ، طالما وقفت بقرارها «الفيّتو» مع إسرائيل ضدّ العالم. العالم في جانب، وأمريكا في جانب، ويقولون: إنّها راعية السلام! ما هذا الراعي؟

إنّ الراعي الذي قال فيه الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب^(١)؟!

أي سلام ترعاه أمريكا وهي متحيزة مائة في المائة (١٠٠٪) لإسرائيل؟!

كأنها لا تعير ألفاً وثلاثمائة مليون من المسلمين أي التفاتة، ولا تقيم لهم وزناً.

(١) ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢،

١٤٢٤هـ. ولم ينسبه.



لا العرب، ولا المسلمون، ولا الأحرار في العالم، لهم اعتبار عند أمريكا، إنّما الذي له اعتبار هو إسرائيل ونتنياهو، فهي معهم على طول الخط، لا يمكن أن تقف ضدهم.

وهذا هو الذي ينبغي أن نؤمن به: هذه أمريكا، وهذه سياستها، وهذا منهجها.

العجيب فينا نحن العرب، العجيب أنّنا لا زلنا نتغنى بالسّلام وعملية السّلام!

أي سلام هذا؟! ما هذا السّلام يا قوم؟

إنّهُ سلام اليهود وحدهم، وليس سلامنا، السّلام لهم هم. القدس يُراد أن تصبح كلّها - شريقها وغربها - عاصمة موحّدة وأبدية لإسرائيل، ولا زالت السياسة الإسرائيلية مستمرة في إزالة المعالم، وإقامة المستوطنات، وما جبل «أبو غنيم» إلّا خطوة من خطوات هذه السياسة المرسومة، والفلسفة المعلومة.

وهم يحفرون حول الأقصى ليوم رسموه وقدّروه، ينهدم فيه هذا المسجد، وليس ذلك فيما أظن ببعيد!

ماذا يصنع العرب، وماذا يصنع المسلمون حينما ينهار المسجد الأقصى؟

سيصنعون ما صنعوه حينما قُتل من قُتل يوم فتح النفق، وحينما قُتل من قُتل في «قانا»، وحينما قُتل من قُتل في مسجد الخليل، وحينما فعلت إسرائيل ما فعلت من قديم ومن حديث.

ماذا نفعل؟

نشجب ونستنكر ونبعث البرقيات ونصرّح التصريحات!

الأمر لا بدّ أن يُقاوم، لا بدّ أن نرفض هذا، لا بدّ أن نقول: «لا» بملء
فينا، وأن ما أخذ بالقوة لا بدّ أن يُسترد بالقوة.

هذه قضية مسلّمة، لا يمكن أن تقاوم السنّان باللسان، وأن تقاوم
السّلاح بالكلام.

هذا مستحيل.

لا بدّ من الجهاد، لا بدّ أن تجاهد هذه الأمّة ولو بالعصي
و(النبايت)^(١)، وأن تقاوم ولا تُسلم أبداً.

قد نكون عاجزين اليوم، ليكن، ولكن «رفضنا» هو نوع من المقاتلة.
يجب أن نرفض ما تفعله إسرائيل، ونقاطع إسرائيل.

كلّ مسلم يجب أن يقاطع بضائع إسرائيل، لا يشتري من إسرائيل،
ولا يبيع لإسرائيل.

لو رأيت البضاعة الإسرائيلية أمامك - وهي أجود وأرخص من
غيرها - فلا تشتريها؛ لأنّك حينما تشتريها؛ فإنّ هذا المال الذي تدفعه
ينقلب إلى رصاصات في صدر إخوانك وأخواتك في فلسطين، في
الخليل، في القدس، في نابلس، في غيرها من المدن والبلاد.

احرص على مقاطعة إسرائيل، هذه فريضة دينيّة.

نحن نستطيع أن نقاوم، وأن نقاطع، وأن نقول: «لا».

(١) جمع نبوت. وهو في لغة العامة: العصا الغليظة الطويلة.



أهم شيء أن نقول: «لا»، بملء أفواهنا، لا نتلعثم ولا نتردد.
و«لا» هذه، تقض مضاجع اليهود، وتزلزل أقدام اليهود، وترعب
قلوب اليهود.

لو قال مائتان وخمسون مليوناً من العرب، ووراءهم أكثر من ألف
مليون من المسلمين: «لا» يا يهود، لا، لن نفرط في القدس، لا، لن
نفرط في الأقصى، لا، لن نفرط في أرض النُّبُوت، لا، لن نفرط في
أرض الإسراء والمعراج.

إذا قالوها كان لها دوي هائل يصم الآذان.

يجب أن نقول: «لا»، ولا بديل لهذا.

«لا»، ثم «لا»، ثم «لا»، وإن شاء الله النصر لنا، والمعركة النهائية
لنا، وسينصرنا الله تعالى؛ لأنه قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

* * *

يوم الغذاء العالمي^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في هذا الأسبوع أعلنت منظمة الأغذية والزراعة في هيئة الأمم المتحدة يوم السادس عشر من أكتوبر يومًا للغذاء العالمي، طلبت من العالم أن يحتفل بهذا اليوم، وأن يُعتبر هذا اليوم يوم الغذاء العالمي، وقال مدير المنظمة: إنَّما أردنا بذلك أن ينتبه النَّاس إلى أزمة الجوع، وإلى محنة الجائعين في عدد كثير من أقطار العالم، حتَّى يتعاون العالم كلُّه: شرقيه وغربيه، شماليه وجنوبيه، على الوقوف في وجه هذا البلاء، أو التخفيف من ويلاته، والتخفيف من بؤس الجائعين في العالم.

هكذا مرَّ هذا اليوم «يوم الغذاء»، وإن شئت قل: «يوم الجوع»! اليوم الَّذِي يذكّر النَّاس بالجوع، ونظرت إلى خريطة العالم، فإذا معظم البلاد الَّتِي تعاني الجوع وتعاني البؤس، ولا يجد كثير من أهلها القوت - الَّذِي إذا انعدم فإنَّ الإنسان يموت - هي بلاد المسلمين!

(١) أُلْقِيَتْ بِجَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَّة، بِتَارِيخِ ١٦ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤١٨هـ، الْمَوْافِقِ ١٧

أَكْتُوبَرِ ١٩٩٧م.



الجوع خطر على العقيدة:

بلاد المسلمين تعاني الجوع، ويعاني أبنائها أزمات متلاحقة بسبب هذا الجوع، الذي يصفه الناس دائماً بأنه كافر.

ومعنى أنه كافر: أنه قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر.

والذي لا يجد القوت قد يكفر والعياذ بالله، قد يتشكك في عدالة الله ﷻ في توزيع الأرزاق، أو في حكمته في تدبير الكون، ولهذا روي في حديث ضعيف: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(١).

الجوع خطر على العقيدة إذن.

الجوع خطر على العبادة:

وهو خطر على العبادة؛ فإن الإنسان الذي لا يجد قوته لا يستطيع أن يخشع في صلاته، لا يستطيع أن يعبد ربه العبادة المرجوة.

ولهذا امتنَّ الله على قريش بقوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قَرِيْشٌ * إِئْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤].

نعمتان من أعظم نعم الله تعالى على الخلق في حياتهم: نعمة الطعام، ونعمة الأمن.

وشرُّ ما يُصاب به النَّاسُ أن يفقدوا الرِّخاء والشَّبع، ويفقدوا الأمن والاطمئنان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦١٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٤٨)، عن أنس.

الجوع والخوف شرٌّ ما تُبتلى به المجتمعات.

الجوع خطر على العقيدة، خطر على العبادة.

الجوع خطر على السلوك:

وهو خطر على الأخلاق والسلوك، لا تأمن أن يسرق الجائع، وأن تنحرف الجائعة، وأن تعمّ الرذائل، وينتشر وباؤها في المجتمع، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري^(١) في ذلك الرجل الذي تصدّق في جنح الليل بصدقة حتّى لا يراه النّاس، فصادف أن وضعها في يد سارق، وفي الليلة الثانية تصدّق فكانت في يد امرأة زانية، وظنّ الرجل أنّ صدقته ذهبت هباء، فأُتي في منامه فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فلعلّه أن يستعفّ عن سرّقه، وأمّا الزانية فلعلّها أن تستعفّ عن زناها.

معنى هذا أنّ الجوع قد يدفع الإنسان ليسرق، وهو غير مريد للسرقة في الأساس، ليس من اللصوص، وقد يدفع المرأة أن تفرّط في عرضها من أجل أن تأكل أو تُطعم أولادها وأطفالها، وهي ليست من أهل الزنى. الجوع خطر على الأخلاق والسلوك.

(١) عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على سارق. فقال: اللهم لك الحمد على سارق، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على غني. فقال: اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغني. فأُتي، فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فلعلّه أن يستعفّ عن سرّقه، وأمّا الزانية فلعلّها أن تستعفّ عن زناها، وأمّا الغني فلعلّه أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله». متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كلاهما في الزّكاة.

الجوع خطر على العقل والفكر:

وهو خطر على العقل والفكر؛ فالجائع لا يستطيع أن يفكر تفكيراً سليماً، إنه مشغول بلقمة الخبز له ولأهل بيته، فكيف نكلّفه أن يفكر؟ ولذلك حينما جاءت الجارية إلى الإمام مُحَمَّد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة - وكان في الحلقة يدرّس لأصحابه وتلاميذه، وقد حضّر مجموعة من المسائل ليناقشهم فيها - تقول له: يا سيدي، لقد نفذ الدقيق من البيت، البيت لم يعد فيه دقيق.

فقال لها: قاتلك الله، لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه^(١)!

أضاع هذا الخبر المسائل من رأس هذا الإمام!

الإنسان الذي لا يجد القوت لا يستطيع أن يفكر، ولهذا كان من الحكّم: لا تستشر من ليس في بيته دقيق! لأنّه مشغول عنك بلقمة خبزه، وخبز أولاده.

الجوع خطر على الأمن:

الجوع خطر على الحياة كلّها، خطر على أمن المجتمع واستقراره، حتّى قال أبو ذر رضي الله عنه: عجت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟!

الجوع يمكن أن يحدث ثورة اجتماعية لا تبقي ولا تذر؛ لأنّ الإنسان قد يصبر على أي شيء، ولكنّه لا يصبر على الجوع.

(١) مجلة الرسالة ص ٤٤، العدد (٧٠٦)، بعنوان: من هنا ومن هناك.

ولو صبر على جوع نفسه؛ كيف يصبر على جوع أطفاله، وهم يتلوون أمامه ويتضاغون، ولا يجدون ما يُشبع النّهم، وما يُمسك الرّمق؟

الجوع إذن خطر على الفرد، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع، لهذا فإنّ الإسلام لا يقبل أبدًا أن يجوع النّاس، لا بدّ أن يكون لكلّ إنسان كفايته، وأن يُعطى له ما يتمّ كفايته من كلّ ما يحتاج إليه حاجة أساسيّة، وأولها: الطعام والشراب.

لا بدّ أن يأكل، ويأكل من الطيبات التي أودعها الله في هذه الأرض.

إنّ الله ﷻ حينما ذكر الطيبات في القرآن، لم يذكرها فقط لمجرد أن نقرأها، إنّما ذكرها أيضًا لنحاول أن نستمتع بها، وقد نادى النّاس جميعًا: أن يأكلوا من هذه المائدة الإلهية الممدودة للبشر جميعًا: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

رزق الله ممدود للجميع، فلا بدّ للنّاس أن يأكلوا من هذا الرزق، من هذه الطيبات التي هيأها الله للإنسان، كلّ بني الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

حينما يذكر الله تعالى في سورة النحل - وقد سمّاها بعض السلف سورة النعم -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ * يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الْيَمَّ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿النحل: ١٠ - ١٤﴾.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا
سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٦ - ٦٨].

كلُّ هذه الأنواع من النعم والطيبات لماذا تُذكر في القرآن؟

أليس هذا دليلاً على أنها من حظ الإنسان وحقه في هذه الحياة، وأن
يتمتع بما أودع الله له في هذا الكون؟

الإسلام يريد من الإنسان عامّة، ومن المسلم خاصّة، ومن كلِّ
من يعيش في ظلِّ مجتمع الإسلام: أن يحيا حياة طيبة، وأن يستمتع
بما خلق الله من الطيبات، فما كان الله ﷻ ليخلق هذه الطيبات ثمَّ
يحرمه منها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]،
﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

الجوع إذن شيء لا يحبُّه الإسلام، وكان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني
أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع»^(١).

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٤)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣)، عن أبي هريرة.

لماذا إذن يجوع الناس؟ لأن الله لم يضع في الكون ما يكفيهم؟
كذب الذين قالوا ذلك.

ذهب بعض العلماء الاقتصاديين من المتشائمين مثل «مالتوس» وغيره:
أن موارد الكون لا تكفي الناس، وأن الحاجات الإنسانية كثيرة، والموارد
الموجودة في الأرض محدودة، وأن هذا هو جوهر المشكلة الاقتصادية.
وهذا غير صحيح.

إن الله قبل أن يخلق الإنسان، هياً له ما يكفيهِ: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِلسَّائِلِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٠].

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١٠، ١١]،
أي: قبل خلق الناس هياً الله لهم في الأرض معاشهم.

المعاش موجود، وقد ضمن الله الرزق لكل حي، فقال تعالى: ﴿وَمَا
مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

الرّزق مبعوث في الكون، ولكن البشر لم يُحسنوا استغلال هذا
الرّزق كما أراد الله ﷻ.

البشر لم يستخدموا إلى الآن عُشر المساحة الصالحة للزراعة في هذه
الكرة الأرضية، أي: في الجزء اليابس، وهو أقل من ثلاثين في المائة
(٣٠٪) من مجموع الكرة الأرضية؛ لأن أكثر من سبعين في المائة (٧٠٪)
بحار ومحيطات، وحوالي نصف هذا اليابس صالح للزراعة، والباقي
جبال وصحارٍ.

الجزء الصالح للزراعة لم يُستخدم منه إلا حوالي العشر، وبقي إذن تسعة أعشار.

بل إنَّ هناك تجارب بشريّة تقول: إنَّ الصحاري يمكن زراعتها، وقد قام أناس كثيرون في بلاد شتّى بتحويل اللون الأصفر إلى لون أخضر.

بالعقل والعلم، والعمل والجهد البشري: يمكن تحويل الصحراء إلى بقعة خضراء، وقد أُعطي الإنسان من الوسائل الكثير، وعلم الله الإنسان ما لم يعلم.

وهناك الجزء المائي من هذه المعمورة وهو أكثر هذه الأرض. البحار فيها إمكانيات كثيرة لإمداد الإنسان بالغذاء، بالسّمك والحيوانات البحرية، وبغير ذلك من أعشاب وأشياء أخرى، ويمكن زراعة نباتات وكائنات حية في الجزء المائي؛ ليستفيد النَّاس من هذه المساحة الضخمة.

الرّزق إذن موجود، ولكن النَّاس لم يستفيدوا منه.

لا بدّ من عمل، وعمل كثير، وخصوصًا في بلادنا الإسلامية.

لا بدّ من زيادة الإنتاج، ولا بدّ من ترشيد الاستهلاك، ولا بدّ من عدالة التوزيع^(١).

عناصر ثلاثة بعضها إلى جنب الآخر، حتّى يمكن أن يقاوم النَّاس أزمة الجوع، ومحنة الجوع.

(١) من أراد التوسع في هذا الموضوع، فليراجع ما كتبه حول هذه العناصر الثلاث في كتابي: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

تخطيط يُوسُف ﷺ لمواجهة المجاعة:

ذكر القرآن لنا قصة يوسف، وهي ليست للتسلية، ولكن كما قال الله تعالى في آخر السورة نفسها: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

في قصة يوسف ﷺ عبرة، فقد عمّت مصر وما حولها مجاعة خانقة، يبدو أن ماء النيل قد نقص لعدة سنوات، أو كان يوشك أن ينقص، وقد رأى الملك رؤياه العجيبة، وهياً الله «يوسف» ليعبر الرؤيا، وليضع الخطة، وليقوم على تنفيذها.

فقد أعلمه الله - ممّا علّمه من تأويل الأحاديث - أن مصر مقبلة على سنوات خصبة سبع، وبعدها مثلها سبع عجاف، ثم يأتي الغيث والفرج.

كيف واجه «يوسف» هذا الأمر؟

واجهه بخطة من ثلاثة عناصر:

في السنوات السبع الأولى: زيادة وتنمية متتابعة ومستمرة للإنتاج، تحسباً للغد، وتهيئاً لاحتمالات المجاعة المقبلة، وهنا قال لهم: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ [يوسف: ٤٧].

الاجتهاد والزراعة الدائبة لزيادة الإنتاج، ثم ما يُنتج لا يؤكل منه إلا القليل ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ يُخزّن، ويُخزّن بهذه الطريقة: يوضع في سنبله، حتّى يبقى أطول مدة ممكنة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ وهذا ما يسميه الناس الآن: ترشيد الاستهلاك، أنتج كثيراً واستهلك قليلاً لتواجه الأزمة.

وفي السنوات السبع الأخرى: يكون التخطيط، والأكل بحساب والاستهلاك بمقدار: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٨]، لاحظ قوله: ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ لتعلم أن الاستهلاك هنا مقنن، وليس مفتوحاً على مصراعيه، ومعنى قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ يشير إلى أمر مهم، أي: أحصنوا واحفظوا وادخروا بعض البذور، حتى إذا جاء الماء وجدتم شيئاً تبذرونه، وإلا ما قيمة أن يأتي الماء وليس عندك بذر؟

«يوسف» ﷺ واجه الأزمة:

- ١ - زيادة الإنتاج والإشراف عليه.
- ٢ - وتقليل الاستهلاك وترشيده.
- ٣ - وعدالة التوزيع: أنه لا يدع الأغنياء يأخذون ما طاب لهم، ويدع الفقراء ضائعين.
- لا، لا بد من عدالة التوزيع، بحيث يصل إلى الفقير ما يحتاج إليه، ولو لم يكن معه ثمنه.
- ولهذا حينما جاء إخوته من بعيد، ولم يكونوا يعرفون أنه أخ لهم، ولكن نادوه فقالوا: ﴿يَتَأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].
- هنا للصدقة مكانها ومجالها.
- وقد كان يوسف ﷺ مثلاً للآخرين في هذا الأمر، فكان إذا أكل لا يشبع، فلما قيل له: تجوع وفي يدك خزائن الأرض؟! يرد عليهم قائلاً: إني أخاف إذا شبع أن أنسى جوع الفقراء^(١)!

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٣/٦)، عن الحسن، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

الإسلام يواجه أزمة الجوع بهذه العناصر:

١ - العمل على تنمية الإنتاج وتنويعه وتحسينه:

أن يعمل النَّاس في كلِّ مجال يحتاجون إليه، وخاصَّة في مجال الزراعة، والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «من أحيَا أرضًا ميتة فهي له»^(١)، ويقول: «ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلَّا كان له به صدقة»^(٢)، ويقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة [نخلة صغيرة، أو شتلة] فإن استطاع ألا تقوم حتَّى يغرسها، فليغرسها»^(٣).

إلى هذا الحد من الحثِّ على عمارة الأرض والإنتاج للحياة.

الزراعة عبادة، وكلُّ ما يوصل إلى النَّاس قوتهم: صيد الأسماك، وصيد الحيوانات البرية والبحرية، والعمل على زيادة الثروة الزراعية، والحيوانية من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك، ومن الدواجن والطيور، ومن كلِّ ما يستهلكه النَّاس.

لقد حمل القرآن حملة كبرى على الَّذِينَ عَطَّلُوا هذه الثروة من المشركين الَّذِينَ حَجَزُوا بعض أنواع الأنعام وقالوا: هذه للأصنام، وهذه كذا، وحرَّموا أكلها، فقال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

(١) رواه أحمد (١٤٨٣٩)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الأحكام (١٣٧٩)، وقال:

حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٥)، عن جابر.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب

المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

ونزلت سورة الأنعام تناقش هؤلاء: من أين لكم هذا التحريم ﴿قُلْ
 ءَالَّذِكْرِنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

حمل على هؤلاء الذين أحلوا الحرام وحرموا الحلال: ﴿قَدْ خَسِرَ
 الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ
 ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

جاء الإسلام يدعو إلى زيادة الإنتاج، ويعتبر العمل لهذا الأمر عبادة
 وجهاداً في سبيل الله، وكلُّ عمل في هذا الجانب فهو عبادة وجهاد.
 ومن اللطائف أنَّ فقهاءنا اختلفوا أي الأعمال أفضل: الزراعة، أم
 الصناعة، أم التجارة؟

ولكن المحققين منهم قالوا: حينما يحتاج الناس إلى الأقوات، فليس
 هناك عمل أفضل من الزراعة؛ لأنها توفر للناس قوتهم وغذاءهم، حتى
 يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم.

وتنمية الإنتاج تكون بالكم وبالكيف.

بالكم: بأن تزرع أرضاً لم تكن مزروعة.

وبالكيف: بأن تحسّن الإنتاج، تأتي للأرض بسماد يخصّبها، وتبحث
 عن بذرة أفضل؛ فإنّ بعض البذور ينتج أفضل ممّا تنتجه البذور الأخرى،
 أحياناً بخمسين في المائة (٥٠٪)، وأحياناً بمائة في المائة (١٠٠٪)،
 وبأضعاف مضاعفة.

وقد أشار القرآن إلى قضية، لا أظنها ذكرت عبثاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ
 يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

لعلنا نستطيع أن نأتي ببذرة تنتج سبع سنابل، كلُّ هذا ممكن.

ينبغي مضاعفة الإنتاج، وزيادة العمل الذي أهمله المسلمون، وطالما قلت لكم: للأسف إننا أقلُّ الأمم عملاً وإنتاجاً للحياة، مع أنَّ العمل عبادة لله في ديننا، وضُرِبَ من الجهاد في سبيل الله، ولهذا قرنها القرآن معاً: ﴿وَأَخْرُوجْ يَصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُوجْ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

ينبغي تنمية الإنتاج كمًّا ونوعاً.

٢ - ترشيد الاستهلاك:

قد يحسِّن الناس الإنتاج، ولكنهم يسيئون الاستهلاك، يستهلكون استهلاكاً مسرفاً، والله تعالى لا يحبُّ المسرفين: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

هناك من الناس من يسرف في استهلاكه، يستهلك بغير حاجة، يستهلك أكثر من اللازم، يرمي من الطعام ما فضل عنه.

تعلمون ما يحدث في بلادنا هذه، بلاد الخليج، تُصنع الولائم، ويذبح الناس الذبائح، ويأكل الناس القليل، ثم يرمون بعد ذلك الكثير الكثير في صناديق القمامة، وهناك من يتمنى لقمة يأكلها.

هناك في عالمنا الإسلامي بلاد تئنُّ من الجوع أنين الملسوع، ونحن نرمي في صناديق القمامة بقايا الخراف، ومن الأرز، ومما لَدَّ وطاب، والنبي ﷺ يقول فيما رواه مسلم في «صحيحه»، عن أنس:

«إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمط ما بها من الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان»^(١).

لقمة تقع منك، لا تتركها، امسحها ونظفها وكلها.

كان النَّاس قديمًا إذا سقطت منهم لقمة يأخذونها ويقبلونها، ويقولون: هذه نعمة، كانوا يسمون الخبز ونحو ذلك «نعمة»؛ لأنَّهم كانوا يشعرون بفضل الله تعالى فيها، الله هو الَّذي رزقها، وما عملته أيديهم: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥].

ولذلك يقول: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمط ما بها من الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان»، ويقول أنس رضي الله عنه: كان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نسلت القصعة (أي: نمسحها وننظفها باللعق ولا ندع فيها فضلات)، ويقول: «فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»^(٢).

بعض النَّاس الذين لا يفقهون مثل هذه التوجيهات يقولون: كيف يلحق الإنسان الصحيفة، أو يلحق يديه؟!

هذا معناه أنك لا تبقي فضلات، بيدك، بالملعقة، بأي شيء، المهم هنا: اغرف على قدر ما تأكل، ولا تدع الباقي يُرمى ويُلقى في القمامة.

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٤٠٨٩).

(٢) جزء من الحديث السابق. وقال المناوي: أي الخير الكثير والتغذية والقوة على الطاعة، أهو فيما بقي على الأصابع أو الإناء أو في اللقمة الساقطة؟ فإن كان فيها فيفوته بفوتها خير كثير. فيض القدير للمناوي (٣٧٦/١) برقم (٦٨١).

لِمَ تلقي هذه الفضلات، وهناك من هو محتاج إلى اللقمة؟ أليس هذا كفرانًا بالنعمة؟ أليس هذا بطرًا؟

تصوّروا: لو أن كلَّ مسلم يلقي لقمة واحدة في كلِّ وجبة - فضلًا عن أن بعض الناس يلقي نصف طبق أو نحو ذلك في الوجبة الواحدة - وهناك ألف مليون مسلم يفترض أنهم يستمعون إلى مُحَمَّد ﷺ وينفّذون توجيهه، معناه: ثلاثة آلاف مليون لقمة تضيع هدرًا وتلقى في سلة القمامة في كلِّ يوم!

فكم يكون هذا في الشهر؟ وكم يكون هذا في السنة؟! وإذا تصورنا أن الأمر أكثر من لقمة ولقيمات، فكم تكون الخسارة؟ هذه توجيهات تعلّم الناس كيف يرشّدون الاستهلاك؟ وكيف يتعدون عن الإسراف؟ وكيف يأكلون ما يحتاجون إليه، ويوفّرون ما لا يحتاجون إليه؟

إذا كنت صاحب ملايين؛ فليس معنى هذا أنك مالك المال. المالك الحقيقي هو «الله»، وأنت مستخلف فيه، فلا يجوز لك أن تتصرف فيما لم يأذن لك به مالك المال الحقيقي، وهو «الله». لا يجوز أن تبعثر مالك ذات اليمين وذات الشمال في أشياء كمالية وأشياء أحيانًا محرّمة، وأنتم تعلمون كيف ينفق المال في المحرّمات، وهناك من يحتاجون إلى اللقمة وإلى الشربة.

علّمنا النبي ﷺ ألا نبالغ في الأكل إذا أكلنا وقال: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩٣)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦٠، ٢٠٦١)، عن ابن عمر.

ورأى رجلاً مليء البطن سميناً فغمزه وقال: «لو كان هذا في غير هذا؛ لكان خيراً لك»^(١).

وقال عمر رضي الله عنه للناس منبهاً على قضية مهمة: «أكل ما اشتهيتم اشتريتهم»^{(٢)؟!}

ألا يفطم الإنسان نفسه عن شيء يشتهيهِ يوماً؟
هذا لون من التربية.

٣ - عدالة التوزيع:

إنَّ بعض النَّاس يأكلون إلى حدٍّ أَنَّهُم يشكُّون من كثرة التَّخمة،
وآخرون يجوعون إلى حدٍّ أَنَّهُم يشكُّون من عضَّة الجوع.

أشاهد في «التلفزيون» إعلانات تقول للإنسان الذي أكل وأكل وأكل
أنواعاً ومشتهيات من الأطعمة، ثمَّ تقول له: عندك الدواء الفلاني اشربه
حتَّى يخفف عنك الزحمة التي في معدتك!

لماذا تأكل أكثر ممَّا تطيق، ثمَّ تشرب من الأدوية ما تهضم به؟
كان أولى بهذه الزيادة إنسان آخر جائع، يحتاج إلى ما يُمسك رmqه.
نحن في حاجة إلى عدالة التوزيع بين النَّاس بعضهم وبعض.
من هنا فرض الإسلام الزَّكاة على المسلمين، تؤخذ من أغنيائهم لترد
على فقرائهم.

(١) رواه أحمد (١٥٨٦٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف، والطبراني (٢٨٤/٢)، والحاكم في
الأطعمة (١٢٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. عن جعدة الجشمي.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٤٥٥/٢)، وقال الذهبي: القاسم - أحد الرواة - وإه.

ومن هنا فرض الإسلام أشياء أخرى مثل زكاة الفطر، وهي زكاة على كل رأس، في مناسبة العيد؛ لتعم الفرحة الجميع، وقد فرضها النبي ﷺ من الطعام الذي في وقته، حتى تعود على الجائعين، فيأكلوا صاعاً من تمر أو من زبيب، أو من بُرّ أو من شعير أو من أقط، أو من نحو ذلك، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر؛ طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين»^(١).

وشرع الأضحية في عيد الأضحى؛ ليأكل الفقراء اللحم.

وشرع العقيقة عند ميلاد الطفل ليأكل الفقراء اللحم أيضاً.

شرع هذا، وشرع الكفارة في أمور كثيرة، منها الحنث في اليمين ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ولم يعد هناك رقاب تحرّر أو تعتق ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

الإسلام ينتهز الفرصة حتى لا يدع الجائعين دون طعام.

في رمضان من عجز عن الصيام لشيخوخة، أو مرض مُزمن، أو حبل، أو إرضاع، أو نحو ذلك، فإنه يُفطر ويفدي، أي يطعم عن كل يوم مسكيناً ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤].

من زاد على أكثر من مسكين فهو خير له.

ينتهد الإسلام الفرصة لكيلا يدع الناس جائعين.

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصحّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسن إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦)، عن ابن عباس.

ومن أفضل ما حثَّ عليه النبي ﷺ ممَّا يدخل الإنسان به الجنان: إطعام الطعام، فهو من أعظم القربات إلى الله، وخاصَّة في أيام المسغبة والمجاعة والأزمة: ﴿فَلَا أَقْنَحِمِ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ﴿مِنَ الْأَقَارِبِ﴾ ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ﴿يَدُهُ مَلْصِقَةٌ بِالْتَرَابِ لَا يَجِدُ شَيْئًا يَمْلِكُهُ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١ - ١٧].

وأثنى الله على الأبرار من عباده فقال: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩]. هذا من أفضل القربات إلى الله تعالى.

ومن أعظم الذنوب أن يشبع بعض النَّاس، وآخرون بجوارهم جائعون. يقول النبي ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»^(١).

وفي رواية: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»^(٢).

ليس من هذه الأمة صاحب القلب القاسي، الذي لا يحنو على هؤلاء الجياع والضعفاء، لا يحنو بنفسه ولا يحثُّ غيره: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

وقد ذمَّ الله المجتمع الجاهلي بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

مطلوب من الإنسان أن يُطعم المسكين، وأن يحضَّ غيره على إطعامه، وإلا كان مصيره مع أولئك الذين ذكرهم القرآن مع أهل سقر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾ [المُدَّثِّر: ٣٨ - ٤٤].

أضعنا حقَّ الله بإضاعة الصلاة، وأضعنا حقَّ عباده بإضاعة الزكاة، وعدم إسعاف المساكين والمضطرين.

يا أيُّها الإخوة المسلمون، إنَّ الإسلام يكره أن يعيش الإنسان في الجوع؛ بل يستحثُّ النَّاسَ على أن يكونوا أسرة واحدة، وأن يكونوا كاليد الواحدة: يعطف بعضهم على بعض، يأخذ القوي بيد الضعيف، يصبُّ الغني على الفقير من مال الله الذي آتاه.

هذه هي العناصر الثلاثة التي بها نواجه أزمة الجوع ومحنة الجائعين:

١ - العمل على تنمية الإنتاج.

٢ - ترشيد الاستهلاك.

٣ - عدالة التوزيع.

لو قمنا بهذا كما أمرنا الله تعالى لم نشكُّ من الجوع.

صحيح أنَّنا نحن المسلمين لسنا وحدنا في العالم، هناك بلاد كثيرة تملك الكثير، وعليها أيضًا واجب، فطالما امتصَّت دماء هذه الأوطان، وطالما أكلت خيراتها، وطالما استنزفت أرزاقها، وكوّنت لأنفسها

ثروات طائلة هي من عرق هذه الشعوب، فعلیها أيضًا واجب لإسعاف هذه البلاد.

هناك بلاد تنتج الإنتاج العریض، من الأغذية وغيرها، ثم تلقيه في المحيط، في البحر؛ حتى لا ترخص الأسعار، وكان يمكنها أن تسعف به بعض الجیاع في العالم.

إنّ بعض ما يُنفق على التسليح النووي وغير النووي، لو أنفق ثلثه أو ربه ما كان في العالم جائع.

إنّ كثيرًا من الأموال التي تُنفق في غير محلّها، لو أنفقت في موضعها لكفت أولئك الجیاع من الناس.

إنّ الناس لو رجعوا إلى الله وطرقوا بابه مستغفرين لأرسل السماء عليهم مدرارًا، وبارك لهم في أموالهم، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وليس الإيمان مجرد أن تقول: «لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله». بلسانك، أو تسبّح وتهلّل وتكبّر!

الإيمان دافع إلى العمل أيضًا، الإيمان هو التقوى، والاستقامة على أمر الله، والرعاية لسنن الله.

لو فعلنا هذا لكنّا أغنى الأمم، وهكذا كنّا في وقت من الأوقات، حتى بحث عمر بن عبد العزيز، وبحث ولاته عن فقير يستحقّ الزكاة فلم يجدوا؛ فقد عمّ الرخاء الجميع، وعمّ عدل الإسلام الجميع، فلم يعد في الناس جائع ولا فقير.

لعلنا نرجع إلى ربنا ونقرع بابه تائبين مستغفرين قائلين ما قال أبونا
آدم وأمنا حواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *





اليوم العالمي للطفولة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

احتفل العالم خلال هذا الأسبوع بـ «يوم الطفل العالمي»، وَحُقَّ للعالم أن يحتفل بالطفل، ويوليه من الاهتمام ما هو أهله.

الطفل هذا المخلوق الصغير الضعيف، أصبح العالم يحتفل به، وتعلن حقوقه في مواثيق دولية، وتقوم مؤسسات من أجل هذا الطفل.

ونحن المسلمين أولى النَّاسِ برعاية الطفولة، وأولى النَّاسِ برعاية حقِّ الأطفال، فلم يوجد دين كالإسلام غني بهذا المخلوق الصغير.

اهتمام الإسلام بالطفل:

من قرأ الفقه الإسلامي يرى هذه العناية في أبواب شتَّى: في باب العقيقة، في باب الحضانة، في باب الرضاع، في باب الختان، في أبواب شتَّى من فقه الإسلام: نجد أحكامًا كثيرة تتعلق بأمر الصبي، وأمر الطفل، وأمر الطفولة.

(١) هو اليوم الثاني من أكتوبر من كل عام ميلادي.



ومن قرأ القرآن والسُّنة علم مبلغ عنايتهما بهذا المخلوق الضعيف.
من أجل ذلك كان علينا أن نعنّى بأطفالنا؛ فهم ثروة؛ بل هم أعظم ثروة.
الثروة ليست في الفضة والذهب، والثروة ليست في النفط والغاز،
الثروة الحقيقيّة هي الثروة الإنسانية.

الإنسان هو أغلى الثروات وأعظمها، وكلُّ ما في هذا الكون قد خُلق
وسُخِّر للإنسان، فإذا اهتممنا بالمادّة وأهملنا الإنسان، فقد عكسنا
الأوضاع وقلبنا الحقائق، وأول اهتمامنا بالإنسان يجب أن يكون بالطفل.
إنّ الإسلام من أجل العناية بالطفولة حرّم السّفاح وشرع النكاح،
حرّم الزّنى واعتبره فاحشة ومقتًا وساء سبيلاً، وأوجب فيه العقوبة وشدّد
فيه، وفتح الأبواب لتقوم الأسرة الصالحة.

لماذا فعل الإسلام ذلك؟

لأنّ الإنسان دون الكائنات الحية الأخرى، يحتاج إلى أطول طفولة،
غير طفولة كلّ الحيوانات والطيور، وحاجته إلى هذه الطفولة الطويلة
مرتبطة بحاجته إلى مزيد رعاية وعناية من الأبوين والأسرة، فلهذا كان
لا بدّ أن يعيش الطفل في جوّ أسري وفي مناخ صحي.

الطفل في حاجة إلى أن يتربى في ظلّ هذه الحضانة، في ظلّ أبوة
راعية، وأمومة حانية، وأخوة عاطفة، وعصبة مانعة، ورحم موصولة،
يحتاج إلى هذا كلّ، وهذا لا يتمّ إلّا بالزواج وإلا بالأسرة.

لو ترك النّاس لشهواتهم يسافحون كالبهائم؛ حيثما شاءت لهم
رغباتهم وملذّاتهم، ما وجد الطفل له أبًا يعرفه، ما وجد له نسبًا، ما وجد
له مناخًا صحيًا ينشأ فيه ويدرج.

كان لا بدّ من هذا العش الإنساني «عش الأسرة»، ومن أجل ذلك شرع الزواج، وكان التشديد في تحريم الزنى؛ حتّى ينشأ الطفل نشأة صحيّة.

من أجل هذا جعل الإسلام الولد للفراش، حينما تكون زوجيّة صحيحة قائمة فالولد ينسب إلى أبيه، إلى الزوج، إلى فراش الزوجيّة، ولا يشك في ذلك حفظاً لنسبه.

حتى بالغ بعض الفقهاء، فأثبت النسب، ولو كان بين الأبوين مسافات ومسافات؛ حفظاً لحقّ الولد في النسب، وقال الفقه: لو أنّ رجلاً استلحق طفلاً به، وادعى نسبه يجب أن يصدّق، ما دام يولد مثله لمثله، وما دام لم يكذّبه أحد.

وإذا كان الطفل يمكن أن يكون له كلام، اشترطوا أن يقرّ بذلك ويعترف به.

كلّ هذا لحفظ الطفل ولحفظ نسب الطفل.

أقرّ الإسلام الزواج وطلبه وحثّ عليه؛ من أجل العناية بالطفل. من شرّ ما تُصاب به الأمم أن ينتشر فيها الزنى والفاحشة، ويولد أولاد لا يعرفون لهم آباء، ولا يعرفون لهم أسراً، إنّها مصيبة!

اهتمام الإسلام بجميع الأطفال:

ومن أجل هذا عرف الفقه الإسلامي باباً يسمى: «باب اللقيط».

اللقيط هو: الطفل الذي يُوجد في طريق، أو عند مسجد، أو في سوق، لا يُعرف له نسب، ولا يُعرف له أب ولا أم، أو يشرّد عن أهله، أو

يضلُّ عنهم، أو يخطف منهم، دون سن التمييز، ولا يعرف اسمه ولا يعرف أهله.

ومثلهم الأطفال الذين يموت أهلهم في الحروب، ولا يعرفون أبناء من هم؟

هذا النوع من الأطفال لم يهمله الإسلام؛ بل وضع له أحكامًا خاصّة. حينما جيء إلى عمر بن الخطّاب بطفل من هذا النوع، قال للرجل الذي التقطه: اذهب به، لك ولاؤه، وعلينا نفقته^(١). أي: نفقته على المجتمع، على الدولة.

إذا لم يقيم الرجل بالنفقة على الطفل الذي التقطه - قد لا يكون موسرًا - فإنّ على المجتمع ممثلاً في الدولة، وفي ولي الأمر: أن يتكفل بهذا الإنسان، حتّى ولو شك أنّه جاء من حرام؛ فإنّه لا ذنب له، ومن حقّه أن يعيش، ومن حقّه أن يُرعى، ومن حقّه أن يربّى تربية صالحة.

لقد اهتم الإسلام بالطفولة قبل أن تُوجد، حين أمر الآباء أو الرجال أن يتخيروا لنطفهم إذا تزوجوا.

كما أمر النّساء وأولياءهن أن يختاروا من يرضون دينه وخُلُقَه من الرجال.

واهتم الإسلام بالطفولة بعد أن يُولد الطفل.

بعد أن يولد الطفل يطلب الإسلام من الأب أن يؤدّن في أذنه؛ ليكون

(١) علقه البخاري في الشهادات قبل الحديث (٢٦٦٢)، ورواه مالك في الأفضية (٢٧٣٣)، تحقيق الأعظمي، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٨٧٠).

أَوَّل ما يسمعه كلمة التوحيد «شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله».

إنَّه لا يعي، ولكن لهذه الكلمة سرًّا، كما أنَّ لها دلالة وإيحاء، حتَّى إذا نما وميز، قلنا له: إنَّ أَوَّل كلمة سمعتها كانت كلمة التوحيد.

كما أنَّ آخر كلمة يسمعها الإنسان وهو على فراش الموت: هي كلمة التوحيد.

فبالتوحيد يستقبل الحياة، وبالتوحيد يودِّع الحياة.

وفي اليوم السابع - أو الرابع عشر، أو الحادي والعشرين، أو ما تيسر له بعد ذلك - يعقُّ عن المولود، كما جاء في الحديث: «عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين شاتين يوم السابع»^(١)، أي: ذبح عنهما ذبيحتين؛ إعلانًا للفرحة بوجودهما؛ فالطفل - ذكرًا أو أنثى - هبة من الله تعالى ونعمة منه، يقول الله تعالى: ﴿لَلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ * أَوْ يَزْوَجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ولهذا أنكر الإسلام على أهل الجاهلية وأدهم للبنات، واستياءهم بالأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

(١) رواه أبو يعلى (٤٥٢١)، وابن حبان في الأُطعمة (٥٣١١) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. والحاكم في الذبائح (٢٣٧/٤) وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. والبيهقي في الضحايا (٣٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١٨٩): رواه أبو يعلى، والبزار باختصار، ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخ أبي يعلى: إسحاق، فإني لم أعرفه. عن عائشة.

لقد كفروا بهذه النعمة، وميّزوا بين الذكر والأنثى، وهل الذكر إلا من الأنثى؟!

وهل يستطيع الناس أن يعيشوا ما لم يكن هناك ذكر وأنثى؟!
لولا الأنثى ما كان الذكر، ولولا المرأة ما كان الرجل، ألم يولد الناس من أمهات؟!

ولكن هؤلاء اعتدوا على هذا المخلوق الضعيف ووأدوه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩].
من أجل ماذا؟

خشية أن تزاحمه في لقمته من بعد، من إملاق واقع: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

أو خشية إملاق وفقر متوقع: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. الرازق للكبير وللصغير هو الله.

كان هذا من جناية الجاهلية على الطفولة.

جنوا على البنت؛ فجاء الإسلام وأكرمها، وجعل ولادتها نعمة، وبشر من ابتلي بالبنات - فأدبهن فأحسن تأديبهن وصبر عليهن - بالجنة^(١).

ولهذا رأينا من الشعراء المسلمين بعد ذلك من يقول في شأن بناته:
لولا بنات كزغب القطا رُددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض

(١) كما في الحديث: «من ابتلي من هذه البنات بشيء؛ فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار». متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤١٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٩)، عن عائشة.

وإنَّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبَّت الرِّيحُ على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض^(١)

هذا ما صنعه الإسلام، صنع هذه القلوب بدل تلك القلوب المتحجرة، التي كانت كالحجارة أو أشدَّ قسوة، التي جعلت الأب يقتل بنفسه وبيده ولده وفلذة كبده، وقتله أسوأ قتلة: بالوَأَد، بالدَّس في التراب ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩].

اختيار الاسم الحسن المولود:

وقد شرع الإسلام العقيقة إعلاناً بشكر النعمة، وإعلاناً للفرحة، وإعلاناً بثبوت نسب هذا الطفل، ذكرًا كان أو أنثى.

كما أمر النبي ﷺ أن نسمي أولادنا ونحسن تسميتهم.

من حقِّ الولد أن يكون له اسم، وأن يكون له اسم حسن، لا يتضرَّر به بعد كبره ويتأذى منه، فبعض الأسماء يتأذى أصحابها منها.

ينبغي للأب إذن أن يحسن تسمية ولده، يسميه بأسماء الرسل والأنبياء، وبما حمّد وعبّد من الأسماء، يسميه ب: عبد الله، ب: عبد الرحمن، يسميه بأسماء الصالحين والعلماء والأبطال، وغير ذلك من الأسماء الطيبة.

هذا ما ينبغي على الأب أن يفعله.

الرضاع حقٌّ من حقوق الطفل:

ثمَّ ذكر القرآن قضية إرضاع الأمّهات للأولاد، وخصوصًا في حالة الفراق بين الزوجين، فقد تحاول الأم أن تكايد زوجها ومطلقها؛ فتهمل

(١) من شعر حطان بن المعلى. انظر: العقد الفريد (٢/٢٧٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

ولدها منه، لهذا جاء القرآن في سياق آيات الطلاق ليقول: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وهذا خبر في معنى الأمر، فهن مأمورات بإرضاع أولادهن.

كثير من الأمهات في عالم اليوم وفي عصرنا هذا يؤثرن أنفسهن على أطفالهن، تريد المرأة أن تبقى رشيقة البدن كالغزال، بدل أن يتهدّل ثديها وصدرها، تحرم طفلها من هذا الغذاء الربّاني المعقّم، الذي أنزله الله من صدرها، يجري رزقاً صافياً سائغاً لهذا الطفل الضعيف.

تحرم الطفل من لبنها؛ ليتغذى على لبن صناعي، وهيهات أن يسدّ اللبن الصناعي مسدّ اللبن الطبيعي الربّاني.

والرضاعة ليست لبناً فقط، إنّه إصاق الأم طفلها إلى صدرها، إنّه لا يرضع لبناً فقط، إنّه يرضع حناناً وحنواً وعاطفة.

هذا الضم هو الذي يعطي الأمومة معناها، وهذا هو الذي يعطي للمرأة حقّ الحضانة دون الرجل.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ امرأة قالت: يا رسول الله، إنّ ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإنّ أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أحقّ به ما لم تنكحي»^(١).

(١) رواه أحمد (٦٧٠٧)، وقال مخرّجوه: حسن. وأبو داود (٢٢٧٦)، والحاكم (٢٢٥/٢)، كلاهما في الطلاق. وصحّحه الحاكم، وأقره الذهبي، وابن الملقن في البدر المنير (٣١٧/٨).

وحينما تنازع عمر بن الخطّاب وزوجه أم عاصم: ابنه في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأراد عمر أن ينتزع ابنه من أمّه المطلّقة، فاختصما إلى أبي بكر، فقال أبو بكر: ريحها وفراشها وحجرها خير له منك^(١)!
وقال أيضًا: الأم ألطف وأعطف، وأرحم وأحنى وأرأف^(٢).

فلهذا قضى للأم بالحضانة ما لم تتزوج.

ثمّ بعد الأم: قرابة الأم مفضّلة على قرابة الأب؛ لأنّها أحنى وأرحم، كلُّ هذا عناية بهذا الطفل الضعيف.

القرآن يذكر الرضاع فيقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ^ط لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

لم يدع الأمر لأحد الأبوين هنا، فربّما ملّت المرأة من الإرضاع، وربّما ملّ الأب من دفع الأجرة والنّفقة، فلم يترك لهما الأمر لأحدهما؛ بل لا بدّ أن يتراضيا ويتفقا معًا، ومع التراضي لا بدّ من التشاور، أي: يتشاورا معًا، يشاورا أهل المعرفة وأرباب التجربة في هذا الأمر: هل يحسن بالطفل أن يُفطم قبل الحولين أو لا يحسن؟

قد يقولون: يحسن لأنّ صحته جيدة ونموه طيب. وقد يقولون: مثله يحتاج إلى رضاع أكثر.

كلُّ هذا عناية من الله بالطفل.

(١) رواه عبد الرزاق في الطلاق (١٢٦٠١).

(٢) المصدر السابق (١٢٦٠٠).

يقول الإمام الفخر الرازي: فانظر إلى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير، كم شرط في جواز فطامه من الشرائط دفعًا للمضار عنه، ثم عند اجتماع كل هذه الشرائط لم يصرح بالإذن، بل قال: «لا جناح عليكم»، وهذا يدل على أن الإنسان كلما كان أكثر ضعفًا كانت رحمة الله معه أكثر وعنايته به أشد^(١).

الله أرأف بهذا المخلوق من الأبوين، فإن الله أرأف بعباده من الوالدة بولدها.

الرضاع والحضانة والفطام والتنفقة، كل هذا مطلوب؛ لأنه جزء من الرعاية لهذا المخلوق.

يجب رعاية الأطفال ماديًا بحسن التغذية، وصحيًا بمراعاة ما تطلبه الصحة العامة، وما يطلبه الطب الوقائي في عصرنا.

أصبح في عصرنا هناك أمور كثيرة ينبغي أن تُراعى لحفظ صحة الطفل مثل: التطعيمات التي تطلب في مواعيد محددة.

الواجب الشرعي يحتم على الآباء والأمهات ألا يهملوا ذلك، فقد تهمل طفلك؛ فيترتب عليه أن يصاب بشلل الأطفال مثلاً، فتكون قد جنيت عليه جناية كبرى.

كان يمكنك بمقتضى قانون الأسباب والمسببات أن تمنع ذلك، بأن تذهب به إلى دار رعاية الطفل أو المستشفى، أو المؤسسة أو المركز الصحي؛ ليتناول هذا الشيء البسيط في صغره، لتمنعه من أمراض معضلة في كبره.

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤٦٤/٦)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

كلُّ هذه حقوق الطفل: الرعاية الصحية، والرعاية الماديّة، والرعاية العاطفية.

الأطفال كما قلنا ثروة بشريّة، ينبغي أن نحافظ على هذه الثروة، ولا نبّدها.

والأطفال كذلك نعمة من الله تعالى، فينبغي أن نشكر ربنا على هذه النعمة.

الأنبياء طلبوا من الله سبحانه أن يرزقهم الذرية:

إبراهيم عليه السلام بعد أن بلغ من الكبر ما بلغ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصفّات: ١٠٠، ١٠١]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وزكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٣١﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٣٢﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣ - ٦].

هكذا نرى رسل الله طلبوا الذرية، الذرية نعمة فينبغي أن تُشكر.

الأطفال نعمة يجب أن تُشكر وأمانة يجب أن ترعى:

وكيف تُشكر هذه النعمة؟

إنّها تُشكر برعايتها وتأديبها، وحسن تربيتها من الصغر، فمن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره، والتأديب في الصغر كالنقش على الحجر.

لا بدّ من هذا.



الأطفال ثروة ينبغي أن نحافظ عليها، ونعمة يجب أن نُشكر.

وهم كذلك: أمانة يجب أن ترعى، هم ودائع استودعنا الله إيّاها، فيجب أن نحافظ على الأمانة: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته»^(١).

أين هذا ممّا نجده اليوم من الآباء، الذين كأن كلّ مهمتهم: أن ينجبوا أطفالاً، ثمّ هم لا يسألون عنهم بعد ذلك: ماذا يحدث لهم؟ هل هم مرضى أو أصحّاء؟ هل هم أقوياء أو ضعفاء؟ أذهبوا إلى المدرسة أم لم يذهبوا؟ أنجحوا أم رسبوا؟ أستقاموا أم انحرفوا؟ من أصدقاؤهم؟ من المحيطون بهم؟

بعض الآباء لا يسألون عن شيء من ذلك، وبعض الأمّهات لا يعنين بأطفالهن، لكنهن يسلمونهن إلى الخادمة أو المربية الهندية أو الفلبينية، أو ما شئت من تلك الجنسيات، من قومٍ غير قومنا، ودينٍ غير ديننا، ولغةٍ غير لغتنا، وأعرافٍ غير أعرافنا، ومفاهيم غير مفاهيمنا، وتقاليده غير تقاليدنا.

ومع هذا نسلّم إليهنّ أغلى شيء عندنا: أطفالنا، ولا ندري كيف يتعاملن معهم؟

الأم مشغولة، بأي شيء مشغولة؟ والآب مشغول، أين المسؤولية؟

أين رعاية الأمانة؟ هذا هو اليتيم الحقيقي!

(١) سبق تخريجه ص ١٥٦.



رحم الله أمير الشعراء «شوقي» حينما قال:
 ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
 إنّ اليتيم هو الذي تلقى له أمّا تخلّت أو أباً مشغولاً^(١)
 من تخلّت أمه، أو شغل أبوه عنه، فهذا هو اليتيم حقّاً؛ لأنّ اليتيم
 الذي مات أبوه قد يرعاه عمّه أو قريبه، ولكن هذا أبوه حي وأمّه حية
 تسعى؛ فمن يرعاه؟!!

إنّها مسؤولية كبيرة أيها الإخوة والأخوات.
 إنّ كثيراً من الآباء والأمّهات يسيئون إلى أطفالهم بالقدوة السيئة،
 وخير ما يربي الأطفال: الأسوة الحسنة.

فبمن يتأسّى الطفل إذا وجد أباه يدخن السيجارة؟
 بمن يتأسّى الطفل إذا وجد أباه لا يصلي؟
 بمن يتأسّى الطفل إذا وجد أباه يشرب المسكرات، ويرتكب
 المنكرات؟

بمن يتأسّى الطفل إذا وجد أمّه أو وجدت أمها تخرج كاسية عارية،
 مميلة مائلة؟

بمن يتأسّى الولد أو تتأسّى البنت إذا عاشت في أسرة لا تحلّ
 ما أحلّ الله، ولا تحرّم ما حرّم الله، ولا تعظم شعائر الله، ولا تلتزم بأمر الله
 ونهي الله؟

إنّها قدوة سيئة.

(١) انظر: الشوقيات (١٨٣/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

رحم الله حافظ إبراهيم حينما قال:

الأم مدرسةً إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق^(١)

التعليم الأوّل يبدأ في الأسرة، يبدأ من الأب والأم، فهل يؤدي الأب والأم وظيفتهما؟

الأطفال في حاجة إلى رعاية دائمة، إلى تربية مستمرة، تربية للجسم بحسن الغذاء، وللعقل بالمعرفة الحسنة، وللقلب بالعواطف النبيلة.

يجب أن يُغرس هذا منذ نعومة الأظفار.

ولهذا علّمنا الإسلام أن نأمر أولادنا بالصّلاة لسبع، وأن نضربهم عليها لعشر؛ حتّى ينشؤوا على الخير والطاعة منذ صغرهم، ومنذ نعومة أظفارهم، ورخاوة أبدانهم، فمن شبّ على شيء شابّ عليه، ومن شابّ على شيء مات عليه.

وينفع الأدبُ الأحداثَ في صِغَرٍ وليس ينفعُ عند الشَّيْبَةِ الأدبُ
إنَّ الغصونَ إذا قَوِّمَتْها اعتدلت ولن تلينَ إذا قَوِّمَتْها الخُشْبُ^(٢)

الفرق بين الحب والفساد للطفل:

بعض الآباء والأمّهات يفسدون أطفالهم: إما بالتدليل المفرط، وإما بالقسوة المفرطة.

التدليل أن يُترك الحبل على الغارب للطفل، يفعل ما يشاء،

(١) ديوان حافظ ص ٢٧٠، تصحيح أحمد أمين بك وآخرين، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣،

١٩٤٨م.

(٢) البيتان لسابق البربري، كما في فصل المقال شرح كتاب الأمثال للبكري ص ١٨٢، تحقيق

إحسان عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٧١م.



ولا يُرفض له طلب، أيّما رغبة أبدّاها تُجاب في الحال، الطفل هو الملك
الذي يأمر وينهى!

هذا ليس حبًّا للطفل؛ بل هو إفساد له.

الطفل على صِغره قابل للفهم إذا أُحسن إفهامه، وللإقناع إذا أُحسن
إقناعه؛ فينبغي أن يعرف أنّ هناك ما يطلب ويُقبل، وهناك ما لا يُقبل،
فينبغي أن نفهمه ونقنعه.

إذا عوّدت طفلك من الصغر أنّ الأمور بالإقناع، وأنّ هناك شيئًا لائقًا
وشئًا غير لائق، وشئًا يجوز وشئًا لا يجوز، نشأ على ذلك.

أمّا أن يستخدم الطفل التهديد والصراخ والبكاء، فترضخ له طائعًا أو
غير طائع، فهذا ليس من حُسن التربية.

التربية ليست التدليل، وليست هي القسوة أيضًا.

بعض الناس قساة على أطفالهم، يعاملونهم بفضاظة وغلظة، كأنّما
قَدَّت قلوبهم من حجر.

لا، نحن نريد من الأب الوجه الضاحك، والثغر الباسم، والقلب
الحاني، الذي يعامل هذا الكائن الصغير باعتباره كائنًا حيًّا، شاعرًا
حساسًا، يفهم ويتذوق.

لا تظنّوا أنّ هذا الطفل لا يفهم.

لا، إنّ له عقلًا غريزيًّا ألهمه الله إيّاه منذ أن يولد، ولهذا كان السلف
رضوان الله عليهم يسهون بين أطفالهم حتّى في القُبَلات، إذا قَبِلَ أحد
أطفاله قَبْلَ الآخر؛ لأنّ الطفل إذا قَبِلَ أخاه - الأكبر منه، أو الأصغر منه،

أو المساوي له من امرأة أخرى، أو نحو ذلك - وأهملته، أصبح في قلبه شيء من الغيرة والحسد والضيق.

وقد ذكر لنا القرآن قصة يعقوب مع أولاده، وكيف أدّى حُبُّه الزائد ليوسف إلى حسد إخوته، حتّى كادوا كيدهم ليقتلوه، وقالوا: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩].

الطفل في حاجة إلى أن يشعر بكيانه منذ أن يولد، ولهذا يجب أن يلاعب، وأن تلعب أنت معه أيها الأب.

جاء في المأثور: «من كان له صبي فليصاب له»^(١) يعامله معاملة الصبي، ينزل إلى مستواه.

مداعبة النبي ﷺ للأطفال:

وهل رأيتم أفضل من سيد الخلق مُحَمَّد ﷺ وكيف كان يداعب الأطفال ويلعبهم؟

كان إذا مرَّ على الصبيان سلّم عليهم^(٢).

ودخل على أبي طلحة، وكان عنده ابن صغير، فقال له: «يا أبا عمير، ما فعل النُّغَيْر»^(٣)؟!

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/٧٢)، وقال المناوي في فيض القدير (٢٠٩/٦): «رواه ابن عساكر في تاريخه... وفيه محمد بن عاصم. قال الذهبي في الضعفاء: مجهول بيّض له أبو حاتم. ورواه أيضًا الديلمي». وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٠٠)، عن معاوية مرفوعًا. ومعناه كما قال المناوي في فيض القدير (٢٠٩/٦): أي من كان له ولد صغير ذكرًا أو أنثى؛ فليصاب له بلطف ولين في القول والفعل، ويفرحه ليسره.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٧)، ومسلم في السلام (٢١٦٨)، عن أنس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٠٣)، ومسلم في الآداب (٢١٥٠)، عن أنس.

النُّغَيْر طائر كان يلعب به ثمَّ مات، فهو كان حزينًا عليه، فكان يداعبه،
ويكنِّي الطفل الصغير بهذه التكنية: «يا أبا عمير».

وقصصه مع أولاد بناته معروفة مشهورة.

فقد كان يصلي، وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب، فإذا ركع وضعها،
وإذا قام حملها^(١).

وكان الحسن أو الحسين يركب على ظهره وهو يصلي؛ فيطيل
السجود، كما حدث مرّة، حتّى ظنَّ الصَّحابة الظنون وقالوا: ظننا أنّه قد
حدث أمر أو أنّه يوحى إليك!

قال: «كلُّ ذلك لم يكن، لكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتّى
يقضي حاجته»^(٢).

رُوي أنّ أحد الصَّحابة دخل عليه وعنده الحسن والحسين، وهما
يركبان على ظهره ﷺ، فقال الصحابي: نعم المركب ركبتما.

فقال ﷺ: «ونعم الفارسان هما»^(٣)!

جعل من نفسه جملاً وأركبهما فوق ظهره في البيت، يلاعبهما،
وليس هذا عيباً.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٥١٦)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٣)،
عن أبي قتادة.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في
معرفة الصحابة (١٦٥/٣) وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهاد.

(٣) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع
الزوائد (١٥٠٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد
ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

العيب أن تدّعي الكبرياء، وأن تكون جامدًا كالصخر، ولا تعقل أن هؤلاء الأطفال في حاجة إلى مداعبة ورعاية.

ليس كل شيء: أن تغذّهم وتكسوهم وتعطيهم من الأموال ما قد يفسدهم.

لا، إنّ عاطفة الأبوة أعزّ وأغلى وأهمّ من فلوسك وأموالك ودراهمك وريالاتك ودولاراتك.

الأولاد في حاجة إلى هذه الرعاية، في حاجة إلى هذه التربية، وإلى هذا التأديب المعتدل، بين القسوة وبين التدليل.

دخل أحد زعماء الأعراب^(١) على النبي ﷺ فوجده يقبل الحسن أو الحسين، فقال: إنّ لي عشرة من الولد، ما قبّلت أحدًا منهم قط. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثمّ قال: «من لا يرحم لا يُرحم»^(٢).

وجاء أعرابي آخر إلى رسول الله ﷺ فقال: إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم! كأنّه يعتبر ذلك ممّا لا يليق بالرجل أن يفعله!

فقال ﷺ: «أوأملك لك، أن نزع الله الرحمة من قلبك»^(٣)؟!

يعني: ماذا أملك لك؟ إذا كان الإنسان لا يقبل ولده؛ فأى رحمة في قلبه؟!

الإسلام يريد القلب الرحيم في معاملة هؤلاء الأطفال.

(١) هو الأقرع بن حابس التميمي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

ومن أجل ذلك جاءت العناية باليتامى أكثر من غيرهم؛ لأنهم أطفال فقدوا الآباء الحانين، فقدوا من يشد أزهرهم، ويحمي ظهرهم، فلهذا اشتدت عناية القرآن والسنة باليتامى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١، ٢]، أي: يدفعه بعنف ويقهره.

وفي الحديث الصحيح: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»^(١)، وأشار بأصبعه: السبابة والوسطى.

جاء الإسلام يُعنى بالطفولة أشد العناية، ليس هناك دين عني بالطفولة كما عني الإسلام.

فعلينا أن نُعنى بأطفالنا منذ يولدون، ونسير معهم يومًا بيوم ومرحلة مرحلة.

قال بعض السلف: لَاعِبْ ابْنَكَ سَبْعًا، وَأَدِّبْهُ سَبْعًا، وَآخِ سَبْعًا، ثُمَّ أَلْقِ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ.

ليس هذا حديثًا مرفوعًا، ولكنه حكمة مأثورة.

لَاعِبْ ابْنَكَ سَبْعًا:

أي: السبع سنوات الأولى يغلب عليها طبيعة الملاعبة، الطفل عنده طاقة، والله سُبْحَانَهُ حَبَّبَ إِلَيْهِ اللعب فطرة منه، حتى يستطيع أن يستثمر طاقته في هذا اللعب، فلا تقف ضده، دعه يلعب، وأتَح له الفرصة ليلعب، وهَيِّئ له الوسائل ليلعب، وفي عصرنا أنواع كثيرة من اللعب، وجَّهه إلى أن

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، وأحمد (٢٢٨٢٠)، عن سهل بن سعد.

يلعب اللعب الصحيح، وألا يعتدي على غيره إذا لعب، وألا يكون أنانيًا في كل شيء، راقبه في ذلك كله، وحاول أن تشاركه في لعبه ما استطعت. «وَأَدِّبْهُ سَبْعًا»، أي: في السبعة التالية، ليس معنى هذا أن السبعة الأولى ليس فيها تأديب.

لا، ولكن يغلب عليها كما قلنا الملاعبة.

وكذلك السبعة الثانية ليس معناها أنه ليس فيها لعب، بل فيها، ولكن بعد أن يبلغ الطفل سبع سنين: بدأ يعقل ويعي، ويتفتح عقله ووجدانه، فأدِّبْهُ وَعَلِّمَهُ، ولذا جاء التوجيه النبوي الكريم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ»^(١).

فعلِّمهُ الصَّلَاةَ وَلَقِّنْهُ الْأَشْيَاءَ الطَّيِّبَةَ، واجلس معه، وارو له القصص الحسنة، قصص العلماء والأبطال، كما كان الصَّحابة يفعلون.

علي بن الحسين يقول: كنَّا نروي أبناءنا مغازي رسول الله ﷺ كما نحفظهم السورة من القرآن^(٢).

أي: يروون لهم ماذا وقع في بدر وأُحد، والخندق وحُنين، والطائف وفتح مكَّة، وخيبر وغيرها، يروون لهم قصص البطولة حتَّى تنطبع في نفوسهم، وتنغرس في أعماق قلوبهم، فينشأ الواحد منهم شابًا قويًّا: لا يخاف الموت، ولا يهاب الشدائد.

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٤٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٥٩١)، تحقيق محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

كثير من الأمّهات يخوِّفن أطفالهن من الصغر، يخوِّفن أطفالهن بالعفريت والجني، أو الغول أو البعبع أو غير ذلك، وهذا كلّ له تأثير سيئ، لا ينبغي أن نخوِّف أولادنا بشيء من هذه الخزعبلات.

إنّنا في حاجة إلى تربية حسنة، ليس فيها التدليل، وليس فيها القهر الشديد الذي يجعل من الأولاد عبيدًا، ونحن نريد منهم أن يكونوا سادة أحرارًا.

الطفل نعمة وثروة وأمانة، فينبغي أن نحافظ عليه، ولا نفرط فيه. هذا ما جاء به ديننا العظيم.

الحضارة الحديثة اهتمت بالأطفال في جوانب كثيرة، واهتمت بالمعوقين الذين ولدوا عميانًا أو صمًا أو بكمًا، أو ذوي عاهات معينة. نحن أولى منهم بأن نرعى هؤلاء الضّعاف؛ فإنّ الضعيف أولى بالرحمة والعناية، وهذا ما جاء به ديننا العظيم الذي دعا إلى الرحمة بكلّ ضعيف.

ولكن الحضارة الحديثة أيضًا جاءت بأشياء أخرى:

١ - الأولاد غير الشرعيين، نتيجة انتشار الفواحش، ما ظهر منها وما بطن.

٢ - بيع الأطفال، نتيجة المادّيّة والأنانية، حتّى قرأت فيما قرأت منذ سنوات أنّ هناك من يبيعون أطفالهم، الأبوان يتفقان على بيع الطفل، وهو جنين في بطن أمّه، أو بعد ولادته بشهر أو أشهر! من أجل ماذا؟ من أجل شيء من الكماليات والمرفهات!

أي أنَّهُم لم يبيعوا أولادهم من أجل شيء ضروري؛ بل من أجل شيء كمالي!

فما أغلى المبيع، وما أرخص العوض!

إنهم يريدون أن يعيشوا في حياة مرفهة، ولو باعوا في سبيل ذلك كل شيء!

هذه هي الحضارة المعاصرة!

وذلك هو الإسلام الذي اعتبر الأولاد نعمة، فيجب أن نستشعر هذه النعمة، ونستشعر هذه الهبة، ونستشعر هذه الأمانة، التي استودعنا الله إياها، ونحافظ على هذه الثروة البشرية التي لا تقدر بكنوز الأرض.

هذا ما ينبغي أن نعرفه ونحن نتحدث عن الطفولة، وعن يوم الطفولة العالمي.

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يفقهنا في ديننا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





حال شبابنا اليوم

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تحدّثنا في خطبة ماضية عن الطفولة، وأهميّة دور الطفولة، وواجبنا نحو الأطفال، ورعايتهم، سواء أكانوا أطفالنا، أم لم يكونوا أطفالنا ك: اليتامى واللقطاء والمشرّدين.

واليوم نتحدث عن مرحلة أخرى من مراحل الحياة الإنسانية، تأتي بعد الطفولة، وهي مرحلة الشّباب.

هذه المرحلة من أخطر المراحل وأهمّها؛ بل هي مرحلة الحيوية والإنتاج، المرحلة الدافقة بالحماس، المتميزة بالعزم، الحافلة بالنشاط.

إنّها مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم حين قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرّوم: ٥٤].

القوة التي بعد الضعف الأوّل وقبل الضعف الثاني: هي قوّة الشّباب.

ومن هنا كانت أهميّة هذه المرحلة، وأهميّة توجيهها والعناية بها حتّى لا تضلّ الطريق، وحتى لا تتبدّد هذه الثروة، الّتي هي أغلى الثروات وأعزّها. ثروة الأمم ليست في المذخور في باطن الأرض، ولا في المنشور على ظاهرها فقط.

ليس ثروتها في معادنها، وليست ثروتها في ذهبها وفضتها، وليس ثروتها فيما تملكه من أرصدة في البنوك.

ليست هذه هي الثروة فقط، كما يتصوّر الكثيرون.

الثروة الحقيقيّة هي الإنسان:

الإنسان هو أعظم ثروة، والشّباب هم العنصر الأهم لهذه الثروة الإنسانية.

ولهذا إذا أحببت أن تعرف مستقبل أمّة، فاعرف ما موقع شبابها منها؟ ما الّذي يشغل شبابها؟ ما الّذي يهتمهم؟ ما مثلهم العليا؟ ما أهدافهم في الحياة؟ ماذا يصنعون؟ وفيهم يفكّرون؟ وبأي شيء يحلمون؟ وعلام تدور أمورهم وجلساتهم وندواتهم؟

وما أحوجنا نحن العرب والمسلمين إلى أن نعرف دور شبابنا، وأن نعرف أهميّة هذه المرحلة الّتي يسأل الله النّاس عنها خاصّة في يوم القيامة، حينما تُنصب الموازين، وتُنشر الدواوين، ويقوم رب العالمين بالحساب، هناك أسئلة رئيسية أربعة، من هذه الأسئلة سؤالان عن حياة الإنسان وعمره: عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصّة: «لا تزولّ قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»^(١).

(١) رواه البزار (٢٦٤٠)، والطبراني (٦٠/٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٤٨)، وقال الهيثمي =

يُسأل عن هذه المرحلة الخاصة: «عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه»، هذه السنوات الحيّة، سنوات القوّة الفياضة، سنوات العزم، سنوات الحماس المتوقد، فليحضر كلُّ امرئ للسؤال جواباً.

هناك من قضى شبابه منذ نشأته في طاعة الله، وفقه الله فعاش في بيئة صالحة، فلم تعرف المعصية طريقها إليه، ولم يتورط في الكبائر، ولم يفرط في فريضة، فنشأ في طاعة الله، فكان من السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: «وشاب نشأ في عبادة الله»^(١).

ولكن ليس معنى هذا إغلاق الباب على من تورط في المعاصي في فترة من شبابه، فانزلق وغوى وزلّت به القدم؛ فباب التوبة مفتوح، ومن أحبّ الناس إلى الله تعالى: الشاب التائب.

ليس غريباً أن يذنب الإنسان ويعصي الله، إنّما الغريب أن يستمرّ طريق المعصية والذنوب، فلا يرجع إلى ربّه قارعاً بابّه، تائباً نادماً مستغفراً، قائلاً ما قال أبوه آدم وأمه حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

من لم ينشأ في طاعة الله، من لم يكن من هذا الصنف، فليكن من الصنف الآخر: التائبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

مسؤولية الشاب عن نفسه:

الشباب مرحلة هامّة خصبة من مراحل العمر، ولهذا يجب أن نُعنى بها، وهي مسؤولية للجميع:

= في مجمع الزوائد (١٨٣٧٣): رجال الطبراني رجال الصحيح غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي، وهما ثقتان. عن معاذ بن جبل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

مسؤولية الشاب نفسه ما دام بالغاً عاقلاً رشيداً مكلفاً، فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المُدَّثَر: ٣٨].

وهي مسؤولية الأسرة (أبيه وأمه)، مسؤوليتهما قبل أن يشبَّ، ومسؤوليتهما بعد أن شبَّ عن الطوق، فلا بدَّ من الرعاية والتوجيه: «كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته»^(١).

لا ينبغي أن يكون كلُّ همِّ الأب أن يوفرَّ لأبنائه الطعام والشراب ممَّا لذَّ وطاب، وأنْ يوفرَّ لهم ممَّا يُلبس أحسن الثياب، وأنْ يوفرَّ لابنه سيارة فارهة يركبها، وأنْ يملأ (مخبأه أو جيبه) بالتَّقود ينفق منها على ما يريد.

لا ينبغي أن يكون أكبر همِّه أن يهيئ له هذه الأسباب، ولكنه يدع حبله على غاربه، لا يعرف عنه شيئاً، لا يسأله: أين يذهب إذا خرج؟ وفيما ينفق هذه الأموال؟ وأين يجلس؟ ومن أصدقائه؟ وهل صلَّى أم لم يصل؟ هل أدَّى واجبه المدرسي أو لم يؤده؟ هل كذا، هل كذا...؟

ينبغي على الأب المسؤول عن الأسرة: أن يحاسب أولاده، وأن يراقبهم، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

احم نفسك من النَّار، واحم أهلك من النَّار.

أنت مسؤول عن أبنائك وبناتك، لا يكفي أن توفرَّ لهم مطالبهم الماديَّة، ولا تهتم بواجباتهم الدِّينيَّة.

(١) سبق تخريجه ص ١٥٦.



لا، لا يكفي هذا.

أيسرُك أن يتعلّم ابنك، ويحصل على أعلى الشهادات، ويتسلّم أرقى المناصب في الدولة، ثمّ يكون مصيره إلى جهنم وبئس القرار؟!

أترضى أن يكون ولدك وفلذة كبذك في النّار؟

إن كنت لا تحب ذلك، ففقه النّار: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.

توفير المطالب المادّيّة ليس هو وحده المطلوب؛ بل قد يكون في هذا الخطر.

قد يكون في إعطاء الأولاد ما يشتهون من نفقات وأموال - وهم لا يحسنون التصرف فيها - الخطر كلّ الخطر، والشر كلّ الشر.

يقول الشاعر «أبو العتاهية» في أرجوزته:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ^(١)

الجدّة: أي وجدان المال، المقدرة المادّيّة، أن يجد ما يريد ويحصل على ما يشتهي، وتكون عنده الوسيلة والمال اللازم.

فراغ الشباب:

والفراغ: فراغ الوقت، وفراغ النّفس من هموم المعيشة.

ولذلك كان من المهمّ والمهمّ جدًّا: أن تملأ فراغ الشّباب، ألا تدع أوقاتهم فارغة، ولا نفوسهم فارغة، أن تعمرها بالخير، أن تشغلهم

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٤٥٩/١٥)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، نشر دار الكتاب العربي،

بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

بأنشطة شتّى: رياضية وثقافية، وترويحية، ودينيّة، ونربطهم ما أمكننا بأهداف كبيرة يعيشون لها، ويعيشون بها.

للأسف نجد معظم شبابنا يعيشون في فراغ كبير، لا يجد من أهله من يملأ فراغه، ولا يجد من مجتمعه ما يملأ فراغه، فراغ في الوقت، وفراغ في النفس أكبر وأكبر.

نفسه فارغة من المثل العليا، من الأهداف العظمى، التي كان يعيش لها أمثال: علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، ومُحمَّد بن القاسم، وغيرهم من شباب الإسلام.

شبابنا الأولون - الَّذِينَ فتحوا البلاد، وحكموا العباد، ونشروا فيها العلم والإيمان، والعدل والإحسان، وَالَّذِينَ حفظوا القرآن ونقلوه إلينا، وَالَّذِينَ حفظوا السُّنة ونقلوها إلينا، وَالَّذِينَ انطلقوا إلى أرض الله «المصحف في يد، والسيف في يد»، لا يبغون إلا رضاء الله، ونشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله - كانت عندهم مثلٌ عليا، كانت لهم أهداف كبيرة، تعيش فيهم، ويعيشون فيها، لم يكن همهم الشهوات، ولا همهم المرأة، ولا الكاس ولا الطاس، ولا غير ذلك.

لم يكن عندهم فراغ، لا في أنفسهم، ولا في حياتهم.

كانوا يعيشون لرسالة جليلة، فهل استطعنا في عصرنا هذا أن نُعيش شبابنا في مثل هذه الرسالة، ولمثل هذه الأهداف؟

للأسف لم نستطع.

الشَّباب يشعرون بالفراغ، وخصوصًا في أوقات العُطل، وحتى في غير أوقات العُطل.



هذا الشاب تجده في أيام الدراسة يركب سيارته الفارهة، ويمشي في الشوارع متسكعاً، أو يجلس في بعض الطرقات يلتهم الغاديات والرائحات، أو (يُحَفِّص)^(١) - كما يقولون - بسيارته حول المدارس، وحول الأماكن العامة. ما هذا الفراغ؟ ما هذا الضياع؟ ما هذه التفاهة؟ أيكون هذا في أمة مهزومة؟

أمة مقهورة غلبها أعداؤها، حتّى اليهود: أذلّ النَّاس، وأحرص النَّاس على حياة: أذاقونا الويل، ونكسوا رؤوسنا. أمة مهزومة من واجبها أن تحزن على نفسها، ولو جاز لنا أن نلبس السواد، ونعلن الحداد لفعلناه.

ولكن شبابنا يتعلّق بهذا الهراء الفارغ، بهذا الضياع، بهذه التوافه. في ندوات عُقدت في أكثر من بلد كانت الشكوى المُرّة، والإحصاءات والأرقام المذهلة عن الشَّباب، الذي يتناول المسكرات، ويتناول المخدرات، ويتعاطى السُّموم، دع الَّذِينَ يشربون السجائر (والبلاوي) الأخرى. إحصاءات وأرقام مذهلة عن شباب هذه الأمة، وبخاصّة الشَّباب هنا في منطقة الخليج.

ومنطقة الخليج عليها تركيز شديد، أعداء الإسلام وخصوم هذه الأمة يركّزون أعينهم على هذه المنطقة، يعلمون أنّها منطقة غنية، فلا بدّ أن تدمّر ثروتها، وإنّما تدمّر ثروتها بتدمير أهلها. وأول ما يبدؤون تدميره: الشَّباب. ولهم في ذلك وسائل وأساليب.

(١) يحدث صوتاً مزعجاً بعجلات السيارة وهي من الكلمات الخليجية (الدارجة).

سماسرة الفساد:

هناك سماسرة للشباب، يسوقونهم للفساد والإفساد، في كلِّ عاصمة من العواصم، وفي كلِّ مدينة من المدن، في بلاد العرب، وفي بلاد الغرب، وفي بلاد الشرق الأقصى، حيث يذهب الشَّباب إلى هناك في سياحات ورحلات، فيتلقَّفهم هؤلاء السماسرة من عند سلَّم الطائرة، ويجرُّونهم إلى الفواحش جرًّا، ويفسدونهم، يدمِّرون صحتَّهم، يدمِّرون أخلاقهم، ويسحبون أموالهم، يفسدونهم على أهليهم وعلى أوطانهم.

مخطط جهنَّمي، ونحن عن ذلك غافلون.

بعض الشَّباب يذهب غافلاً، فإذا ذهب إلى هذه البلاد: تعلَّم من الفساد الكثير الكثير، وانحرف عن الطريق، وهيهات أن يرجع إلى ما كان عليه؛ إلَّا من رحم ربُّك.

الفساد في كلِّ مكان، والتركيز على هذه المنطقة، فماذا صنعنا نحن؟ ومن المسؤول عن ضياع هذا الشَّباب؟!

الشَّباب الَّذي أصبح كلُّ همِّه أن يسمع الأغاني، ويقلِّد الممثلين الأجانب، والمغنين الإفرنج، ويلبس في عنقه سلسلة أو قلادة من الذهب، أو في يده خاتمًا من الذهب، لا يفرِّق بين حلال وحرام، ولا يعرف شيئًا عن واجباته.

هذا الشَّباب مصيبة كبيرة على نفسه وعلى أهله، وعلى وطنه وأُمَّته.

هؤلاء الشَّباب لأي شيء يصلحون؟

أيصلح هذا الشَّباب لما صلح له أسامة بن زيد، الَّذي قاد الجيش الإسلامي وفيه كبار الصَّحابة، وهو ابن الثامنة عشرة من عمره؟!

أصلح هذا الشَّباب لما صلح له مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد، الَّذي
فتح بلاد الهند عن طريق السند؟!!

انطلق من الجزيرة العربية إلى بلاد لا يعرفها، يقود الجيوش المسلمة
لتنشر الإسلام، وتبليغ الأمم دعوة الإسلام.

لولا طموح هذا الشاب وإقباله ما كانت باكستان وبنغلاديش ومسلمو
الهند، هذه البلاد مَدِينَةً لِمُحَمَّد بن القاسم بن محمد.

ومن ذهب إلى «كراتشي» وركب القطار متجهاً إلى داخل باكستان،
وجد هناك محطة مكتوباً عليها: مُحَمَّد بن القاسم.

كان عُمَرُ مُحَمَّد بن القاسم حين قاد هذا الجيش: سبع عشرة سنة!
وقال فيه الشاعر:

إِنَّ السَّامَاةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادَ الْجِيُوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حِجَّةٍ يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُودَدًا مِنْ مَوْلِدٍ^(١)!

أصلح شبابنا اليوم لما صلح له مُحَمَّد الفاتح، الَّذي فتح
القسطنطينية وقضى على الدولة الرومانية البيزنطية، وانتهت من التاريخ
سنة (١٤٥٣م)، وكان في الثالثة والعشرين من عمره؟!!

وكان قد قرأ الحديث: «لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، وَلَنِعَمَ الْأَمِيرُ أَمِيرَهَا،
وَلَنِعَمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ»^(٢)، فتعلَّق قلبه أَنْ يَنَالَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا
الحديث الشريف، وحقَّق الله له ما أَرَادَ، وكان نِعَمَ الْقَائِدِ وَنِعَمَ الْحَاكِمِ.

(١) سبق تخريجه ص (١٦٤/٦٥).

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّحه،
ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.



شباب كانت لهم آمال كبار، فماذا يصنع شبابنا؟
 لأي شيء يصلح شبابنا اليوم، ممّا صلح له شبابنا الأقدمون؟!
 هل يفكرون فيما كان يفكر فيه هؤلاء؟

هؤلاء كانوا يصبحون ويمسون، ويبيتون ويضحون، من أجل
 الإسلام، كلُّ تفكيرهم في الإسلام؛ لنشر الإسلام؛ لإعلاء راية القرآن،
 هذا هو هدف شبابنا الأول.

أمّا شبابنا اليوم فضائع، من المسؤول عن ضياعه؟
 هل الأسرة هي المسؤولة؟ هل الآباء؟ هل الأمّهات؟ هل هؤلاء
 المشغولون عن أبنائهم وبناتهم؟
 هل المسؤول هو المجتمع: التوجيه، الإعلام، الثقافة، الصحافة،
 الإذاعة، التلفزيون، المسارح، السينمات؟!

من المسؤول؟

هل المسؤول مجالس رعاية الشّباب المكونة في كلِّ البلاد، وكلُّ
 عملها الرياضة والكرة، وتشجيع النَّاس على أن يكونوا متفرّجين
 ومنقسمين، بعضهم مع هذا النّادي، وبعضهم مع ذلك النّادي؟!
 من المسؤول؟ العلماء والخطباء، الذين لا يهتمون بهذه النّواحي
 كثيرًا، ولا يوجّهون النَّاس التوجيه الحسن؟ من المسؤول؟!
 الكلُّ مسؤول، يجب أن نعترف بهذه الحقيقة.

كلُّنا مسؤولون، بداية من الآباء والأمّهات، إلى أعلى المسؤوليات،

كما قال النبي ﷺ: «كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»^(١).
كلُّنا يجب أن يفكر.

الشباب يفتقد حسن التوجيه، وأين يجد التوجيه وأمامه أجهزة الإعلام والتوجيه، التي تصنع له نماذج معينة، وتوحي له بإيحاءات معينة؟
الشباب بحاجة إلى القدوة، فهل يجد هذه القدوة الصالحة في البيت؟ هل يجدها في المدرسة؟ هل يجدها في المجتمع؟
للأسف القدوة الصالحة قلما تُوجد الآن.

لم يعد حتى الأب نفسه قدوة صالحة للأولاد، لم يعد هناك المدرّس الذي يجد فيه التلاميذ نعم الراعي الموجّه، لم يعد هناك هذا الصنف إلا من رحم ربك، وقليل ما هم.

هناك في المدارس برامج حسنة لتدريس العلوم الشرعيّة ونحو ذلك، ولكن التربية ليست مجرد برامج، وليست مجرد كتاب، وليست مجرد مواد تُحفظ وتؤدّى في امتحان، التربية شيء أعمق وأكبر من هذا، إنّها بحاجة إلى قدوة، إلى من ينقلها بحرارتها إلى التلاميذ، إلى من ينفعل بها، إلى من يكون صورة حية لها.

نحن في حاجة إلى البيئة المساعدة، البيئة الصالحة التي تساعد الشباب على أن ينمو نموًا حسنًا.

(١) سبق تخريجه ص ١٥٦.

لا بدّ من العمل على تكوين هذه البيئة الصالحة في كلّ مكان؛ لكي يعيش الشّباب عيشة إسلامية.

نحن للأسف ننقل عن الغرب، ونريد أن نعيش كما يعيش الغرب، فهل مثل الغرب كمثّلنا؟ هل عقيدته كعقيدتنا؟ هل قيمه كقيمنا؟ هل تقاليده كتقاليدنا؟

لا، ثمّ لا، شتّان بين مشرق ومغرب، فلذلك لا يجوز أن ننقل عن القوم، يجب أن نعرف: من نحن؟ وعلى أي أرض نقف؟ ينبغي أن نفهم أنّ رعاية الشّباب ليست رعاية جسمه فقط، وإنّما رعاية جسمه وعقله، وقلبه ووجدانه.

يجب أن تشمل رعاية الشّباب كلّ هذه النواحي.

هناك خطأ أساسي، خطأ جذري، في رعايات الشّباب في العالم الإسلامي كلّهُ؛ حيث ظنّ المسؤولون أنّهم مسؤولون عن النّاحية الرياضية فقط، وهذا خطأ، الرياضة جزء وليس كلّاً، وليست الجزء المهم ولا الأكبر.

لا مانع للنّاس أن يلعبوا الكرة، ولكن الممنوع أن تصبح الكرة وثناً يعبدّه النّاس، وينقسمون حوله، ويتحرّزون أحزاباً.

ما قيمة هذا؟

الشاب الذي يريده الإسلام:

نحن نريد الشاب القوي في جسمه، القوي في رُوحه، القوي في تفكيره، القوي في إيمانه، القوي في عزمه، القوي في سلوكه.

ولهذا يجب أن تتعاون الأجهزة كلها على حسن رعايته وتوجيهه؛ حتى يصبح مثلاً حياً، ويصبح مسلماً حقيقياً، جديرًا أن ينتسب إلى دينه، وأن ينتسب إلى أمته، هذا هو الشاب النافع، وهذه هي الثروة التي نريدها.

إننا نريد الشاب الذي يطيع أمر ربّه، ولو قدّم في سبيل ذلك دمه ورقبته، كما تمثّل ذلك في نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؛ حين قال له أبوه بعد أن بلغ معه السعي، وأصبح يُرجى منه: ﴿يَبْنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾. فماذا قال الولد لأبيه، والأمر يتعلق بعنقه وحياته؟ قال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

نريد الشاب الذي يستعلي على الشهوات، ويتعفف عن الحرام، ويرفض المعصية، بدافع ذاتي من ضميره، وخوفه من الله تعالى، كما تمثّل ذلك في يوسف بن يعقوب، الذي سعت إليه المعصية، ولم يسع إليها، ولكنه أبي واستعصم، وقال لسيدته ومالكة أمره، وقد راودته عن نفسه، بعد أن غلقت الأبواب، وهيأت الأسباب، وقالت: هيت لك، هنالك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

نريد الشاب النقي الحنون، البارّ بأسرته، القوي في أخذه بتعاليم كتابه، كما تمثّل ذلك في يحيى بن زكريا عليه السلام، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۖ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٢ - ١٤].

روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا شاباً،

ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠] ^(١).

إنَّ الحديث عن الشَّباب يطول، والحديث عن مشكلات الشَّباب يطول، وإنَّما هي لمحات أحببت أن أذكرها، وأن أذكر بها كلَّ النَّاسِ، ابتداءً من الآباء والأمَّهات، وأن أذكر بها شباب هذه الأُمَّة أنفسهم، الذين يُرجون لها، يُرجون لقضاياها، يُرجون لهذا الدين العظيم، الذي أصبح غريباً في أوطانه.

شباب هذه الأُمَّة مرجون لنصرة دينهم:

وجدت اليهودية من ينصرها، ووجدت النِّصرانية من ينصرها، ووجدت الوثنية من ينصرها، ووجدت الشيوعية من ينصرها، وكلُّ مبدأ باطل وجد من ينصره إلا الإسلام؛ فقد غاب عنه أهله. إنَّهم في حالة غيبة وعي.

ولذلك أنا أنادي الشَّباب لعلَّهم يسمعون، وإذا سمِعوا لعلَّهم يستجيبون.

هناك والحمد لله شباب صالحون، هناك مئات وآلاف من الشَّباب هداهم الله، وأصبحوا يمثلون الصَّحوة الإسلامية المعاصرة، هي صحوة شباب في جوهرها، ولكن كم يمثل هؤلاء المهتدون بالنِّسبة للآخرين؟ إنَّهم يمثلون قلة بالنِّسبة إلى كثرة كاثرة.

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره (٣٤٩/٥) لابن أبي حاتم في التفسير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



حرام علينا أن نهمل أمر الشَّباب، حرام علينا أن نضيِّعهم، حرام علينا ألا نفكر في قضاياهم.

فيا أيُّها الإخوة، يا أيُّها الشَّباب أولاً، ويا أيُّها الآباء والأمَّهات، ويا أيُّها المسؤولين عن أجهزة التوجيه، ويا أيُّها المسؤولون عن رعاية الشَّباب، ويا أيُّها المسلمون في كلِّ مكان، اتقوا الله في هذه الثروة البشريَّة، اتقوا الله في هذه الثروة العظيمة التي لا تقدَّر بقدر، ولا يُقوَّم بمال، وهي مستقبل الأُمَّة.

نسأل الله تعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يعوِّضنا خيراً، وأن يجعل شبابتنا من خيرة الشَّباب، وأن يجعلهم كأسلافهم إيماناً وعِلماً وعملاً، وجهاداً في سبيله، إنَّه سميع قريب، وصلى الله على مُحَمَّد، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.





حال فتياتنا اليوم

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في الجمعة الماضية تحدّثنا عن مرحلة الشَّباب، مرحلة القوَّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، مرحلة الحيوية والإنتاج، الَّتِي يُسأل الإنسان عنها خاصَّة يوم القيامة: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتَّى يُسأل عن أربع»، ومن هذه الأربع: «وعن شبابه فيم أبلاه»^(١).

كان هذا الحديث عن مرحلة الشَّباب للأبناء وللبنات، للذكور وللإناث، فالمرحلة نعمة للجميع.

ولكن بعض الإخوة والأخوات حسبوا الكلام مقصوراً على الشَّباب الذكور وحدهم، وقالوا: إنَّ الفتيات والشابات يجب أن يكون لهنَّ نصيب خاصٌّ في الحديث، وهذا حقٌّ.

برغم أنَّي وجَّهت الكلام عن الشَّباب للجميع، ولكن من حقِّنا أن

(١) سبق تخريجه ص ٢١٣.

نخصّ هذا الجنس اللطيف - كما يسمونه - بحديث خاص؛ فالمرأة نصف المجتمع، وبناتنا كأبنائنا، لهنّ حقوق علينا.

وإنّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض^(١)

سواء كان هؤلاء الأولاد ذكوراً أو إناثاً، فلا ينبغي أن نهمل الحديث عن الفتيات، عن البنات، عن الشابات؛ فإنّه لا يصلح المجتمع إلّا إذا صلحت فيه المرأة، لا يمكن أن ينصلح الحال إلّا بصلاح النساء.

المرأة إذا صلحت لم يكن صلاحها لنفسها فقط؛ بل يمتد صلاحها إلى زوجها إن كانت متزوجة، وإلى أولادها إن كانت أمّاً.

ولهذا كان لا بدّ لنا من الحديث عن شابات اليوم، عن فتيات هذا العصر، إنّ علينا لهنّ لاحقاً أكيداً: آباء كُنّا، أو مربين، أو دعاة.

فتاة اليوم هي أمّ الغد، هي صانعة المستقبل؛ لأنّها صانعة الأجيال.

الأمّ مدرسة إذا أعدتها أعدت شعباً طيب الأعراق^(٢)

الأم الصالحة هي التي تنجب أبناء صالحين، هي التي تنجب ثروة الأمّة البشريّة.

ولهذا إذا أهملنا توجيه الفتيات، وتركناهنّ للتوجيه المسموم، الذي يسمّم الأفكار، ويسمّم العواطف، ويُفسد العقول والتقاليد والقيم، فإنّها لن تنشأ إلّا فاسدة مُفسدة.

(١) العقد الفريد (٢/٢٧٤).

(٢) ديوان حافظ إبراهيم ص ٢٧٠.

عناية الإسلام بالمرأة:

إنَّ الإسلام قد عُنِيَ بالمرأة، وكرَّمها بنتًا، وكرَّمها زوجة، وكرَّمها أمًّا، وكرَّمها قبل ذلك إنسانًا.

وجعل لها من التكاليف والمسؤولية مثل ما للرجل؛ فالله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

لا يضيع الله عمل عامل منَّا، من ذكر أو أنثى؛ لأنَّ الرجل من المرأة والمرأة من الرجل، ليسا عدوين، ليس الرجل عدوًّا للمرأة، ولا المرأة خصمًا للرجل؛ بل كلُّ منهما مكمل للآخر، وهي جزء منه: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]؛ فالمرأة من نفس الرجل، كما أنَّ الرجل منها.

من هنا كانت أهميَّة التوجيه الإسلامي للمرأة أن تُنشأ نشأة صالحة منذ نعومة أظفارها، أن تُربى التربية الإسلامية الحقَّة، أن تُعوِّد الخير، أن تنشأ على الطاعة، أن يُغرس في قلبها حبُّ الفضيلة والتُّفُّور من الرذيلة، أن تُعلِّم الصَّلَاة وهي بنت سبع، وأن تُضرب عليها لعشر، أن تُعرَّف الحلال من الحرام، والخطأ من الصواب، والحقُّ من الباطل.

لا بدَّ أن يبذل الأب وتبذل الأم جزءًا من وقتهما مع بناتهما؛ حتَّى ينشأ نشأة الصالحة، هذا واجب الأسرة.

واجب المجتمع تجاه الفتيات:

وواجب المدرسة وواجب الجامعة وواجب المؤسسات التعليمية: أن تعلِّم الفتاة ما يجب عليها نحو ربِّها، ونحو نفسها، ونحو أسرتها، ونحو مجتمعها، ونحو أمَّتِها الكبرى «أُمَّة الإسلام».

وعلى المؤسسات التوجيهية والإعلامية أن تقوم بدورها في هذه الناحية: الصحافة، الجريدة، المجلة، الإذاعة، التلفزيون، المسرح، السينما، هذه الأدوات الجديدة التي أصبحت لها خطورتها.

فهل قامت هذه المؤسسات كلها بواجبها نحو توجيه الفتاة؟

هل قامت الأسرة بواجبها؟

هل قامت المدرسة بواجبها؟

هل قامت الجامعة بواجبها؟

هل قامت المؤسسات الإعلامية بواجبها؟

إنَّ هناك من قام ببعض الواجب، وهناك من قام بعكس الواجب، لم يكتفِ بالموقف السلبي؛ بل قام بإفساد التوجيه.

أصبحت الفتاة تتلقى من التوجيهات ما يُفسد عليها فكرها، ويُفسد عليها دينها، ويُفسد عليها سلوكها.

انظر: ماذا يجري في الدنيا؟ ماذا تقدّم لنا الأجهزة المختلفة؟ ماذا تقدّم لنا المجلات والصحف؟

وأنا لا أتحدث عن «قطر» فقط، أنا أتحدث عن الوطن العربي، والوطن الإسلامي، أنا أتحدث عن المجتمع الإسلامي كلّ.

هذه الصحف المصوّرة التي تنشر الصور العارية أو شبه العارية، التي اتُّخذت فيها المرأة أداة للإثارة وللإعلان، تجد فيها امرأة تشرب السجائر، وامرأة تقدّم شيئاً معيناً ربّما كان من خصائص الرجل، وامرأة نصف عارية.

كما يركّز الإعلان على جنس المرأة، والمرأة الجميلة خاصّة!

انظروا الموضوعات التي تُكتب: ماذا فيها؟

فيها الغثاثة، وفيها الفساد.

ما هذه الأشياء التي تعرض على الشاشة الكبيرة والشاشة الصغيرة: الأفلام، المسلسلات، القصص، الأدب المكشوف الذي أصبح يغزونا من يمين وشمال من هنا وهناك؟

ما يُقدّم في المسارح وما يُقدّم في الإذاعات وما يُقدّم في التلفزيون، ينتجه أولئك الفارغون من القيم ومن الأخلاق ومن الدين؛ لأنّ المؤسف أنّ السينما نشأت في البلاد العربية على يد غير المسلمين في أوّل الأمر، ثمّ على يد قوم فرغت رؤوسهم من فهم الدين، وفرغت قلوبهم من القيم والأخلاق، وفرغت حياتهم من السلوك الطيب.

هؤلاء هم الذين أسسوا المفاهيم الأولى لما يسمى الفن، ثمّ نشروا هذا الفساد وصدّروه هنا وهناك، وأصبحنا نرى فتياتنا يعشن لهذا الأمر.

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، يوم كانت تعرّض نفسها للخطر، وهي تذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور، وهو مختبئ عن الكفار هو وصاحبه، تخرج وتصعد إلى هذا الجبل الذي يعيي الشاب القوي الصعود إليه، وتعرّض نفسها لهذه المشقة لتقوم بمهمتها في نصرته دين الله ^(١)؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل سمية امرأة ياسر التي لاقت

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٤٨٥).

حتفها على يد عدو الله «أبي جهل»، وماتت تحت العذاب، وكانت أوّل شهيدة في الإسلام؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل فتيات الإسلام، اللاتي نذرن أنفسهن لله ولدينه، وقمن بواجبهنّ في نشر هذا الدين؟

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل الصالحات من نساء السلف الصالح، من الحرص على تحريّ الحلال واجتناب الحرام، حتّى إنّ المرأة كانت تقول لزوجها وهو خارج: يا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإنّا نصبر على الجوع والطوى، ولكنّا لا نصبر على حرّ النّار وغضب الجبار؟!

هل يشغل الفتاة المسلمة اليوم ما كان يشغل نساء السلف الصالح، اللاتي كان منهن من تحفظ «صحيح البخاري» أو «صحيح مسلم»، أو ترويه بالسند، وتجلس في حلقات العلم، ويقول علماؤنا: حدثني الشيخة المسلمة الصالحة فلانة بنت فلان؟!

ما الذي يشغل فتياتنا المسلمات اليوم؟

الفتاة المسلمة يشغلها اليوم: أنّها تقرأ في تلك المجلات المصوّرة التي تعرفون أسماءها وعناوينها، والتي تجد رواجًا وتنتشر هنا وهناك، وتُباع بالآلاف وعشرات الآلاف، ويقرؤها فتياتنا في كلّ بلاد العرب والإسلام.

هذه المجلات الفارغة من القيم والمعاني، هل فيها توجيه إسلامي؟ هل تلتزم بأدب الإسلام وقيمه؟

لا، والله.



فتياتنا مشغولات بسماع الأغاني الرخيصة، ومهما ترخصنا في سماع الأغاني - وأنا من الميسرين في هذه الناحية - فإن معظم الأغاني التي تُسمع في هذا العصر تدور حول محور واحد هو: الحب والغرام والعشق، والهجر والوصال.

كأنه ليس في الدنيا شيء إلا الحب، وكأنه ليس هناك حب إلا حب المرأة، وكأنه ليس هناك حب إلا حب جسد المرأة، وحب المرأة الأجنبية، لا حب المرأة الزوجة ولا حب المرأة الأم!

هكذا يلحون على هذه الغريزة العاتية، غريزة الجنس التي لا تحتاج إلى إلحاح، إنما يُشعلون النار، يريدون أن يقربوا الفتى من الفتاة ويقولون: دعوهما يجربا، ودعوهما يكتشفا أنفسهما، اكسروا الحواجز بين الفتيان والفتيات، ما هذا الكبت؟ ما هذه العقد؟

حلُّوا العقد، أزيلوا الكبت، واتركوا الجنسين يلتقيان كما يحلو لهما! هذه مقولاتهم.

وفي الغرب فعلوا هذا وأزالوا الكبت، وكسروا الحواجز، وتركوا للفتى أن يلتقي بالفتاة، وللفتاة أن تقابل الفتى، وأن يقبل بعضهم بعضاً في الطرقات، وأن يفعلوا ما لا يُحمد ولا يقبل في عُرفنا، في الشوارع والحدائق، فهل حلُّوا المشكلة؟

لا والله، ما حُلَّت المشكلة، إنها تزداد تعقيداً.

في بلاد الحرية الجنسية أكثر ما يكون فيها الانتحار؛ لأن الفتاة الجميلة يريد لها أكثر من واحد، يتهافت عليها العشرات، ويتقاتلون من أجلها، والفتاة التي لم تُرزق حظاً من الجمال لا يُقبل عليها أحد، ولهذا

ترمي بنفسها في أتون الفاحشة، تباع نفسها بأي طريق، تبحث عن أي مستنقع وتلقي نفسها فيه، لم تُحل المشكلة إذن!

ولا زال عقلاؤهم ونقادهم ومصلحوهم يشكون من هذا الفساد الخُلقي، ويشكون من هذا التحلل السلوكي.

إنَّ الإسلام جعل هناك حدودًا، فصلت بين الرجل والمرأة.

صحيح أنَّ مَنَّا من تجاوز هذه الحدود ولم يقف عندها، وزاد على الدين ما ليس منه، فحرَّم ما أحلَّ الله، ولم يُبح إلى اليوم للخاطب أن يرى مخطوبته! يخطب الفتى الفتاة فلا يراها ولا تراه؛ بل ربَّما عقد عقدها (وملك عليها) ومَرَّت شهور عليهما، وهو لم يرها قط! إنَّه لا يراها إلا بعد أن يدخل بها وتُزفَّ إليه!

أهذا شرع؟ أهذا في كتاب أم سُنَّة؟!

فتاة ترى كلَّ النَّاس، تذهب إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتذهب إلى السوق، وتذهب إلى الأعراس، وتسافر إلى البلاد العربية، وتسافر إلى البلاد الأوروبية، وترى آلافًا من الرجال ويرونها، الشخص الوحيد الذي لا تراه ولا يراها هو خاطبها؛ بل هو زوجها الذي عقد عليها!

أهذا من الدين في شيء؟!

نحن نقع بين الإفراط والتفريط، بين الذين يحرمون الحلال، والذين يحللون الحرام، وما هكذا تُعالج الأمور.

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟!

يشغلها رؤية الأفلام والمسلسلات التي تعرضها التلفزيونات، وتعرضها السينمات، وماذا فيها؟

إنَّها تعرض جانبًا معيَّنًا من الحياة، لشريحة خاصَّة من النَّاس، وتعرضه وكأنَّه هو واقع المجتمع كلِّه، تريد أن يعمَّ هذا الجانب المنحرف، وأن يصبح قاعدة، مع أنَّه هو الشذوذ بعينه.

تبقى الفتاة المسكينة معلَّقة بهذه الأشياء، وبهذه الأوهام، تظنُّها حقائق، وما هي من الحقيقة في شيء.

ما الَّذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

تشغلها «الموضات» العصرية، بدع هذا العصر، من الأزياء التي تتغير من سنة إلى سنة؛ بل من فصل إلى فصل.

هذه موضة الربيع، وهذه موضة الخريف، وهذه موضة الصيف!

وهكذا لعب هؤلاء الذين يسمونهم «مصممي الأزياء» - وجلُّهم من اليهود أو تلاميذ اليهود - بعقول النساء في العالم.

كيف ترضى الفتاة المسلمة أن تكون أمة لهؤلاء، تتبعهم فيما يُصمِّمون لها؟!!

إنَّها تحكمها قيَم، وتحكمها شرائع، ويحكمها دين، فكيف ترضى لنفسها أن يتلاعب بها هؤلاء؟!!

لقد أصبحنا كما حذر النَّبي ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم [طرائقهم وتقاليدهم] شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سلكوا جُحر ضبًّا لسلكتموه»^(١). هكذا قال النَّبي ﷺ.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.



وَجُرَّ الضَّبُّ يضرب به المثل في كراهية الرائحة، وفي الالتواء، وفي الظُّلْمَة، وفي الضيق، ومع هذا لو دخلوا جحر الضَّبِّ، يصبح دخول جُحْر الضَّبِّ «موضة» اسمها «موضة جُحْر الضَّبِّ»! ويتبعها هؤلاء وأولئك، ويرَوِّج لها المروِّجون الذين يملكون الأقلام، ويملكون الصُّحف، ويملكون الأجهزة الإعلامية.

ماذا نملك نحن؟

نملك المنبر - وفي بعض البلاد الإسلامية لا يملك أهل العلم المنبر، فحتى المنبر موجّه من قبل أولئك الذين لا يخشون الله ولا يعرفونه - وماذا يُعطي المنبر؟ ربع ساعة أو نصف ساعة في الأسبوع؟!

ماذا تغني أمام هذا السيل العرم من التوجيهات، التي تحمل التشويق والإثارة، بالصوت والصورة، والكلمة المزوّقة، والموسيقى والحوار و«الدراما»؟

ماذا تملك كلمة عالم من العلماء أمام هذا السيل الضخم؟ ماذا تملك؟ وماذا تستطيع؟

متى يبلغ البنيان يومًا تامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم^(١)؟!

ماذا يصنع المسجد؟ وماذا تصنع المدرسة؟

ويا تُرى هل المعلّمة التي تدرّس العلوم الشرعيّة والتربية الإسلامية: ملتزمة بأدب الشرع أو لا؟

هل توجد القدوة التي تقتدي بها الفتاة، في المدرسة وفي البيت؟

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة

الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

هل الأم قدوة للفتاة؟ أم إنَّ الأم من ذلك الصنف الذي يقف أمام المرأة مُدِّدًا ومددًا، إذا أرادت أن تذهب إلى الخارج، وتكسل أن تقف بين يدي الله دقائق معدودات؟!

هل تجد الفتاة القدوة في بيتها؟ هل تجد القدوة في المدرسة؟ هل تجد القدوة في الجامعة؟ هل تجد القدوة في الشارع؛ حينما تخرج إلى الشارع، أو تذهب إلى الأماكن العامة؟

للأسف في بعض البلاد ترى الشوارع تغصُّ بالكاسيات العاريات، المميلات المائلات، اللاتي جعلهنَّ النبي ﷺ من أهل النار، وحرَّم عليهنَّ رائحة الجنَّة، ورائحتها توجد من مسيرة كذا وكذا^(١)، وورد في بعض الأحاديث من مسيرة خمسمائة عام.

ما الذي يشغل فئاتنا المسلمة اليوم؟

هذه هي الأشياء التي تشغلها: المجلات، والصور، والموضات، والأزياء، والأفلام، والمسلسلات، والأغاني التي تسمعها طول اليوم. مهما قلنا في الأغاني، فالأغاني لهو، واللهو له وقته.

الترويح له وقته، فلا ينبغي أن يُسرف الإنسان فيه: «أعطِ الكلام من المزح بمقدار ما تعطي الطعام من الملح»^(٢) كما روي عن علي رضي الله عنه.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة، ولا يجذن ريحها، وإنَّ ريحها ليوحد من مسيرة كذا وكذا». رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥).

(٢) اللطائف والظرائف للثعالبي ص١٥١، نشر دار المناهل، بيروت.

وهكذا ينبغي أن يكون اللهو في الحياة كالمح في الطعام، لا ينبغي أن يزيد، ولا أن يبالغ فيه.

أمّا أن تصبح الحياة كلها لهواً، أمّا أن تنتقل الفتاة من محطة إلى محطة، ومن موجة إلى موجة، ومن قناة إلى قناة، ليصبح اليوم كله أغاني، فأين الجد؟ أين حق الله؟ أين حق الحياة؟ أين حق الأسرة؟ أين حق المجتمع؟

إننا في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، ونراجع المجتمع نفسه مع بناته وشباباته، أمّهات الغد، وصانعات الأجيال في المستقبل. يجب أن تراجع كل الأجهزة التوجيهية نفسها.

يجب أن تُربى الفتاة تربية إسلامية صالحة، تربية تعرفها حقها وواجبها، وتقف بها عند حدود الله، لا غلو ولا تفريط.

لا نريد أن نتزيد في ديننا فنحرم ما أحل الله؛ كما يفعل المتشددون، ولا نريد أن نتساهل في ديننا وننتهاون فيه، فنحل ما حرم الله.

لا، بل نقف عند حدود الله، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

لا ينبغي للفتاة المسلمة أن تُسلم قيادها للتوجيه العلماني اللاديني، الذي يديره أناس خبيثاء، لا يريدون لهذه الأمة خيراً، ولا يريدون لشبابها وشاباتها إلا الفساد وإلا الدمار.

لا ينبغي للفتاة المسلمة أن تجعل مثلها الأعلى: الفتاة الغربية، الفتاة الأوروبية والأمريكية.

المثل الأعلى للفتاة المسلمة:

لا، بل ينبغي أن تجعل مثلها الأعلى: أمّهات المؤمنين: خديجة، عائشة، أم سلمة، زينب بنت جحش، بنات النبي: فاطمة الزهراء وأخواتها، نساء الصّحابة، أسماء ذات النطاقين، أم سليم، أم عمارة نسيبة بنت كعب.

يجب أن تجعل هؤلاء نصب عينها.

أمّا أن تجعل الممثّلات والمطربات من الشرق أو من الغرب مثلها الأعلى، فهذا هبوط بها.

هؤلاء ليسوا منّا ولسنا منهم، لا يمكن أن نصل إلى يوم نبيح فيه الحرام، ونستحلّه جهرة وعلانية، كما يفعلون.

خطر الطاقة الجنسية:

في هذا الصيف ذهبتُ بضعة أيام إلى «لندن» في مصلحة من مصالح المسلمين، وكان معي صديق هناك، قال لي: ذهبت إلى الحديقة المشهورة «هايد بارك»، وكانت معي ابنتي الصغيرة، فرأيت منظرًا تقشعر منه الأبدان، من المناظر الجنسية القبيحة. سألتني ابنتي الصغيرة، الطفلة البريئة: ما هذا يا أبي؟ فقلت لها: هؤلاء حيوانات!

فقلت لي: وماذا تفعل الحيوانات؟ فلم أستطع أن أجيب، وتركت المكان، ثمّ ذهبت إلى مكان آخر، فرأيت منظرًا أفزع من الأول، ولاحقتني الطفلة بالأسئلة: ما هؤلاء؟ وماذا يفعلون؟

ولم أستطع أن أقول: هؤلاء حيوانات، وهي تريد أن تعرف ماذا تفعل الحيوانات أيضًا؟ فلم أملك إلّا أن أرجع إلى البيت!



هذا هو المجتمع الغربي المتفسّخ، هذا المجتمع الغربي قد أصبح مثلاً سيئاً في الفساد والانحلال.

أصبحوا يشكّون من الأمراض الخبيثة والأمراض الجنسية كالإيدز، والأمراض التي أصبحت تهدّدهم بالفناء.

أصبحوا يخافون، بعض فلاسفتهم قال: إنّ خطر الطاقة الجنسية يهدّدنا أكثر من خطر الطاقة الذرية!

إنّهم يخافون أن يزيد هذا التحلّل حتّى يأتي على المجتمع من قواعده، ونحن نريد أن ننقل عنهم ونقتبس منهم!

إنّ لهم دينهم ولنا ديننا، وإنّ لنا قيمًا، ولنا عقائد، ولدينا تشريعات وأحكام، وعندنا حلال وحرام.

من ممّا يرضى لابنته أو لأخته أو لزوجته: أن تفعل ما يفعل هؤلاء؟

من ممّا يرضى دينه بذلك؟ أو تقبل رجولته ذلك؟

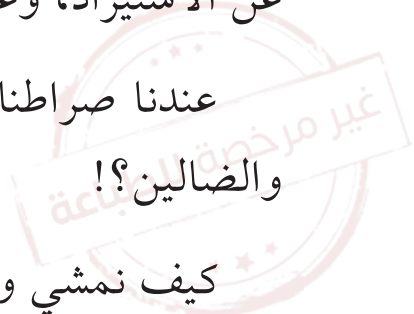
ومن ممّن فتياتنا يرضى دينها أو خلّقها ذلك؟

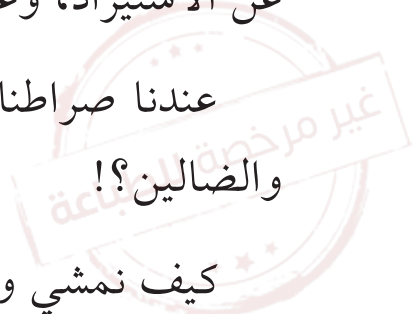
ولهذا كان من الخطر كلّ الخطر أن يستمر سيل السياحة والاصطياف إلى البلاد الأوربية، لشبابنا وشاباتنا، فلا يتعلّمون ولا يتعلّمن إلّا الفساد والانحراف، وبمجرد أن يتعلّموه هناك يأتون إلى هنا، يريدون أن يجربوه مرّة أخرى.

هذا الفساد الذي نراه هو فساد منقول إلى مجتمعنا.

انتقل إلى المجتمعات الإسلامية من تلك المجتمعات المنحرفة، التي لم تهتد بهدى الله! ونحن عندنا كتاب الله وسنة رسوله، عندنا تراثنا

الخالد، عندنا سِير الصالحين والصالحات، عندنا من هذا كله ما يغنيا
عن الاستيراد، وعن تسوُّل الأفكار والتقاليد من عند غيرنا.

عندنا صراطنا المستقيم، فكيف نتبع صراط المغضوب عليهم
والضالين؟! 

كيف نمشي وراء السُّبل، التي على رأس كلِّ سبيل منها شيطان يدعو
إليه، ونترك صراط الله الواحد، وطريق الله الذي له ما في السموات
وما في الأرض؟! 

يا أيُّها الإخوة المسلمون، يا أيُّها الآباء، يا أيُّها المُربُّون، يا أيُّها
الإعلاميون، يا أيُّها المُعلِّمون، يا أيُّها الدُّعاة، يا أيُّها المسؤولين، يا أيُّها
النَّاس جميعاً، احذروا من هذه التيارات الدَّخيلة الغازية، التي تريد أن
تقتلنا من جذورنا، وأن تهدمنا من أساسنا، وألا تبقي فينا شيئاً أصيلاً
ذا قيمة.

حافظوا على أنفسكم، على أبنائكم، على بناتكم ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا
نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يغفر
لنا ما مضى، وأن يُصلِّح لنا ما بقي، إنَّه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه
وادعوه يستجب لكم.



الشَّبَابُ وَوَبَاءُ الْمُسْكِرَاتِ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّبَابِ فَتِيَانًا وَفَتِيَاتٍ.

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الثَّرْوَةِ الْبَشَرِيَّةِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مَا تَمْلِكُ الْأُمَّةُ، إِنَّهَا ثَرْوَةُ الْمُسْتَقْبَلِ، إِنَّهَا أَعْلَى مِنَ النَّفْطِ، وَأَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ، وَأَعْلَى مِنَ الْجَوَاهِرِ، وَأَعْلَى مِمَّا تَحْتَ الْأَرْضِ وَمِمَّا عَلَيْهَا.

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّبَابِ، عَنْ مَرَحَلَةِ الْقُوَّةِ بَيْنَ ضَعْفَيْنِ: ضَعْفِ الطُّفُولَةِ وَضَعْفِ الشَّيْخُوخَةِ.

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّبَابِ لِنَحْمِيَ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَوْبَةِ، لِنَقِيَهُمُ مِنَ الْكُورَاثِ وَالْمِصَائِبِ، لِنَجْنِبَهُمُ الْمَزَالِقَ وَالْعَثَرَاتِ، لِنَحَاوِلَ تَوْجِيهِهِمُ التَّوْجِيهَ الْإِسْلَامِيَّ الصَّادِقَ، لِنَجْعَلَهُمُ عِدَّةَ الْأُمَّةِ وَذَخِيرَةَ غَدِهَا.

لَا بَدَّ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنِ الشَّبَابِ بِصَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ، لَا نِنَافِقُ وَلَا نَمَالِي وَلَا نَرَائِي، وَلَا نَحَاوِلُ أَنْ نَدْفِنَ رُؤُوسَنَا فِي الرَّمَالِ وَنَرْدَمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَنَتَسَتَّرَ عَلَيْهَا، فَهَذَا لَا يَدَاوِي دَاءً، وَلَا يَحُلُّ عَقْدَةً، وَلَا يَعَالِجُ مُشْكَلَةً مِنَ الْمَشْكَلَاتِ.

أتحدّث اليوم عن آفة من الآفات؛ بل عن وباء من الأوبئة، أصبح اليوم تُعقد له الحلقات والندوات لدراسة عواقبه ومغبّته. أصبح الكلُّ يتحدّث عن هذا الوباء، وهذا البلاء هو: وباء المسكرات والمخدّرات.

إنّه وباء لا يجوز لنا أن نسكت عنه، صحيح أنّ «قطر» لا تزال أفضل من غيرها، ولا تزال أحرص على التدين والالتزام من كثير من البلدان بجوارها، ولكن العدوى سرعان ما تنتقل، والشر أسرع انتقالاً، وأقرب اشتعالاً. العدوى في الشرور والآثام سريعة، تنتشر انتشار النّار في الهشيم. وهناك الذين يكيدون لهذه المجتمعات المسلمة، ويدبّرون لها المؤامرات، ويريدون أن يقضوا عليها بأيدي أهلها.

حرب غير مُعلنة:

إنّها حرب غير مُعلنة، تدبّرها قوى خفية، قوى تُضمّر العداء لهذه الأمة، تريد أن تأتي على بنيانها من القواعد، وأن تجتثّها من الجذور. إنّها حرب غير مُعلنة، حرب صامتة، وهذا النوع من الحروب أشدّ خطراً، وأعمق أثراً من الحروب الظاهرة، التي تُستخدم فيها القنابل والمدافع والصواريخ، فإنّ هذا النوع من الحرب العلنية يستثير غرائز المقاومة، فينفر النّاس للدفاع عن أنفسهم، وللحفاظ على الذات، يستमितون في المقاتلة؛ دفاعاً عن الأرض والعرض والذات.

أمّا هذه الحروب الصامتة، الحروب الخفيّة، فإنّ أعداءنا يعطوننا السلاح لنقتل أنفسها بأيدينا، يستخدمون أناساً منا ليروّجوا فينا هذه السُّموم «المسكرات والمخدّرات»؛ ليقتلوا شبابنا؛ ليدمّروا اقتصادنا؛ ليدمروا أخلاقنا؛ ليدمّروا تماسكنا؛ ليدمّروا كلّ شيء عظيم فينا.

إنَّها الحرب الخفية الخطرة، فعلينا أن نتنبَّه لها، وأن نقف لننذر ونحذّر، ونوجّه ونعلّم ونصرّخ صرخة الحَرَّاس الأيقاظ، إذا داهمهم خطر على ما يحرسون.

علينا أن نقف جميعًا لنصدّ هذا التيار الخطر؛ لنحمي أبناءنا؛ لنحمي فلذات أكبادنا؛ لنحمي الشبَّان والشابات الذين وقعوا في هذه الأخطار، سقطوا فرائس سهلة لأولئك الذين يتاجرون في هذه السُّموم، ويريدون أن يثروا من السُّحت، وأن يكسبوا الملايين بسرعة، من وراء صحّة النَّاس، وأخلاق النَّاس، وقيم النَّاس.

هؤلاء الذين لا يخافون خالقًا، ولا يرحمون مخلوقًا، أولئك المهزَّبون والمتاجرون بالسُّموم، علينا أن نقف لنحاربهم، لنحارب هذا الوباء الذي يتسلَّل إلينا، ربّما لا يراه الكثير منّا، ولكنّه معلوم ومعروف، وأصبحت ضحاياه كثيرة، وأصبحت المستشفيات تستقبل ضحايا الإدمان الخطر، وهم قليل جدًا من كثير.

هناك مواد من تناولها مرّة أو مرّتين أصبح مدمنًا، وأصبحت صحّته مهدّدة بالخطر؛ بل أصبحت حياته مهدّدة بالخطر.

كيف تنتقل هذه السُّموم إلى تلك البلاد الآمنة العربية المسلمة؟! كيف ينتقل الهيروين والكوكايين والحشيش، ومن قبل ذلك الخمر والمسكرات؟! والسكرات؟!

ألسنا مجتمعًا مسلمًا؟! ألسنا مجتمعًا يحرم هذه الأشياء، ويعتبرها من أكبر الكبائر وأشدّ المنكرات؟!

لا بدّ لصيحاتنا أن تدوّي، وأن تعلو أصواتنا بالاستنكار، وأن نحمي أبناءنا، وأن نوعيهم.

غياب الرقابة الأسرية:

أبناءؤنا يسقطون فرائس وضحايا لهؤلاء؛ لأنَّ الرقابة الأسرية قد غابت، الأب مشغول، والأم مشغولة.

الآباء لا يسألون عن أبنائهم، ولا يعرفون: أين يذهبون، وأين يسهرون، ومن يصاحبون، وماذا يعملون؟

كلُّ ما يصنعه الأب أنَّه يعطي المال و(الفلوس) لابنه، ماذا يصنع بهذا المال؟ فيمَ ينفقه؟ هل سألته أيها الأب الراعي؟ هل حاسبته؟ هل جلست إليه؟ لماذا تنتشر هذه المصائب؟ لماذا؟

إنَّه الفراغ، إنَّ الشاب يشعر بفراغ في وقته، وأكثر من ذلك بفراغ في نفسه، إنَّه لا يتعلَّق بمُثل عليا، لا يعيش لأهداف كبيرة، كان يعيش لها من قبل أسامة بن زيد، أو علي بن أبي طالب، أو معاذ بن جبل، أو عبد الله بن عباس، أو مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، إنَّه يقلِّد الممثلين، ويقلِّد الأجانب.

إنَّه لم يجد القدوة الحسنة، ولا الأسوة الطيبة، لم يجدها في بيته، لم يجدها في أسرته، لم يجدها في مدرسته، لم يجدها فيمن حوله، لم يجد التربية الصالحة التي تتعاون فيها الأجهزة المختلفة؛ لتخلق منه إنساناً سوياً.

لهذا يذهب الشاب حيث يذهب، وقد غابت الرقابة الاجتماعية، كما غابت الرقابة الأسرية، غابت أعين الرقباء، ولا يدري المسؤولون عنه أنَّ الله تعالى سيسألهم الله يوم القيامة عمَّن استرعاهم: ماذا فعلوا لرعاياهم؟ «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ١٥٦.



ماذا يصنع هؤلاء الشباب في غيبة أعين الرقباء؟

أقرب الناس إليهم: الآباء، الأب مهمته أن يربح ويكسب ويكون ثروة، ولكنه يضيع أعظم ثروة عنده، وهي أبنائه!

ما قيمة ما تكسب من ملايين، إذا خسرت ولدك، إذا خسرت ابنك، إذا خسرت ابنتك، إذا خسرت فلذة كبذك؟ ماذا تصنع الملايين؟

نحن في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، إلى أن نعرف لماذا تنتشر هذه السموم؟! لماذا تنتشر المسكرات؟! ولماذا تنتشر المخدرات؟! لماذا؟ أهو الفراغ؟ أهو الضياع؟ أهو انعدام التربية الدينية الإسلامية الصحيحة؟ لماذا نعين على أنفسنا؟

مهما قلنا: إن هناك حرباً، وإن هناك مؤامرات تُدبر لتدمير هذه المنطقة، وتضييع أموالها وشبابها، فنحن الذين نعين على أنفسنا.

نقول: إنهم يخططون لنا، فهل هذا عذر لنا؟

لماذا لا نخطط لأنفسنا لبنينها ونحميها، كما يخطط أعداؤنا لهدمنا وتمزيقنا؟

لا بد أن نعي وأن نوعي.

إن الإسلام جاء إلى العرب وقد كانوا مولعين بالخمير، يشربونها، ويسهرون لشربها، ويجلسون لها الساعات، سموها أكثر من مائة اسم، فهي: الخمر، وهي الراح، وهي الصهباء، وهي السُلالة، وهي المُدام، وهي بنت العنقود، وبنت الدنان، وهي... وهي... ووصفوا مجالسها، ووصفوا ندماءها، ووصفوا أقداحها، وقالوا فيها من الشعر ما قالوا.

ولهذا أخذهم الإسلام بمنهج تربوي حكيم، فلم يفظمهم عنها مرة واحدة، وإنما جاء وبيّن لهم أنّ إثم الخمر أكبر من نفعها، إذا كان فيها منافع اقتصادية، أو تجارية، أو نحو ذلك، فإنّ أضرارها أكبر من نفعها.

وهنا لا بدّ أن نبين لأبنائنا وللأجيال الجديدة أضرار الخمر، وأنّها ليس فيها أي منفعة إلّا المنافع التجارية، والعلم الحديث والطب الحديث قد أثبتا هذا.

إنّها خطر على الصّحة، إنّها تسارع بالإنسان إلى الموت.

إنّ جمعيات «منع المسكرات في العالم» تعمل بجِدّ، وتُظهر من الصور والأفلام ما يبيّن خطر الخمر.

الخمر خطر على الصّحة، على الكبد، على القلب، على الأعصاب، على الأعضاء.

إنّها خطر على العقل، إنّها تسلب الإنسان أهمّ مزية فيه، وهي «العقل».

كرّم الله الإنسان بالعقل، وخاطب فيه العقل، وأثابه وعاقبه بسبب العقل، فيأتي الإنسان ويغيّب عقله بإرادته، باختياره، بلّ بحُرّ ماله! يشتري الجنون بماله!

ذكر ابن أبي الدنيا أنّه مرّ على رجل سكران وهو يبول في يده، ويمسح به وجهه، كهية المتوضئ، ويقول: الحمد لله الذي جعل الإسلام نوراً، والماء طهوراً^(١)!

(١) انظر: تفسير الرازي (٤٠١/٦).



انظروا كيف يفقد الإنسان عقله:

الخمير خطر على العقل، كما هي خطر على الجسم، كما هي خطر على الأخلاق؛ فالإنسان السكير لا أخلاق له، إنسان ضائع تائه، لا يعرف واجبه نحو ربّه، ولا نحو نفسه، ولا نحو غيره.

وهي خطر على الأسرة؛ لأنّ هذا الإنسان الذي أدمن الخمر يضيّع أولاده، لا يفكر في شيء آخر إلّا في شهوته، ولذّته، وإن انحرفت زوجته أو ضاع أولاده.

إنّها خطر على المجتمع كلّ في النهاية، خطر على الاقتصاد، على الإنتاج؛ لأنّ مثل هذا السكير والمدمن لا يصلح للإنتاج، ولا يحسن أن يتقن عملاً، أو يحافظ على المال، أو ينمّي بكفاءة إذا أوّتمن عليه.

ومثله المدمن للمخدرات أيضاً، بل لعلّها أشدّ خطراً، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١).

إنّ المخدرات - الحشيشة وغيرها - أشدّ خطراً من الخمر؛ لأنّ الخمر قد تدفع إلى الحركة، وهذه تدفع إلى الخمول والفتور.

هذه السُّموم خطر على الإنتاج، على التنمية، على المجتمع.

في أمريكا ينفقون كلّ عام اثنين وستين بليون دولار «اثنين وستين

(١) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعية: والحشيشة المصنوعة من ورق العنب حرام أيضاً، يُجلد صاحبها كما يُجلد شارب الخمر، وهي أحبّ من الخمر من جهة أنّها تُفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنّث ودياثة وغير ذلك من الفساد. والخمر أحبّ من جهة أنّها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصدّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة. السياسة الشرعية ص ٨٧، ٨٨، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ.

ألف مليون دولار» على ضحايا الخمر والمخدرات، لعلاج المدمنين، لتعوّض غيابهم عن العمل، وربّما زادت هذه الأرقام اليوم؛ فالخطر يتفاقم ويزداد باستمرار.

ونحن للأسف نريد أن نقلد هذه المجتمعات، هي تشكو من هذه الأوبئة - وهي مجتمعات غنية وقوية ومتقدمة - ونحن ننقل شرّ ما فيها، ونأخذ أسوأ ما عندهم، ولا نأخذ أحسن ما عندهم.

الخمر والمخدرات خطرة على الإنسان مادياً ومعنوياً، وهي خطرة على الإيمان نفسه، تهدّد إيمان الإنسان، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»^(١).

لا يمكن أن يكون مؤمناً من يُدخل إلى جوفه تلك السُّموم، والله قد نهى عنها، وجعلها رجساً من عمل الشيطان، والنبي ﷺ قال: «اجتنبوا الخمر؛ فإنها مفتاح كل شرٍّ»^(٢).

إنّها تجرّ إلى ما بعدها، وتجريّ الإنسان على المعاصي واقتراف الكبائر، وخصوصاً من أدمنها ومن واطب عليها، تصبح آفة من الآفات الكبرى.

روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنّه قال: «من لقي الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن»^(٣)؛ ذلك لأنّ الخمر أصبحت وثناً بالنسبة له يعبدها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الحاكم في الأشربة (١٤٥/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (٢٤٥٣)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وابن حبان في الأشربة (٥٣٤٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢١٠): رجال أحمد رجال الصحيح، إلّا أن ابن المنكر قال: حدث عن ابن عباس. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٦٧٧)، عن ابن عباس.

وقال أبو موسى رضي الله عنه: ما أبالي أشربت الخمر، أو عبدت هذه السارية من دون الله ^(١)! السارية: عمود في المسجد.

اعتبر شرب الخمر نوعاً من الشرك؛ فالذي يعبد هذه الشهوة إنما يعبد وثناً من دون الله تعالى.

الخمر ضارة كل الضرر، لا منفعة فيها، وأشدُّ منها ضرراً: المخدرات، لا يشكُّ في ذلك أحد.

ومن هنا قاوم الإسلام هذه المضار وهذه الخبائث كل المقاومة، وحرَّمها أشدَّ التحريم.

تدرَّج في تحريمها من قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، إلى الآية الحاسمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

ولمَّا نزلت هذه الآية قال الصَّحابة: قد انتهينا يا رب، قد انتهينا يا رب ^(٢).

(١) رواه النسائي في الأشربة (٥٦٦٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٦٥): صحيح موقوف.

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٩.

وبعضهم بلغته هذه الآية والكأس في يده، شرب بعضًا وبقي بعض، فلما علم بالتحريم أفرغها على التراب، وقال: قد انتهيت. لم يكملها، ولم يقل ما قال امرؤ القيس قديمًا: اليوم خمر وغداً أمر، فلنكمل الشراب، وليكن في غد ما يكون! لا، قد انتهى الأمر، قد حرمت الخمر.

نجح الإيمان، وفشلت أمريكا في محاربة الخمر، بعد أن أقامت من التشريعات والقوانين ما يحرمها، وجندت الجيش والأسطول والشرطة لمقاومة تهريب الخمر، وصنعها في الخفاء، وترويجها في السر، وأنفقت في ذلك الملايين، وجندت كل الدعايات، ومع هذا لم تستطع التغلب على المهريين، فأباحتها مجبرة.

نحن عندنا الدين الذي حرّم الخمر تحريمًا قاطعًا، وأصبح تحريمها من المعلوم من الدين بالضرورة، وجعل الإسلام فيها حدًا: عقوبة بدنية لمن شربها، يُجلد حتى يرتدع ويكون عبرة لغيره. هكذا فعل الإسلام.

بل حرّم النبي ﷺ كلّ مساهمة في الخمر من قريب أو بعيد، ولعن فيها عشرة: «عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمُشترى له»^(١). كل من ساهم فيها من قريب أو من بعيد، فهو ملعون على لسان مُحَمَّد ﷺ. يريد الإسلام أن يسد الباب بالكلية، ولهذا حينما حرّم شربها حرّم أن

(١) سبق تخريجه ص ١٥٠.

يُجلس مع من يشربها^(١)، وفي الحديث «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر»^(٢).
يجب أن يبتعد عن هؤلاء.

عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين، حينما جيء له بجماعة شربوا الخمر، وكان معهم واحد لم يشاركهم في الشرب، حتّى قيل له: إنّه كان صائماً! فقال: صائم ويجلس مع شرّاب الخمر، به فابدؤوا؛ إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وإذا جلستم معهم وهم يخوضون في آيات الله فأنتم إذن مثلهم، فمن جلس مع شرّاب الخمر فهو مثلهم، ومن قعد على مائدة يُدار عليها الخمر؛ فهو شريك في الإثم^(٣).
الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم كلّ ما يساعد عليه، وكلّ ما يؤدي إليه، إلّا أن يكون الإنسان مضطراً غير مختار، كما نفعل نحن: نركب الطائرات ويكون بجوارنا من يشرب الخمر، ولا نستطيع أن نغادر مكاننا.

حتى طائرات البلاد العربية وطائرات الخليج - التي تنتسب إلى هذا الخليج العربي المسلم - تُقدّم الخمر، وأرى النّاس بجواري يشربونها وفي رمضان! ونحن معلقون بين السماء والأرض! ويقولون: طوق النّجاة أمامك!

(١) لأنّه - كما قال المناوي - تقرير على المنكر. فيض القدير (٢١١/٦).

(٢) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الأدب (٢٨٠١)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٠٨)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن جابر.

(٣) رواه الطبري في التفسير (٣٢١/٩)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة. وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢١/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويّة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

أي طوق للنَّجاة يا قوم؟!

وإذا وقعت الطائفة فهل يغني طوق النَّجاة من شيء؟!

هؤلاء لا يستحون، ويشربون الخمر في الطائفة، وفي رمضان! والمضيفون والمضيفات يعلمون النَّاس كيف يستخدمون أطواق النَّجاة، إذا واجهوا خطر الموت!

وكم من أناس يشربون الخمر في رمضان، وكم من زوجات يشتكين من أزواجهن ويقلن: يطلب زوجي مني أن أقدم له الخمر ولضيوفه في الشهر الكريم، فهل يجب عليّ هذا؟ هل يجوز لي أن أمتنع وأعصيه؟

مصيبة أي مصيبة انتشرت في مجتمعاتنا.

كم من فتاة سألتني: تقدّم لي أكثر من خاطب، وحينما أسأل عنهم، أجدهم ممن يشربون الخمر، فماذا أصنع؟ أبقى عانسًا أم أقبل هذا النوع من النَّاس؟!

الوباء ينتشر ولا بدّ له من مقاومة، لا بدّ أن نوعي أجيالنا بما صنعه الإسلام.

الإسلام قاوم هذه الآفات، وحرّمها أشدّ التحريم، حرّم شربها، وحرّم الاتجار بها، وحرّم صناعتها، وحرّم عصرها، يعني: بيع العنب ليعصر، فالخمر لا تُعصر، إنّما العنب هو الذي يُعصر، هذا تعبير مجازي.

وقد روي في حديث: عن الطبراني في «الأوسط»: «من حبس العنب أيام القطاف لبيعه ممن يتخذه خمراً، فقد تقحم النار على بصيرة»^(١).
فما بالك بمن يبيع الخمر نفسه؟! ما بالك بمن يبيع المخدرات؟!
وما بالك بمن يتناولها؟!

حماية المجتمع من أسباب الفساد والخلل:

إننا في حاجة إلى أن نحمي مجتمعنا من هذه الآفات، وأن نقاوم أولئك الذين يريدون أن يكتسبوا ويربحوا من وراء الضحايا المساكين.
يجب أن يقف المجتمع كله ضد هذا الوباء.

إن الإسلام يريد المسلم القوي، المنتج، المعطاء، الذي يساهم في الرقي بمجتمعه، يريد عضواً فعالاً، حياً قوياً في جسم المجتمع، لا يريد عضواً أشل، لا يريد أن يكون عالة وعبئاً على المجتمع، لا يريد أن يكون بلاء على المجتمع.

ولهذا ينبغي أن نعمل على حماية هذا الجيل، وحماية ثروتنا البشرية.
الإسلام يريد أن يربّي المؤمن القوي، يريد أن يربّي الإنسان الذي يُعطي مجتمعه أكثر ممّا يأخذ منه، وينتج للحياة أكثر ممّا يستهلك منها.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٣٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤١٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الكريم ابن عبد الكريم؛ قال أبو حاتم: حديثه يدل على الكذب. وقال الألباني في غاية المرام (٧١): «رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الحافظ في بلوغ المرام وهو ضعيف جداً، وتحسين الحافظ إياه وهم لا أدري من أين منشؤه». ولكن حسبنا أن الحديث الآخر في لعن عاصر الخمر ومعتصرها قد صحّحه الأئمة؛ فدلّ على حرمة هذا الأمر. وربما كان حديث الطبراني من كلام بعض الصحابة أو التابعين.

ولا يكون ذلك إذا كان ضحية لهذه الأوبئة ولهذه السُّموم التي تفد علينا من هنا وهناك.

إنَّ هذا الترويح لهذه السُّموم من أكبر ما حرَّم الله تعالى.

يجب أن نعلم ونعلِّم أبناءنا، ونعلِّم شبابنا، أنَّ الإسلام قد حمى الإنسان حينما حرَّم هذه الأشياء، لم يحرمها إلَّا لحمايتنا، لمصلحتنا؛ لأنَّه لا يحلُّ إلَّا الطيبات، ولا يحرم إلَّا الخبائث، فإذا حرَّم علينا شيئاً فليس ذلك تضيقاً علينا، ولا انتقاماً منّا، إنَّما هو لمصلحتنا أفراداً ومجتمعات.

هذا ما جاء به الإسلام.

ما أسكر كثيره فقليله حرام:

ولذلك رأينا النبي ﷺ حذر من المسكرات - كل المسكرات - حذر من القليل ومن الكثير، وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(١)، «ما أسكر منه الفرق [الفرق: مكيال كبير] فملء الكف منه حرام»^(٢)؛ لأنَّ القليل يجزُّ إلى الكثير، والألف تجزُّ إلى الباء كما يقولون، ومعظم النار من مُستصغر الشرر.

حرَّم النبي ﷺ الكثير والقليل، وحرَّم المسكرات أيًّا كانت المادَّة المصنوعة منها.

(١) رواه أحمد (١٤٧٠٣)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، وقال: حسن غريب. والنسائي (٣٣٩٣)، ثلاثتهم في الأشربة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٥٨)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٢٤٤٢٣)، وقال مخرَّجوه: صحيح. وأبو داود (٣٦٨٧)، والترمذي (١٨٦٦)، وقال: حسن. كلاهما في الأشربة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٥٩)، عن عائشة.

جاء رجل من اليمن؛ فسأل النبي ﷺ عن شراب يصنعونه باليمن من الذرة اسمه «المزُرُّ»، فقال النبي ﷺ: «أَوْمُسَكْرٌ هُوَ؟». قال: نعم. فقال ﷺ: «كُلُّ مُسَكْرٍ حَرَامٌ، وَإِنَّ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرِبَ الْمُسَكْرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قال: «عَرَقَ أَهْلُ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١).

يسقيهم الله من هذه الطينة وهذه العُصَارَةُ أو «الرَّدْغَةُ» إهانة لهم وتحقيرًا.

وجاء عنه ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٢). أي أَنَّ صَلَاتِهِ مَرْفُوضَةٌ.

وجاء في الحديث: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَلَاةً، وَلَا تُرْفَعُ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةٌ: الْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوَالِيهِ، وَالْمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا، وَالسَّكَرَانُ حَتَّى يَصْحُو»^(٣).

وفي حديث آخر: «ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: الْجُنُبُ، وَالسَّكَرَانُ، وَالْمَتَضَمِّخُ بِالْخُلُقِ»^(٤)، لَا تَقْرِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَلَا تُرْفَعُ لَهُمْ صَلَاةٌ.

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٠٢)، وأحمد (١٤٨٨٠)، عن جابر.

(٢) رواه الترمذي (١٨٦٢)، وحسنه، والحاكم (١٤٦/٤)، كلاهما في الأشربة، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، عن ابن عمر.

(٣) رواه ابن خزيمة في الصلاة (٩٤٠)، وابن حبان في الأشربة (٥٣٥٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. عن جابر.

(٤) رواه البزار (٤٤٤٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٠): إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١٩٨): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا العباس بن أبي طالب وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٨٠٤)، عن ابن عباس.

و«الْخُلُقُ»: طيب مرَّكَبٌ يُتَّخَذُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ، وَتَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحُمْرَةُ وَالصَّفَرَةُ، وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ الرِّجَالُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ طَيِّبِ النِّسَاءِ، وَوَرَدَتْ إِبَاحَتُهُ وَلَعَلَّهَا مَنْسُوخَةٌ.

ومن هنا كان على المسلم - الذي يريد أن يكون بينه وبين الله صلة، ولا يريد أن ينقطع عن الله، الذي يريد أن تُقبل حسناته وتُغفر سيئاته، وأن يتوب إلى الله من هذا البلاء - أن يعرف كيد شياطين الجنّ وشياطين الإنس له، أن يحمي نفسه من بلاء الدُّنيا ومن بلاء الآخرة، فإنّه معرض للبلاء في الدنيا: معرض للمرض ومعرض للجنون، ومعرض لتلف الكبد، وتلف الأجهزة، وتلف الأعصاب، ومعرض للإصابات النفسية والعقلية، ومعرض - قبل ذلك كله - لغضب الله وعذابه في الآخرة.

لو كتب كاتب أو أحصى محصى ما تجرّهُ الخمر والمسكرات والمخدّرات على النَّاس من بلاء، مثل: الحوادث التي نراها، والجرائم التي نشهدها، حوادث المرور، وحوادث الشجار بين النَّاس، لكانت الأرقام مذهلة حقًا.

لقد انتقل إلينا هذا البلاء وهذا الوباء من مجتمعات أخرى، كانت مجتمعاتنا مصونة، وكانت بعيدة عن هذه المصائب، ولكن انتقلت إلينا العدوى.

فعلينا أن ننتبه أيُّها الإخوة المسلمون، وأن نرجع إلى أمر الله وأمر رسوله. علينا أن نرجع إلى ديننا؛ ففيه العصمة، فيه العلاج، وفيه الوقاية معًا. علينا أن نرجع إلى كتاب ربِّنا وسُنَّة نبينا، وهناك نجد الخير كلَّ الخير ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله يستجب لكم.



العِفَّةُ وَالْإِحْصَانُ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا مَعَ الشَّبَابِ، لَا زِلْنَا مَعَ فُتَيَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفُتَيَاتِهَا.

الشَّبَابُ هُمُ أَغْلَى الثَّرَوَاتِ الَّتِي تَمْتَلِكُهَا أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، إِنَّهَا ثَرَوَةٌ لَا تَقْدَرُ بِالْدُولَارِ وَلَا بِالْجِنِيهِ وَلَا بِالْدِينَارِ وَلَا بِالرِّيَالِ، إِنَّهَا أَغْلَى وَأَثْمَنُ وَأَنْفَسُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، إِنَّهَا الْأُمَّةُ، إِنَّهَا الْمُسْتَقْبَلُ!

وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَطِيلَ الْحَدِيثَ عَنْ شَبَابِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ عَلَى حِمَايَتِهِمْ مِنَ الْإِنْهْيَارِ، مِنَ الْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ التِّيَّارَاتِ الْغَازِيَةِ، الَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَضِلَّلَهُمْ عَنْ هَوِيَّتِهِمْ، وَالَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَمَحِّقَهُمْ مُحَقًّا، وَلَا تَبْقَى فِيهِمْ شَيْئًا يَنْفَعُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَوْ يُصْلِحُهَا وَيَنْهَضُ بِهَا.

الشَّبَابُ هُمُ عِدَّةُ الْأُمَّةِ وَذَخِيرَةُ غَدِهَا، وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَرْبِيَهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَأَنْ نَرْبِيَهُمْ عَلَى الْفَضَائِلِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ نَحْمِيَهُمْ مِنَ الرِّذَائِلِ، وَنَحْمِيَهُمْ مِنَ التِّيَّارَاتِ الْغَازِيَةِ الَّتِي تَحْمِلُ أَفْكَارًا مُسْتَوْرَدَةً، لَا تَمُتُ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِسَبَبٍ، وَلَا تَتَّصِلُ بِهَا بِنَسَبٍ.

تهذيب الإسلام للغرائز البشرية:

هناك ما يسمونه «المشكلة الجنسية» العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة، وبين الشاب والشابة، سموها مشكلة! وما كانت يوماً من الأيام مشكلة، لو أَنَّ النَّاسَ اتَّبَعُوا هدى الله، وساروا وراء منهج الله.

إنَّ الإسلام لم يعتبر الدافع الجنسي في نفس الفتى أو في نفس الفتاة، في نفس الرجل أو نفس المرأة، لم يعتبر ذلك من الشيطان، لم يعتبر ذلك شيئاً قذراً ينبغي أَنْ يستخبثه الإنسان ويستهجنه.

لا، إِنَّه دافع فطري، رَكَّبَهُ الله تعالى في البشر لحكمة بالغة؛ لكي يدفع الإنسان ويسوقه سوقاً لبحث عن شريكة حياته، وتبحث الفتاة عن شريك حياتها؛ لتقوم الأُسْر، ومن وراء الأُسْر تقوم الجماعات، ويستمر بقاء هذا النوع الَّذِي استخلفه الله في الأرض، وطلب إليه عمارتها: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

ليس في هذا الدافع الفطري قذارة ولا نجاسة.

لا، إِنَّه يكون قذارة ونجاسة، حينما يتعدَّى به حدود الله، حينما يتجاوز به ما أراد الشرع.

أمَّا حينما يوضع موضعه، فليس قذراً، ولا رجساً، ولا نجساً.

لا حرج على الإنسان أَنْ يطلب تصريف هذه الطاقة أو يلَبِّي نداء هذا الدافع الجنسي بما أمر الله تعالى، وقد أحلَّ الله النِّكاح وحرَّم السِّفاح، حرَّم الزَّنى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

حرَّم الشذوذ الجنسي، و«اللواط» عمل قوم لوط، فهو عمل: قوم

مجرمين^(١)، وقوم مفسدين^(٢)، وقوم جاهلين^(٣)، وقوم عادين^(٤)، كما سمّاهم القرآن الكريم.

حرّم هذا، ولكنّه طلب إلى النّاس أن يتزوّجوا: «يا معشر الشّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج؛ فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج»^(٥).

مساعدة المجتمع لمن يرد الزواج:

وعلى المجتمع أن يساعد من أراد الزواج: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

الأيامى جمع: أيم، والأيم: من لا زوج له من رجل أو امرأة. الرجل الذي لا زوجة له يسمّى «أيمًا»، والمرأة التي لا زوج لها تسمّى «أيمًا».

والمجتمع المسلم مطالب بمقتضى هذا الأمر الإلهي أن يزوج الأيامي، أن يساعدهم على الزواج، ألا يعوق الزواج الحلال، ألا يضع في طريقه العقبات والعراقيل، أن ييسّر الحلال ويعوّق الحرام. هذا هو منهج الإسلام.

- (١) قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].
- (٢) قال تعالى حكاية عن لوط عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].
- (٣) قال تعالى حكاية عن لوط وهو يخاطب قومه: ﴿إِنِّي كُنْتُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].
- (٤) قال تعالى حكاية عن لوط، وهو يخاطب قومه: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

- (٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النّكاح، عن ابن مسعود. والمراد بالباء هنا: ما يلزمه من القدرة على مؤن الزواج ونفقاته.

فتح أبواب الحلال، وأزال العقبات من طريقه: تيسير المهور، تيسير التكاليف، تيسير النفقات، اعتماد الدين والخلق مقياساً قبل كل شيء: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(١).

هكذا يريد الإسلام.

يريد للناس أن يزوجوا «أياماهم»، وأن يزيلوا العقبات من طريقهم، كما يريد لهم - من ناحية أخرى - أن يعوّقوا طريق الحرام، ألاّ يكون طريق الحرام ميسوراً.

حرمة كل ما يؤدي إلى الفساد الجنسي:

ومن هنا حرّم الإسلام كلّ ما يؤدي إلى الفساد الجنسي:

حرّم النظرة غير البريئة، النظرة التي تغلغل في محاسن الجنس الآخر، وقال ﷺ لعلي: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة»^(٢).

غض البصر:

وقال الله تعالى في شأن الرجال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولاً ومرسلاً. وإنّما يعني بقوله مرسلاً: انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة، وقد رجّح البخاري المتقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٩١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في النكاح (٢١٤٩)، والترمذي في الأدب (٢٧٧٧)، وحسنه، عن بريدة.

وقال في شأن النساء: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] إلى آخر ما جاءت به الآية الكريمة.

يريد الإسلام من المسلم أن يكون غاضًا للبصر، حافظًا للفرج.

يريد أن يحتفظ المسلم بحيائه وعفافه وإحصانه، وأن تحتفظ المسلمة بعفافها وحيائها وإحصانها؛ فالحياء شعبة من الإيمان.

يريد الإسلام من المسلم أن يتربى على تقوى الله تعالى، حتى إن الفاحشة لتعرض له فيقول: إني أخاف الله رب العالمين؛ ليكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظلّه، يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

حينما تعرض له الفاحشة، حينما يتيسر له الحرام وهو قادر عليه، يترأى له ذلك الموقف حينما تدنو الشمس من الرؤوس، حينما يلجم الناس العرق، ولا مظلة ولا جدار ولا شجرة، لا شيء يقي الناس من حرّ الشمس إلا ظلّ الله، ظلّ عرش الرحمن.

يترأى له هذا، ويجد سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، منهم: «رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين»^(١).

الإسلام يربي المسلم على هذا الخلق، على هذا العفاف، على هذه التقوى، حتى إنه ليرى الحرام أمامه فيعف عنه، لا شيء؛ إلا خشية الله وابتغاء رضوانه.

(١) سبق تخريجه ص ٢١٣، وفيه: «وشاب نشأ في عبادة الله».

وكذلك المسلمة قد تجد أمامها الحرام ميسورًا، ولكنها تعفُ نفسها وتحصن فرجها، كتلك الجارية التي راودها رجل عن نفسها، فامتنعت منه، فقال: ما الذي يمنعك ولا يرانا إلا الكواكب، فقالت له: ويحك، وأين مكوكبها^(١)!

هذا ما يريده الإسلام.

يريد من المسلمين والمسلمات أن ينشؤوا على خلق العفاف والإحصان.

خطر الجاهلية الحديثة:

أمّا ما تريده الجاهليات الحديثة المستوردة من الغرب والشرق، فإنها تريد أن تنتزع من الفتى والفتاة - من أبناء الإسلام وبناته - هذه الأفكار والمفاهيم، بمفاهيم خبيثة جديدة.

وترى أنّ هذه الأفكار العتيقة القديمة من رواسب عصور التخلف، ومن بقايا الانحطاط، وينبغي أن نتحرّر منها، وأن نحلّ عقدة الكبت عند الفتيان والفتيات، وأن ينظر كلّ منهما إلى الآخر نظرة جديدة.

ينبغي أن نذيب الحواجز بين الجنسين، ينبغي أن يكون هناك اختلاط حرّ بين الفتى والفتاة، بين الشاب والشابة، في المدارس والجامعات، والأندية والأسواق وغيرها، ينبغي أن تزول هذه الحواجز العتيقة التي تمثّل في نظرهم أفكارًا بالية ومفاهيم قديمة عفا عليها الزمن.

ولكن هذه المفاهيم إنّما جاءت من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ، فهؤلاء الذين يريدون أن يذيبوا الحواجز يناقضون ما أمر الله به ورسوله.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٣).

إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يَقِيمَا مَجْتَمَعًا مُؤْمِنًا عَفِيفًا مَصُونًا، يَتَرَبَّى فِيهِ كُلُّ فَرْدٍ عَلَى أَنَّ الزَّنى حَرَامٌ، وَعَلَى أَنَّ الْفَاحِشَةَ حَرَامٌ، وَعَلَى أَنَّ «الْحَيَاءَ شُعْبَةً مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، وَعَلَى أَنَّ «الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٢)، وَعَلَى أَنَّ غَضَّ الْبَصَرِ عِبَادَةٌ، وَأَنَّ حِفْظَ الْفَرْجِ فَرِيضَةٌ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦] [المعارج: ٢٩، ٣٠].

أمرنا الإسلام أن نغضَّ البصر.

أمرنا الإسلام ألا يختلي رجل بامرأة، ولا امرأة برجل إلا ومعهما محرم؛ فإنَّ الشيطان ثالثهما إذا اختليا، قد يغري الرجل المرأة، والمرأة الرجل، ولا يدَّعي أحد أنَّه ملكٌ من الملائكة، الشيطان (أشطر) وأمهر وأخبر.

ولهذا فإنَّ الإسلام يسدُّ الذرائع إلى الفساد سدًّا، فيمنع الخلوة، ويمنع التبرج، ويمنع أن تخرج المرأة بزینتها وطيبها وعطرها في الطرقات والشوارع، تغري الرجال، وتجذب الشَّبَّان.

إنَّ زينة المرأة في بيتها، فإذا أرادت أن تخرج؛ فلا ينبغي أن تتعطر ولا أن تتطيَّب، ولا يجوز لها أن تضرب برجلها ليُعلم ما تخفي من زينتها؛ كما قال القرآن: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

لا يريد الإسلام أن يضع النَّارَ بجوار «البترول»، وإنَّما يريد أن يمنع الفساد من جذوره، من أصله، وأن يسدَّ الأبواب التي تهبُّ منها رياح الفتنة.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٧)، ومسلم في الإيمان (٣٧)، عن عمران بن

راعى الإسلام ضعف البشر، وغرائز البشر: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

هؤلاء الذين يريدون أن نذيب الحواجز بين الفتيان والفتيات، ويدعون إلى برامج مشتركة للاختلاط: حفلات مختلطة، وجوالة مختلطة، وتمثيليات مختلطة، ورقص فلكلوري مختلط، إلى غير ذلك مما يزعمونه من علامات التحرر، ومن أمارات التحضر.

هؤلاء الذين يريدون لنا أن ننقذ ما قيل عن برامج حكماء صهيون، بحيث نستقي مناهجنا من الغرب، وأن نأخذ فلسفاتنا عن مدرسة التحليل النفسي، وعن المدارس الغربية الاجتماعية، وأن نركض وراء أفكار فرويد ودوركايم، وماركس وأمثالهم.

هذه الفتنة الغربية تريد أن تُفسد على هذه الأمة فكرها، وتُفسد عليها اعتقادها، وتُفسد عليها سلوكها، وتُفسد عليها أسرها، وتُفسد عليها مجتمعاتها.

هؤلاء الذين يريدون منا أن ندع ديننا وقرآننا وسنة نبينا محمد ﷺ؛ لنبتع سننهم، ونسير وراء أفكارهم، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.

هؤلاء دخلاء علينا، أجانب منا، غرباء عنا، ليس لهم مكان في مجتمعاتنا.

نحن مجتمعات مسلمة، نعتز بالإسلام، نعتز بالحياة، نعتز بالإحسان والعفاف، نعتز بهذه الفضائل.

ولكن مجتمعات أخرى أصبحت - والعياذ بالله - كالبهائم، يتسافدون في الطرقات!



هل يُراد لنا أن نكون كهؤلاء؟!

هؤلاء هم الَّذِينَ حلُّوا عقد الكبت! كما يقولون، فماذا صنعوا؟
حينما تركوا للفتى وللفتاة حرية الحب، حرية ممارسة الجنس، حرية
العلاقات بين الجنسين، هل حلُّوا المشكلة؟

لا والله، لقد زادت، وأصبح عقلاؤهم ومفكروهم ومصلحوهم
يشكُّون، ويقول بعضهم: إِنَّ المشكلة الجنسية أخطر على الغرب الآن من
القبلة الذرية! لأنَّهم كلَّما ازدادوا شربًا ازدادوا عطشًا، كلَّما ازدادوا حرية
ازدادوا بهيمية.

لم يحلُّوا المشكلة.

لماذا نريد أن نقلد هؤلاء وعندنا ديننا، وعندنا قرآننا، وعندنا سُنَّة
نبينا مُحَمَّد ﷺ؟

إِنَّ الإسلام شرع لنا الطريق الوسط، والمنهج المعتدل، لم يُرد لنا أن
نكون - كما في بعض الأديان - رهبانًا نبتعد عن الزواج، ونعتبر النساء
نجسًا، ونرى المرأة شيطانًا مجسمًا.

لا، النَّبِيُّ ﷺ يقول: «حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم: النساء، والطيب، وجُعِلت
قرة عيني في الصلاة»^(١).

لا رهبانية في الإسلام:

وواجه الَّذِينَ أرادوا الرهبانية، ونزعوا نزع الرهبانية في الغلو والتعبد
والتزهّد والتنشُّك؛ فقال من قال منهم: أمّا أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال

(١) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والنسائي في عشرة النساء (٣٩٣٩)،
وصحّح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، وحسّنه ابن حجر في التلخيص
(١١٦/٣)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٣٢٩١)، عن أنس.

الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا؛ فقال النبي ﷺ: «أما والله، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

لم يعتبر الإسلام الزواج جريمة، ولا التفكير في الجنس المشروع جريمة، إنَّ القرآن يعرض هذا «الأمر الجنسي» في أسمى المقامات الروحية حين يتحدَّث عن الصيام وعن الدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، في هذا المقام الرفيع يحدثنا عن الناحية الجنسية فيقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

في قلب آيات الصيام والدعاء لا يجد حرجًا من الحديث عن العلاقات الجنسية.

وفي نفس السورة يقول الله تعالى معلِّمًا للمؤمنين: ﴿نِسَائُكُمْ حَرَّتُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوُهُ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

﴿فَأَتُوا حَرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾: ما دام ذلك في القُبُل، في موضع الحرث، فلا حرج عليك في أي طريقة تتبعها؛ لتستمتع بامرأتك.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

إلى هذا الحدِّ يتحدث كتاب كريم، كتاب الخلود، كتاب الله، عن هذه العلاقات، ولا يتخرج منها.

والنبي ﷺ يقول: «لو أنَّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهمَّ جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إنَّ قضى بينهما ولد من ذلك، لم يضره الشيطان أبداً»^(١).

حتى في هذه اللحظة، لحظة الغريزة، لحظة دفن الشهوة، لا ينسى المسلم ربّه: أن يذكره ويدعوه؛ ليتغلب على الشيطان، وبذلك ينتقل الأمر من عمل غريزي بحت، إلى عمل عبادي مقصود.

الإسلام لا يرى الناحية الجنسية قذارة ولا رجساً، إنّما تكون قذارة ورجساً حينما يتجاوز بها الحلال إلى الحرام.

أمّا إذا وضعها في الحلال فهي عبادة، وهي صدقة، وفيها مثوبة وأجر. ولهذا حدّث النبي ﷺ الصّحابة عن أنواع من الصدقات، ثمّ قال لهم: «وفي بُضع أحدكم صدقة». في الجماع صدقة. قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟!

قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٢).

يعني: أتحتسبون الشرّ ولا تحتسبون الخير؟!

أي دين هذا الدين العظيم، الذي ينزل إلى واقع النّاس، ويعرّفهم أمورهم بصراحة بلا موارد.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٨)، ومسلم في النّكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الزّكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

الإسلام يربّي النَّاسَ تربيةً جنسيةً منذ الصغر، يتعلّم ذلك المسلم حينما يدرس نواقض الوضوء، أو موجبات الغسل، أو الحيض أو النفاس، أو غير ذلك، فيتعلّم كثيرًا من هذه الأمور.

ولكنّه يتعلّمها في جوٍّ إيجابيٍّ نظيف، بعيد عن ذلك الجو الخبيث الموبوء.

يتعلّم العبارة النظيفة، العبارة المؤدبة المهيبة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦]. قال: اللمس والمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، ولكن الله كريم يكتفي عمّا شاء بما شاء^(١).

أي يعلم النَّاسُ أدب التعبير في هذه الأمور، يريد ألا يخدش الحياء، فيتحدّث عنها بلطف العبارات وأرقّ الكلمات. هذا ما يريده الإسلام.

الإسلام يحلّ هذه المشكلة؛ بل لا توجد مشكلة أصلاً في ظلّ الإسلام.

يوم كان المجتمع مجتمعاً مسلماً فطرياً بسيطاً، لا يعرف هذه الأمور الدخيلة، ولا تلك الأفكار المستوردة، ولا تلك العادات الغربيّة، كانت أموره تتمّ بسهولة ويسر، وكان الزواج يتمّ بسهولة دون تعقيد ولا تكلف ولا إسراف، والرجل يتزوج أكثر من واحدة إذا احتاج إلى ذلك، ولا يصنع ذلك مشكلة، لا مع المرأة الأولى، ولا مع المرأة الثانية، ولكن المفاهيم الدخيلة تريد أن تغيّر هذا المجتمع.

(١) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري ورجّحه. انظر: تفسيره (٣٨٩/٨ - ٣٩٢).



مفاهيم جديدة باسم التطور:

هؤلاء الذين يريدون أن يغيروا التركيب الإسلامي لهذا المجتمع، يريدون أن يدخلوا عليه مفاهيم جديدة، باسم هذا الصنم الجديد الذي يسمى «التطور».

هؤلاء لا يعرفون روح هذا المجتمع، ولا يعرفون روح هذا الدين.

هؤلاء الذين يسمُّون كلَّ تصوُّن وكلَّ تعفُّف عُقْدًا وكبتًا، ويقولون: الذي لا يمارس الجنس مكبوت معقَّد، أمَّا الذي أطلق لشهواته العنان، وسار وراء غرائزه، فهذا إنسان عصري، متحرِّر، إنسان خالٍ من العُقْد!

يوسف عليه السلام حينما رأى الإغراء يومًا ورأى التهديد يومًا آخر، ومن امرأة تملك أن تقول وتفعل، وأن تهتد وتنفَّذ^(١)، يوسف الذي يواجه هذا كله بإيمان القوي وقوة المؤمن، ولجأ إلى ربِّه داعيًا مستعيذًا ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، يوسف الصديق كان مُعَقَّدًا في نظر هؤلاء، كان مكبوتًا، لو استجاب للمرأة لكان متحضَّرًا، لكان متحرَّرًا.

هؤلاء المغزوون بالفكر الغربي وبالثقافة الغربية وبالحضارة الغربية، ليكونوا ما يكونون، ولكن لا يُقبل منهم أبدًا أن يؤثِّروا على مجتمعاتنا، لا يُقبل منهم أبدًا أن ينقلوا هذه الأفكار الخبيثة النجسة إلى مجتمع مسلم يعتزُّ بإسلامه، ويعتزُّ بتقاليده، ويعتزُّ بفضائل العفاف والإحسان، ويرى أنَّ حماية الشرف وحماية العرض من أخلاق الرجال المؤمنين.

(١) حينما قالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

إنَّ الحضارة الغربيَّة لا تعرف شيئاً اسمه العَرَض، أو اسمه الشرف، حتَّى الذين درسوا هذه اللغات قالوا: لا نرى فيها كلمة تعبِّر عما تعبَّر عنه الكلمة العربيَّة «العَرَض» أو «الشرف»، لا يوجد في هذه اللغات ما يماثل هذه الكلمة التي يقول فيها الشاعر:

أصونُ عرضي بمالي لا أدنِّسه لا بارك الله بعد العَرَض في المالِ
أحتالُ للمال إنْ أودى فأكسبه ولست للعَرَض إنْ أودى بمحتالٍ^(١)
إذا ضاع العَرَض فلا يعوِّض، ولكن المال قد يعوِّض.

هؤلاء يأتون إلينا بحضارة غربية دخيلة، بأفكار لا تمت إلينا، ولا تتصل بنا، ولا نعرفها.

هل يريدون أن نكون صورة كصورة ذلك المجتمع؟
هل يقبل أحدٌ منَّا بذلك لبنيه وبناته، هل يقبل أحدٌ منَّا لزوجته أو لأخته أو لأمِّه، أن تكون مثل النساء في أوروبا وأمريكا، والسويد والنرويج، ولندن وغيرها؟

وقد شاهد بعضكم هناك ما شاهد في أثناء رحلاته وجولاته.
هل يريدون أن نكون كتلك المجتمعات، حذو القُذَّة بالقُذَّة، أو النُّعل بالنُّعل؟!

علينا أن نعتزَّ بهويتنا وبانتمائنا لأعظم دين، ولأفضل رسول، ولخير أمَّة، وأن نستقي فلسفة حياتنا، ومنهج سلوكنا من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله، نستقي منهاج حياتنا من المصدر المعصوم الذي لا يضلُّ ولا ينسى.

(١) من شعر حسان بن ثابت. انظر: الدر الفريد (٢/٢٨٥)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

إن كانوا يستقون من «فرويد» أو من «ماركس» أو من غيرهما، فنحن نستقي من هدي مُحَمَّد ﷺ، ومن كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢].

نحن نرفض هذا الاختلاط العصري الشائن، الذي يريد أن يمزق الروابط والأعراض، وأن يذيب الحواجز بين الجنسين، وأن يحل ما حرّم الله، ويُسقط ما فرض الله.

نحن مجتمع مسلم، كلُّ ما نعتزُّ به هو «إسلامنا»، ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر حينما قال: نحن كنّا أدلّ قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغيره أدلّنا الله^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) سبق تخريجه ص ٤٥.

معاكسة الفتیان للفتیات

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْنَا وَكَزَّرْنَا، وَلَا زَلْنَا نَكْرَّرُ وَنَقَرُّرُ:

إِنَّ الشَّبَابَ هُمْ ثَرَوَةُ الْأُمَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، أَعْظَمُ ثَرَوَاتِ الْأُمَّةِ لَيْسَتْ الثَّرَوَاتُ الْمَادِّيَّةُ مِنَ الذَّهَبِ الْأَسْوَدِ، أَوِ الذَّهَبِ الْأَبْيَضِ، أَوِ الذَّهَبِ الْأَصْفَرِ، أَعْظَمُ الثَّرَوَاتِ هِيَ الثَّرَوَةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَأَعْظَمُ هَذِهِ الثَّرَوَةُ هُمْ الشَّبَابُ؛ لِأَنَّ هُمُ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ غَدَ الْأُمَّةِ، هُمُ الَّذِينَ يَجَسِّدُونَ الْمُسْتَقْبَلَ.

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مُسْتَقْبَلَ أُمَّةٍ، فَانْظُرْ إِلَى شَبَابِهَا: أَيْنَ هُمْ؟ وَكَيْفَ هُمْ؟ وَمَا خُلِقَ هُمْ وَسَلُوكُهُمْ؟ وَمَا هِيَ اتِّجَاهَاتُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ؟ وَمَا هِيَ أَهْدَافُهُمْ وَغَايَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ؟

مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْكُمَ لِلْأُمَّةِ أَوْ عَلَيْهَا: هَلْ هِيَ أُمَّةٌ مَكْتُوبٌ لَهَا أَنْ تَرْقَى وَتَتَّعَدَّ؟ أَمْ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا أَنْ تَنْحَدِرَ وَتَهْبِطَ؟

ظَاهِرَةُ مَوْسُفَةِ بَيْنَ الشَّبَابِ:

الْكِتَابُ يُقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِهِ، وَعُنْوَانُ الْأُمَّةِ هُمْ شَبَابُهَا.



ولهذا ساءني والله، أن نرى بعض الظواهر المؤسفة بين شباب أمتنا، في بلادنا نحن العرب والمسلمين، وفي بلاد الخليج خاصّة.

نجد ظواهر تفتت لها القلوب، ويندى لها الجبين، من تلك الظواهر ما لا أزال أتلقي رسائل من أجله، عشرات وعشرات من تلك الرسائل التي تشكو من معاكسة الشّباب للفتيات في خدورهن، وللنساء في قعر بيوتهن، عن طريق الهاتف، هذا الجهاز الذي أنعم الله علينا به.

وللأسف - نحن المسلمين ونحن العرب - لم نخترعه، إنّما اخترعه (الخوارج) لنا، يقرب البعيد، ويسهل الصعب، ويوفر الجهد والوقت، نعمة من الله تعالى.

ولكن أناساً منا بدّلوا نعمة الله كفرًا، لم يشكروا الله على هذه النعمة. وشكر الله على النعمة: أن تستخدمها في طاعة الله، فيما يحب الله ويرضاه. أمّا كفر النعمة فإنّ تستخدمها فيما يغضب الله، فيما ليس من شأنها.

نحن كفرنا بنعمة الله تعالى، فاستخدم كثير من شبابنا هذه النعمة في غير موضعها.

استخدموها في الإساءة إلى ربّات البيوت، إلى الفتيات من بنات الأسر والعائلات، حتّى شكا النساء وشكا الرجال من هذه الظاهرة، التي يأسى لها الحرّ الكريم، ولا تليق بإسلام مسلم؛ بل ولا تليق بإنسانية إنسان.

فتاة في بيتها - في أمان الله - تجد هذا الذي يُزعجها بالمكالمات تلو المكالمات، أحياناً بألفاظ سخيفة وكلمات بذيئة، وأحياناً أخرى بكلمات معسولة مزيفة، يحاول أن يسرق بها قلب الفتاة الساذجة.

هذا ما سمعنا به، وما كثرت منه الشكوى.

ثم زاد الطين بلة، وزاد الداء علة، ما علمته من الإخوة المسؤولين عن برنامج «الشرطة معك» منذ أسابيع، من معاكسات أخرى في الأسواق، والطرق العامة، وأماكن التجمعات.

شباب فارغون عابثون يلاحقون النساء، ويلاحقون الفتيات، بالكلام الجارح وباللفظ البذيء، ممّا يدل على فقدان الحياء، وقد قال النبي ﷺ: «إنّ ممّا أدرك الناس من كلام الثبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١)، أي: من فقد الحياء ولم يستح من الله، ولا من نفسه، ولا من الناس؛ فليفعل ما يشاء، فليس في داخله ما يردعه.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء^(٢)

«الحياء من الإيمان»^(٣)، «والحياء شعبة من الإيمان»^(٤)، و«الحياء لا يأتي إلّا بخير»^(٥)، كما قال النبي ﷺ.

ولكن الذي فقد الحياء يفعل ما يشاء، ويصنع ما يشاء لا خلق عنده ولا ضمير ولا حياء، لا خلق يردعه، ولا عقل يمنعه، ولا خوف يقمعه.

- (١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣)، عن أبي مسعود الأنصاري.
- (٢) نسبهما ابن أبي الدنيا إلى رجل من خزاعة. انظر: الإشراف في منازل الأشراف ص ٣٠٦، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ونسبهما ابن مفلح في الآداب الشرعية إلى حبيب بن أوس (٢٢٧/٢)، نشر عالم الكتب (٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦)، كلاهما في الإيمان.
- (٤) سبق تخريجه ص ٢٦٣.
- (٥) سبق تخريجه ص ٢٦٣.



هذه الظواهر ما كانت لتحدث في مجتمعاتنا - مجتمعات الإسلام والعروبة - قط.

هذا لا يحدث في بلاد الكفر، في بلاد التحلل والإباحية؛ لأنه إذا حدث شيء من هذا يكون عادة باتفاق الطرفين.

أمّا أن يسير فتى وراء فتاة، أو رجل وراء امرأة، يعاكسها رغم أنفها، فهذا ما لا يحدث.

دلالة هذه الظاهرة على ضعف الدين:

علام يدلُّ هذا؟

يدل هذا - أوّل ما يدلُّ - على ضعف الإيمان، وعلى قلة الدين، وأنّ هذه الضمائر فرغت من التقوى.

لو كان مثل هؤلاء النّاس وهؤلاء الشّباب يخافون الله، ويرجون حسابه، ويخشون الدار الآخرة، ما فعلوا ذلك، وما اجتروا على أن يصنعوا ما يصنعون.

ولكن قلوبهم خراب من الإيمان، من تقوى الله تعالى.

دلالتها على ضعف الخلق:

ودلّ هذا ثانيًا على ضعف الخلق، وضعف المروءة والرجولة؛ فإنّ الإنسان الشريف الكريم الأخلاق لا يفعل هذا، ولا يرضى هذا؛ لأنّه يخشى إذا فعل هذا ببنات النّاس أن يفعل ذلك ببناته.

ألا تخشى - أيها الشّاب الذي يقترب هذه السيئات المنكرات - أن يفعل ذلك بحرمتك كما فعلت بحرمت الآخرين؟

ألا تخشى أن يعاقبك القدر الأعلى؛ بأن يسلب شابًا آخر يعاكس
أختك، أو يعاكس أمك، أو يعاكس إحدى محارمك؟
ألا تحب للناس ما تحب لنفسك؟
ألا تكره للناس ما تكره لنفسك؟

إنَّ عنترَةَ بن شَدَّاد - الفارس الشاعر، أحد أبطال الجاهلية، على
جاهليته - كان عنده فضائل وأخلاق تحجزه عما لا يليق؛ فكان يقول:
أَغْشَى فَتَاةَ الْحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِهَا^(١) وَإِذَا غَزَا فِي الْجَيْشِ لَا أَغْشَاهَا
وَأَغْضُ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارْتِي حَتَّى يُوَارِيَ جَارْتِي مَأْوَاهَا^(٢)
يَغْضُ طَرْفَهُ، لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ حَارِسًا عَلَى امْرَأَةِ جَارِهِ،
وَعَلَى بِنْتِ جَارِهِ.

إنَّهَا الْأَخْلَاقُ، وَالْأُمَمُ تُبْنَى بِالْأَخْلَاقِ، فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا.
إِذَا أَصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا^(٣)

دلائلها على فراغ النفس من المثل العليا:

ويدلُّ هذا على فراغ النفس من المثل العليا، فمثل هؤلاء لو كان
عندهم طموحات، لو كانوا يعيشون لآمال كبيرة، لأهداف عظيمة، لرسالة
يؤدونها في الحياة، ما فكروا في ذلك، ولكن هؤلاء فرغوا من التعلُّق
بالآمال العظيمة.

(١) أي: أزور الفتاة ابنة الحي في حضرة زوجها؛ رعاية لجوارها وقرابتها.

(٢) ديوان عنترَةَ ص ٣٠٨، نشر المكتب الإسلامي.

(٣) من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي، كما في أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٨٣)،
نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

لو فكّروا في مثل ما كان يفكر فيه شباب الصّحابة وشباب السلف الصالح: أسامة بن زيد الذي قاد الجيش - وفيه بعض كبار الصّحابة - وهو ابن الثامنة عشرة، ومحمّد بن القاسم الثقفي، الذي قاد الجيوش لفتح الهند وهو ابن السابعة عشرة، وقال فيه الشاعر:

إِنَّ السَّامِحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادِ الْجِيُوشِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حِجَّةٍ يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُوْدَدًا مِنْ مَوْلَدٍ^(١)

قاد الجيوش إلى بلاد لم يكن يعرفها قبل ذلك، ولكنه خاضها بجيشه، ولم يبال، وهو ابن السابعة عشرة.

ولو فكّروا في مثل ما يفكر فيه أطفال الحجارة، جيل ثورة المساجد، الذين يقاومون رصاص اليهود بالحجارة يقذفونها، يتلقّون الرصاص بصدورهم، وتكسر عظامهم بالبنادق، لو كان عندهم مثل هذه الهمم ما فعلوا مثلما فعلوا.

بل لو كان عندهم مثل ما عند شباب اليهود وبنات اليهود ما فعلوا مثل هذه الأفعال، هؤلاء الذين جاؤوا من هنا وهناك، من الشرق ومن الغرب، ومن الشمال والجنوب، وتركوا الأقطار التي يعيشون فيها؛ ليقموا دولة «إسرائيل»؛ ليقموا على أنقاضنا، على أشلائنا.

وهم لا يكتفون بإسرائيل الصغرى؛ بل ينشدون إسرائيل الكبرى: «ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل»، هكذا زعموا أن الرب أعطاهم.

لو كان عند هؤلاء طموح مثل طموح شباب اليهود وبنات اليهود، ما فعلوا الذي فعلوا، لكن أنفسهم فارغة من كل طموح.

(١) تاريخ دمشق (١٦٤/٦٥).

لو شغلوا أنفسهم بشيء ينفع، بريضة تقوي أجسامهم، بكتاب نافع يقرؤونه، بهواية نافعة، بالعمل في جمعية علمية أو جمعية خيرية، أو جمعية اجتماعية، يفرغون فيها بعض طاقتهم، لو اشتغلوا بهذا ما صنعوا الذي صنعوا، ما ساروا في الطرقات عابثين لاهين، في غمرة ساهون: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

لقد دللنا هذا على أن هناك فراغاً رهيباً لدى هؤلاء الشباب، ليس فراغ وقت فقط، بل فراغ نفس كذلك، وهو أشد خطراً.

هناك فراغ وقت، وفراغ الوقت نعمة لمن يستفيد منه؛ كما قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصّحة والفراغ»^(١)، ولكنهم لا يعرفون قيمة هاتين النعمتين، ولا يؤدّون شكرهما. ولكن أهم من فراغ الوقت: فراغ النفس.

هؤلاء نفوسهم فارغة من القيم الرفيعة، ليس لديها شيء يشغلها، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته نفسه بالباطل. ومن ترك نفسه فارغة، عشت فيها الشيطان!

النفوس لا تترك فارغة، لا بد أن تملأ بشيء، فإذا لم يكن هذا الشيء خيراً كان شراً، وإذا لم يكن هدى كان ضلالاً، وإذا لم يكن حقاً كان باطلاً.

دلّ هذا المسلك المنحرف على ضعف الدين، وضعف الخلق، وفراغ النفس.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢)، عن ابن عباس.



ضعف التربية الأسرية من الصَّغر:

ودلّ ذلك أيضًا على قلة الأدب، وسوء التوجيه، وعلى ضعف التربية عندنا: لو كان وراء هذا الفتى أب يشعر بمسؤوليته عنه، يراعه ويُحسن توجيهه، أب ربّاه وعَلَّمه منذ نعومة أظفاره على التدبُّن، والتمسُّك بقيم الدين، وغرس فيه حبَّ الخير، وكراهية الشرِّ، وزرع فيه الرغبة في الفضيلة والتُّفُّور من الرذيلة، وعَلَّمه أنَّ هذا يجوز وهذا لا يجوز، هذا حلال وهذا حرام، وعَلَّمه أنَّ يصلي منذ سبع سنين، وضربه أو هدَّده بالضرب على ترك الصَّلَاة بعد عشر سنين.

لو كان هناك أسرة ترعاه، وتهتمُّ به وتبأديه وتربيته، ما حدث مثل هذا. هذا حصاد غرس سيئ، هذه نتيجة لمقدِّمات، المقدِّمات لا بدَّ أن تأتي بنتائجها، من يزرع الشرَّ لا يحصد إلَّا الشرَّ، وكما قال العرب: إنك لا تجني من الشَّوك العنب!

ضعف التربية في الصَّغر، وضعف الرقابة في الكبر، هو السبب في هذه الانحرافات، التي تبدأ صغيرة ثمَّ تكبر، محدودة ثمَّ تنتشر.

هذه مسؤولية الأسرة: «كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته»^(١).

للأسف ليس هناك اهتمام، هناك ضعف في الرقابة الأسرية، الولد يسهر إلى ما بعد منتصف الليل، أين يسهر؟ لا يعرف الأب شيئًا!

مَنْ أصدقاؤه؟ لا يعرف عنهم شيئًا!

(١) سبق تخريجه ص ١٥٦.

وكثيراً ما تكون المصيبة من أصدقاء السوء، الذين هم شياطين الإنس، وقد يكونون شرّاً من شياطين الجن، يزيّنون له الغواية، ويزيّنون له الباطل والشرّ والفساد، وصديق السوء - أو جليس السوء - مثله كمثّل نافخ الكير، إن لم يحرقك بناره أصابك دخانه.

الأسرة في غفلة لا تراقب أولادها، ولا تراقب بناتها.

المفروض أن يوضع الهاتف في مكان في البيت يراه الجميع، حيث لا يختبئ أحد ويستخدمه حيث لا يعلم الآخرون.

لا بدّ من يقظة، لا بدّ من رقابة، هذه مسؤولية.

ليست مهمّة الأب والأم أن ينجبا أولاداً (أبناء وبنات)، ثمّ يتركا حبلهم على غاربهم، ولا يدرى عنهم شيئاً.

لا، إنّ الله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْاً أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

كما أنك مسؤول أن تغذّي أولادك وتوفّر لهم الطعام والشراب واللباس، وفّر لهم الأدب وحسن التربية، كما جاء في الحديث: «ما نحّل والدٌ ولده أفضل من أدب حسن»^(١)، أفضل نَحْلَة، وأفضل عطية، وأفضل هدية وهبة تهديها إلى ولدك: الأدب الحسن، يجلب لك الذكرى الحسنة في الدُّنيا وفي الآخرة.

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٧١٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في البر والصلة (١٩٥٢)، وقال: حديث غريب... وهذا عندي حديث مرسل. والحاكم في الأدب (٢٦٣/٤)، وصحّح إسناده، وتعقبه الذهبي: بل مرسل ضعيف. عن جد أيوب بن موسى.

أَمَّا سُوءُ الْأَدَبِ فَلَا يَجْلِبُ عَلَيْكَ إِلَّا اللَّعْنَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
سَيَقُولُونَ: لَعَنَهُ اللَّهُ، وَلَعَنَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَلَمْ يُحَسِّنْ تَرْبِيَتَهُ.
وَلَدُ السُّوءِ يَجْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ لَعْنَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ضعف التربية المدرسية:

وليس ضعف التربية الأسرية هو المسؤول وحده، فهناك لا شك خلل وقصور في التربية المدرسية.

المدرسة لم تعد تقوم بدورها المنشود في حسن توجيه الأولاد إلى الخير، وتنشئتهم على الفضائل، وكأنما أصبحت مجرد مكان يلتقي فيه الأولاد؛ لنحشي رؤوسهم ببعض المعلومات؛ ليفرغوها عند الامتحانات على الأوراق، دون أن يكون لما تعلموه أثر يذكر في تثقيف عقولهم، أو تهذيب نفوسهم، أو ترقية سلوكهم.

لقد فقدوا في أكثر الأحيان «المعلم القدوة» الذي يربي التلاميذ بحاله أكثر مما يربيهم بمقاله، ويؤثر فيهم بسلوكه وحبّه وعواطفه وحسن تعامله معهم، وأبوته لهم وغيرته عليهم، أكثر مما يؤدّبهم بالقليل والقال.

ضعف الرقابة الاجتماعية:

وبجوار ضعف الرقابة الأسرية، هناك ضعف الرقابة الاجتماعية؛ فالرأي العام في الإسلام مسؤول.

الإسلام جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل المجتمع مسؤولاً بعضه عن بعض: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

بجوار الضمير الفردي لا بدّ من ضمير اجتماعي يقظ، يعرف المعروف ويُنكر المنكر، فإذا وجد منكر شاع بين النَّاس؛ لا بدّ أن يتدخل الرأي العام.

أمّا أن يقول كلُّ إنسان: ما شأني؟!

ويرى أمامه الفساد ويغضُّ طرفه عنه، ويسكت عليه، والساكت عن الحقّ كالنّاطق في الباطل، إنّه شيطان أخرس.

كيف تدع المنكر أمامك ولا تتكلم؟!

هؤلاء الذين يفعلون ما يفعلون في الطرق، لماذا لا ينكر عليهم الناس؟ لماذا لا يكون النَّاس أشدّاء عليهم في الحقّ؟

لو وَجد هؤلاء أنّ هناك من يغضب للحرّمات إذا انتهكت، وأنّ النَّاس لا يسكتون على ذلك، ما اجتراً أحدهم أن يفعل ما يفعل.

ولكن النَّاس سلبيون، كلُّ يقول: نفسي نفسي!

لا، لا يجوز هذا في مجتمع مسلم يتواصى بالحقّ، ويتواصى بالصبر.

المجتمع المسلم مسؤول عمّا يجري فيه، هناك مسؤولية فردية ولا شكّ، ولكن بجوارها توجد مسؤولية اجتماعية: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] حينما تنزل النّعمة تأخذ الجميع: الذين فعلوا المنكر، والذين سكتوا عليه.

لا بدّ أن تقوى الرقابة الاجتماعية.



مسؤولية الفتيات في زيّهن وحركاتهن:

هناك أمر لا بدّ أن نشير إليه هنا:

هو أنّ كثيرًا من النساء والفتيات اللاتي يظهرن في الطرقات والمجامع والأسواق، يكن على مظهر يغري بالمعاكسة.

المرأة المحتشمة، والفتاة الملتزمة، التي تلتزم أدب الإسلام في زيّها ولباسها، في مشيتها وحركاتها، في كلامها إذا تكلمت، في نظرتها إذا نظرت، في مشيتها إذا مشت، في حركتها إذا تحرّكت، هذه لا يمكن أن يطمع فيها طامع، ولذلك يقول القرآن: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

الخضوع بالقول هو التكسّر والتمنيع، وتعمّد الإغراء للرجل بطريقة الكلام. ومثله الخضوع بالفعل: أن تمشي متشينة متكسّرة.

ومثله الإغراء باللباس والزي: أن تلبس الملابس الرقيقة الشفافة، أو الملابس المحدّدة لمفاتن الجسم، وأنّ تتعمّد إظهار شيء ممّا يجب ستره من جسمها.

كلّ هذا إغراء لأولئك المفسدين، وقد قال القرآن: ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

إنّها حركة بالأرجل؛ للفت الأنظار، وجذب الانتباه، وهذا لا يجوز من مسلمة تخاف الله.

إنّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

إذا احتشمت المرأة ولبست لباسها الشرعي، عرفت بأنها امرأة وقور، أو فتاة ملتزمة، فلا يؤذيها أحد.

إنَّ كثيرًا من الفتيات يجرّئن الذين في قلوبهم مرض - مرض الشهوة، ومرض الغريزة الجنسية - على أن يسيرا خلفهن، ويطاردوهن بالكلمات وبالحرركات.

مسؤولية الإعلام:

وهناك مسؤولية أجهزة الإعلام، التي تدغدغ العواطف، وتثير الغرائز، بهذا السيل المتدفّق من الأفلام والمسلسلات، والصور والأغاني، وغير ذلك من المثيرات، والشهوة الجنسية غريزة عاتية، حتّى إنّ بعض علماء النفس فسّر بها السلوك البشري كلّهُ، واعتبرها أعتى غريزة في الإنسان، فهي ليست في حاجة إلى إثارة.

فكيف إذا كانت هناك المثيرات بالصورة والكلمة، وبالنغم وبالموسيقى، وبالتشويق، وبالقصص وبالدراما والمسلسلات؟! هذا كلّهُ يشحن هؤلاء الشّباب، ويعبّئهم ويلهيهم، ولا بدّ أن يظهر ذلك في سلوكٍ ما.

تعاون المؤسسات كلّها:

الكلُّ إذن مسؤول، ولا بدّ أن يتعاون الجميع على مقاومة هذه الظواهر السلبية: الأسرة، والمجتمع، والدولة، وأجهزة الإعلام، وأجهزة رعاية الشّباب، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، كلّ هذه يجب أن تتعاون لهذه الرعاية.



لا يجوز أن يبني بعضها، ويهدم البعض الآخر؛ لأنّه لن نصل في هذه الحالة إلى نتيجة، وكان الأمر كما قال الشاعر:

متى يبلغ البنيانُ يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم^(١)؟!

وخصوصًا أنّ الهدم أسهل من البناء.

الشاعر قديمًا قال:

فلو ألف بانٍ خلفهم هادمٌ كفى فكيف ببانٍ خلفه ألفٌ هادم^(٢)؟!

هذّام واحد يكفي أن يهدم ما بناه ألف شخص، وخصوصًا في عصرنا؛ لأنّ الهدم لم يعد بالفأس، إنّما هو بالألغام، لغم واحد يهدم عمارة ضخمة وينسفها نسفًا في لحظات.

وهذا كما يقال في الماديات يقال في المعنويات، أجهزة جبّارة تستطيع أن تهدم وتنسف.

لهذا ينبغي أن يتعاون الجميع على صدّ هذه التيارات الدخيلة على مجتمعاتنا، التي لا تتناسب مع أخلاقنا، ولا مع ديننا، ولا مع موارثنا، ولا مع تقاليدنا.

ويجب أن يعاقب كلّ من يثبت عليه العبث والانحراف؛ فإنّ من أمن العقوبة أساء الأدب.

ضرورة الرقابة والعقاب:

ينبغي أن تكون هناك شرطة في الأسواق، وفي بعض الأماكن؛

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣).

(٢) من شعر عبد الله بن الرية المالقي. انظر: مطالع الأنوار ونزهة الأبصار (٢٢٩/١)، تحقيق عبد الله المرابط، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

لتمسك بتلابيب من صنع مثل هذا الصنيع، ثم يأخذ جزاءه، أيًا كان وضعه في المجتمع.

إن كان طالبًا في المدرسة فصلته وزارة التربية والتعليم، وإن كان طالبًا في الجامعة فصلته الجامعة، وألقي في الطريق؛ لأنّ مثله لا يصلح أن يكون جامعياً، إذا كان في وظيفة أُخرج من وظيفته وعُزل عنها.

لا بدّ من العقاب؛ العقوبة شرعها الله تعالى، سُنّة الله في الدُّنيا والآخرة أن يُثاب المحسن، وأن يُعاقب المسيء، فلا بدّ من العقاب، وإلا فإن من أمن العقاب أساء الأدب.

يا أيُّها الإخوة، إنّنا ورثة خير المجتمعات: مجتمع رسول الله ﷺ، ومجتمع الصّحابة، ومجتمع التابعين، وخير القرون.

الأمة التي فتحت العالم بالعدل والإحسان، والعلم والإيمان، والفضائل والأخلاق، هذه الأمة لا يجوز أن ندع العابثين يعبثون بها، ويضيّعوا مقدّراتها. وإنّما ينبغي أن نحرص عليها بالتربية، بالرعاية، بحُسن التوجيه، بالعقوبة عند اللزوم.

حينما نفعل ذلك نصون أبنائنا وبناتنا، نصون شبابنا، ونصون مجتمعاتنا، ونصون هذه الثروة الحقيقيّة.

وإلا بدّنا ثروتنا، وحُكم علينا بما يُحكّم على السُّفهاء، الذين يبدّدون الثروات.

نسأل الله تعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأنّ يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا إنّهُ سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

منذ أسبوعين حدثت بعض التصرفات السخيفة من بعض الصبية الذين يحضرون المسجد، ولا أدري كيف يتركهم آبائهم يرتكبون مثل هذا؟

لقد شكّا إليّ عدد من الإخوة ما يحدث في المسجد من الصبيان الذين يحضرون، وكأنّما يحضرون للعبث واللعب، وبعضهم ليس صغيراً، ليس في سنّ الخامسة، ولا في سنّ السادسة، ولا في سنّ السابعة، بل بعضهم أكبر من ذلك.

منذ أسبوعين فعل هؤلاء الصبية أفعالاً تسيء إلى هذا المسجد، وتسيء إلى هذا البلد، وتسيء إلينا جميعاً، ذهبوا إلى الكاميرا أثناء الصلاة، وبدؤوا يفعلون أشياء غريبة جدّاً: يُخرجون ألسنتهم، ويُظهرون حركات حمقاء!

وظلّوا يفعلون ذلك إلى ما بعد أن انتهت الركعة الأولى، وظهر هذا في التلفزيون وفي أماكن شتّى، وهذا أمر لا يليق قط.

هؤلاء لا بدّ أنّ لهم آباء هنا، وصورهم موجودة ومسجلة، ويمكن معرفتهم.

وهؤلاء ليسوا أطفالاً، بعضهم عمره اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة سنة!

كيف يحدث هذا؟!

هذا دليل - كما قلت لكم - على أنَّ الرقابة الأسرية ضعيفة، وأنَّ التربية ضعيفة، فلا بدَّ من عناية بأولادنا.

هؤلاء قطعاً إذا كانوا يفعلون ذلك في المسجد، بعد أن يكبروا سيفعلون في الشوارع ما يفعل الآخرون الذين تحدَّثنا عنهم في الخطبة الأولى، فمعظم النَّار من مُستصغَر الشرر، والألف تجر إلى الباء، والصغير يدفع إلى الكبير.

لا يجوز استحقار مثل هذه الأعمال، لا بدَّ أن نقف لها بالمرصاد، ولا بدَّ أن نؤدِّب أولادنا، ونُلزِمهم بمكارم الأخلاق وفضائل الصفات، فمن شبَّ على شيء شاب عليه.

إنَّها مسؤولية أيها الإخوة، فلنرع الله، ولنراقب الله في هذه المسؤولية، وإلا فإننا محاسبون ومسؤولون في الدُّنيا والآخرة.

اللهمَّ أصلِّح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلِّح لنا دنيانا الَّتِي فيها معاشنا، وأصلِّح لنا آخرتنا الَّتِي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللهمَّ أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهمَّ طَهِّر أقوالنا من اللغو، وطَهِّر أعمالنا من العبث، وطَهِّر أنفسنا من الضعف، وطَهِّر قلوبنا من الغشِّ، وطَهِّر ألسنتنا من الكذب، وطَهِّر أعيننا من الخيانة، وطَهِّر أعمالنا من الرياء.

اللهمَّ لا تكلِّنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقلَّ من ذلك.

اللهم احفظ شبابنا بالإسلام، واحفظ شبابنا للإسلام، وقهم الفتن: ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اجعل شبابنا هذا شباباً خيراً طيباً مباركاً فيه.
اللهم اعصمهم من فتن هذا الزمان.

اللهم أعنا على حسن توجيههم وتربيتهم.

الله اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



وصايا للشباب المسلم المغترب

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نحن الآن في مؤتمر الشباب^(١)، مع الشباب المسلم، والشباب مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرُّوم: ٥٤].

الشباب مرحلة القوة، مرحلة الحيوية الدافقة، ولهذا كانت المسؤولية عن هذه المرحلة أكبر، وكان كلُّ إنسان يُسأل يوم القيامة أسئلة أربعة رئيسية، يُسأل منها سؤالاين عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصّة: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»^(٢).

(١) عُقد هذا المؤتمر في إحدى الملتقيات السنوية، لرابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا.

(٢) سبق تخريجه ص ٢١٣.

الشباب هم حملة الدعوات الربانية:

ومن هنا كان الشباب حملة الدعوات دائمة، وحملة راية الرسالات.

كان أتباع موسى ذرية من قومه نابذة ناشئة: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣].

كان أصحاب الكهف - الذين خلد الله ذكرهم في أعظم كتبه - فتية: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

كان إبراهيم عليه السلام حينما عزم على أن يحطم الأصنام بفأسه فتى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وقال ابن عباس معقبا على هذه الآية: ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب^(١).

كان إسماعيل فتى غلاما حينما سلم رقبتة لله، حين عرض عليه أبوه أن يذبحه امتثالا لأمر الله: ﴿كَالِ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

كان يوسف فتى شابا حين تعرّض للمحن من كل نوع، وأشدّها خطرا: تلك الفتنة التي كانت تصابحه وتماسيه، وتراوحه وتغاديه، فتنة الشهوة، فتنة المرأة التي عرضت نفسها عليه، ولم تكتفِ بالتلميح عن التصريح، وهيأت الأسباب: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وهددته المرأة أمام نسوة المدينة: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوْدَتْهُ عَن نَّفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْعَلَنَّهُ ۚ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٤.

وكان يوسف عليه السلام بين محنتين: محنة في دنياه، ومحنة في دينه.
 محنة في دنياه: أن يُسجن، ويكون من الصاغرين، كما هددت المرأة
 التي تملك أن تنفذ، وأن تؤثر في السلطات.
 ومحنة في دينه: أن يزني، ويكون من الفاسقين.

وآثر الشاب المؤمن يوسف بن يعقوب عليه السلام محنة الدنيا على محنة
 الدين، كما علمنا الرسول أن نقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا»^(١)،
 آثر أن يُسجن، وناجى ربه قائلاً: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا
 تَصَرَّفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

كان أصحاب رسول الله ﷺ شباباً، أكبرهم كان أبا بكر الصديق، وكان
 في الثامنة والثلاثين حينما دخل الإسلام، وكان فيهم من دون العاشرة
 مثل: علي بن أبي طالب.

كانوا شباباً، هم الذين نصرُوا الإسلام، وناصرُوا رسول الله ﷺ،
 ووقفوا بجواره، ضد أولئك الشيوخ الذين أبوا أن يسيروا على
 ما سار عليه آباؤهم وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ
 مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

الشباب المسلم في أمريكا:

ولا عجب إذن أن نجد الذين يحملون رسالة الإسلام اليوم جلهم من
 الشباب.

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم
 والليلة (١٠٢٣٤)، وحسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٦)، عن ابن عمر.



ولا عجب أن نجتمع اليوم مع الشَّباب في هذا البلد، أن نعيش في يومٍ من أيام الله، في يومٍ من أيام الإسلام، أن نعيش مع الشَّباب المسلم، وأين؟
في قلب أمريكا!

أن نعيش مع هذه الأصوات المرتفعة بالتكبير، مع هذه الألسنة الرطبة بذكر الله، مع هذه القلوب العامرة بحبِّ الله وبخشية الله، أن تقام الصلوات، أن يُتلى كتاب الله تعالى في قلب هذه البلاد.
من هيَّأ ذلك؟

إنَّه الشَّباب المؤمن، إنَّه الشَّباب الَّذي حمل الدعوة الإسلامية منذ نصف قرن من الزَّمان.

كانت الخطط مهيأة على أن يُصهر هذا الشَّباب صهراً في بوتقة الكفر، وأن يُغَرَّب تماماً عن دينه وعن قومه، وأن يُبعد عن الإسلام: يُغَرَّب فكره، ويُغَرَّب سلوكه، ويُغَرَّب اعتقاده، وتُغَرَّب عاداته، ويعيش في أمته باسم شرقي أو عربي أو إسلامي، ولكن بعقل غير عقل المسلم، وبقلب غير قلب المسلم.

هكذا أرادوا.

ولكن الله ﷻ هيَّأ لدينه وهيَّأ لرسالته وهيَّأ لدعوته شباباً يحملون هذه الدعوة، وأصابهم ما أصابهم في بلاد شتَّى، وفي محن متلاحقة، اختلطت فيها السياط باللحوم والدماء، وصنعت الكراييج ما صنعت في الظهور، وكُويت الأبدان بالنَّار، ومع هذا ظلَّ هذا الشَّباب مؤمناً.

وجاء رصيد آخر وأجيال أخرى، تحمل رسالة الإسلام، لم يُخفها ما نزل بإخوان لها من قبل، لم تُرهبها الشياطين ولا الحديد ولا النار، وقام المجاهدون في كل مكان من الشباب، ومنهم هذا الشباب الذي يعمل لدينه، في بلاد غير البلاد التي نشأ فيها الإسلام، وقام فيها الإسلام.

وكان من فضل الله ونعمته أن وجدنا الشباب المسلم في ديار الغرب - وفي ديار الشرق - أيضاً؛ فقد وجدت هذا الشباب في الشرق الأقصى كما وجدتهم في الغرب الأقصى.

وجدت هؤلاء الربانيين الصوامين القوامين، صوام الخميس والاثنين، قراء القرآن، قوام الليل والمستغفرين بالأسحار.

رأيت هؤلاء الربانيين المصرين على أن يعيشوا بالإسلام، وعلى أن يعيشوا للإسلام، أو يموتوا في سبيله.

إنه الإسلام، إنه خلود هذا الدين، إنها معجزة مُحَمَّد ﷺ، المعجزة الخالدة الباقية: أن يظل لهذا الدين من يحرسه، ومن يحمله فكرة واضحة في الرؤوس، وعقيدة راسخة في القلوب، وخلقا فاضلا في الناس وعملا صالحا في الحياة، ورسالة تنادي الدنيا كلها: أن اخرجي من الظلمات إلى النور، وراء مُحَمَّد ﷺ.

مسؤوليات المسلم المغترب:

يا أيها الشباب: عليكم في هذه الديار عدة مسؤوليات:

١ - المحافظة على الشخصية المسلمة:

أول مسؤولية وأول واجب عليكم: أن تظلوا محافظين على شخصيتكم المسلمة.



حافظ أيها المسلم المغترب على شخصيتك الإسلامية، إياك أن تنماع أو تذوب في هذا المجتمع؛ فتفقد نفسك وتخسر ذاتك.

وما قيمة أن تكسب درجة علمية، وتخسر الدرجات العلى عند الله تعالى؟!!

ما قيمة أن تكسب شهادة وتخسر الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله؟!!

ما قيمة أن تجمع الدنيا وتخسر دينك، كما فعل بعض الناس هنا في هذه البلاد وفي غيرها: جمعوا أموالاً، وخسروا أنفسهم والعياذ بالله؟!!

ما قيمة هذا كله؟

لا قيمة لهذا إذا لم تحتفظ بشخصيتك الإسلامية: مصلية، مزيّة، صائماً، ممتنعاً عن المحرمات، غيوراً على حدود الله، حريصاً على دينك حيثما كنت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

إن الله يُعبد في كل مكان «اتق الله حيثما كنت»^(١).

هذه وصية رسول الله ﷺ لك أيها المسلم حيثما كنت: في الشرق أو في الغرب، كنت في أمريكا أو في أوروبا، كنت في اليابان أو في روسيا، كنت في إفريقيا أو أستراليا.

في أي مكان اتق الله، عِش بإسلامك، احتفظ بإسلامك.

هذه هي المسؤولية الأولى، هذا هو واجبك أيها المسلم، تعيش بالإسلام معتزاً به شامخاً بأنفك، رافعاً رأسك بأن الله أكرمك بالإسلام.

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

إِيَّاكَ أَنْ تَتَوَارَى لَأَنَّكَ مُسْلِمٌ.

لا، إِنَّكَ وَحْدَكَ الَّذِي تَحْمِلُ رِسَالَةَ الْخُلُودِ، وَتَحْمِلُ هِدَايَةَ الْوُجُودِ.
إِنَّكَ وَحْدَكَ الَّذِي تَمْلِكُ الْوَثِيقَةَ السَّمَاوِيَّةَ الْفُذَّةَ، الْوَحِيدَةَ الَّتِي لَمْ
يَعْتَرِهَا تَحْرِيفٌ أَوْ تَبْدِيلٌ، تَمْلِكُ «الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ».

إِنَّكَ وَحْدَكَ الَّذِي تَمْلِكُ الْمَنْهَجَ الْمَتَوَازِنَ، الَّذِي لَا يُسَعِدُ الدُّنْيَا غَيْرَهُ،
تَمْلِكُ الْإِسْلَامَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُوفِّقُ بَيْنَ الْعَقْلِ
وَالْقَلْبِ، وَيَمْزِجُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْمَادَّةِ، وَيَرْبِطُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ،
وَيُوَاطِحُ بَيْنَ الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَيُوزِنُ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ.

إِنَّهُ الْمَنْهَجُ الْوَسْطُ لِلْأُمَّةِ الْوَسْطِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢ - المحافظة على الذرية والأسرة:

وليس المطلوب أن تحتفظ بشخصيتك المسلمة لنفسك فقط؛ بل
لأهلك إن كنت متزوجاً، حافظ على إسلام زوجتك، وحافظ على
شخصية أولادك، وعلى إسلام أولادك إن كنت صاحب أولاد.

إِيَّاكَ أَنْ تَدَعَ أَوْلَادَكَ يَذُوبُونَ فِي الْمَجْتَمَعِ كَمَا يَذُوبُ الْجَلِيدُ تَحْتَ
أَشْعَةِ الشَّمْسِ؛ يَقُولُ رَبُّنَا تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

ولقد قلت لبعض الناس الذين قالوا: نحن هنا لا نستطيع أن نعيش
بالإسلام، ولا أن نربي أولادنا على الإسلام، قلت: إذن فعودوا من حيث
جئتم، ابدؤوا رحلة العودة من الغد، أو من اليوم، ولا تبقوا في مكان
لا تستطيعون أن تقوا أنفسكم وأهليكم فيه من النار.

عليكم أن تحتفظوا بشخصيتكم الإسلامية معتزّين بها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣]، أي: قالها مغاليًا مفاخرًا معتزًا أنّه من المسلمين.

إنّه لا يفتخر بأنّه عربي أو عجمي، وإنما يفتخر بهذه النسبة: إنّّه من المسلمين.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم^(١)
 ٣ - الدعوة إلى الإسلام:

ثمّ عليك أيها الأخ المسلم، أيها الشاب المسلم المغترب، أن تدعو إلى الإسلام في هذه الديار، أن تعيش داعية لهذا الدين.

لا تظن أنّ الدعوة إلى الإسلام مقصورة على المشايخ أو العلماء أو أهل الفكر أو المحاضرين.

لا، كلّ مسلم داعية لدينه، كلّ مسلم مخاطب بقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

كلّ من اتّبع رسول الله ﷺ هو من أهل الدعوة؛ فالله تعالى يخاطب رسوله بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فإذا كنت من أتباع مُحَمَّد ﷺ فلا بدّ أن تدعو إلى الله، وتدعو إليه على بصيرة.

(١) قول نهار بن توسعة الشكري، انظر: الكامل في الأدب (١٣٣/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.



وكلُّ يدعو على قدر طاقته: هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإلقاء محاضرة، وهناك من يدعو بخطبة، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، ومن يدعو بالأسوة الحسنة، ومن يدعو بزيارة لصاحبه.

كلُّ مسلم يدعو كيف استطاع، المهم أن يحمل روح الداعية، أن يعرف أنه مسؤول عن تبليغ رسالة الإسلام تأسيًا برسوله الكريم ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

عازر علينا أيها المسلمون: أن يوجد لكلِّ فلسفة من الفلسفات، ولكلِّ دين من الأديان، ولكلِّ مذهب من المذاهب، دُعاة وأنصار وأتباع وحُماة، يحاولون أن ينشروه وأن يتبنّوه، وأن تعلق كلمته، ولا يجد الإسلام من بين أبنائه من يحميه وينصره ويبلغه للناس، لا، لا يجوز هذا يا مسلمون. قرأت فيما قرأت: أن رجلاً درس الإسلام وقرأه؛ فقال هذه الكلمة: يا له من دين لو كان له رجال^(١)!

انظروا: مع أن للإسلام أمة تنتسب إليه، وتُحسب عليه، تُقدَّر بأكثر من المليار من البشر «ألف مليون»، ولكن أكثر هؤلاء لا يُعدُّون رجالاً للإسلام. **يثقلون الأرض من كثرتهم ثم لا يغنون في أمر جلل^(٢)!**
كثرة كما سمّاها النبي ﷺ: «كغشاء السيل»^(٣).

(١) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة (٨٥٢)، من مقولة إبراهيم بن أدهم، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر جمعية التربية الإسلامية، البحرين، ١٤١٩هـ.

(٢) البيت لمحمد فريد أبو حديد ترجمه عن هرقلية جورج البيسيدي، انظر تعريبه لكتاب فتح العرب لمصر لألفرد ج. بتلر هامش ٣ ص ١٥٩، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.



نحن لا نريد هذه الكثرة الغثائية، وإنَّما نريد المؤمنين الَّذِينَ نذروا
أنفسهم للإسلام، وللدعوة إليه.

إنَّ الشاعر قديمًا نظر إلى الملايين من حوله، مِن سواد النَّاس، وَمِن
الجماهير الغافلة، فقال:

ما أَكْثَرَ النَّاسَ لا بَلْ ما أَقَلُّهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدًا!
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ، وَلَكِنْ لا أَرَى أَحَدًا^(١)!

شخص، أجسام بلا أحلام، أشباح بلا أرواح، خُشْب مُسَنِّدَة!

ترى الفتيان كالنَّخل، وما يدريك ما الدَّخْل!

هؤلاء ليسوا هم الَّذِينَ ينصرون للإسلام.

إنَّنا نريد للإسلام رجالًا من أمثال الصَّحابة، نريد صحابة جُددًا،
يحملون يقين الصَّحابة، وروح الصَّحابة، وعزائم الصَّحابة، وفضائل
الصَّحابة.

وَمَنْ الصَّحابة؟

إنَّهم أناس مثلنا.

فرق ما بيننا وبينهم أَنَّهُمْ نشؤوا في شِرْكٍ وجاهلية صريحة، ونحن
نشأنا في مجتمعات إسلامية.

فعلينا إذن أن نحذو حذوهم، وأن نكون مثلهم، وأن ننصر الإسلام
من جديد، ولعلَّنا يكون لنا من الأجر أكثر ممَّا لكثير من الصَّحابة، وإن
لم نسعد برؤية رسول الله ﷺ كما سَعَدُوا بِهَا، ولعلَّ هذا يجعل لنا مزية.

(١) من شعر دعبل بن علي الخزاعي. انظر: العقد الفريد (١٥٢/٢).

وقد جاء أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرج يوماً على جماعة من أصحابه فقال: «أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟». قالوا: الملائكة.

قال: «وما لهم لا يؤمنون، وهم عند ربهم؟!». قالوا: فالنبيون.

قال: «وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟!». «!

ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا إِنَّ أعجب الخلق إليَّ إيماناً لقوم يكونون من بعدكم، يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها»^(١).

وفي حديث آخر: يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك. قال: «نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني»^(٢).

إِنَّ المسلم الذي يقبض على دينه كما يقبض على الجمر في هذا الزمان - الذي يُضطهد فيه الإسلام حتى في دياره ويعيش غريباً حتى في أوطانه - ويستمسك به، ويغالي به، ويعالنه به قائلاً: إِنني من المسلمين، إِنَّ لهذا المؤمن من الأجر أكثر ممَّا كان لبعض الصَّحابة رضوان الله عليهم.

(١) رواه الحسن بن عرفة في جزئه (١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٨/٦)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ٣٢. وقال ابن كثير في تفسيره (١٦٧/١): قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث.

قلت (ابن كثير): ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده (١٦٠)، وابن مردويه في تفسيره، والحاكم في مستدركه (٨٥/٤)، من حديث محمد بن أبي حميد، وفيه ضعف، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي ﷺ، بمثله أو نحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعاً. رواه البزار (٧٢٩٤)، وقال: غريب من حديث أنس.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٧٦)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٨٨. وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢١٣٦)، والطبراني (٢٣/٤)، عن أبي جمعة حبيب بن سباع.

إِنَّ عَلَيْكَ - أيها الشاب المسلم - أن تحتفظ بشخصيتك، وشخصية أسرتك، ولا يكفي هذا، بل لا بد أن تحمل الدعوة.

شعار المسلم: «أصلح نفسك وادع غيرك»، لا يكفي المسلم أن يعمل صالحًا ويترك الدعوة إلى الله، إنه لن يكون من الناجين من خسران الدنيا والآخرة إلا بشروط أربعة ذكرتها سورة «العصر»: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر معناه: أن تجد نفسك للحق، توصي به، وتسمع الوصية من غيرك به، وتصبر على طريق الحق وما فيه من مشاق، وما فيه من نفس طويل.

هذه هي شروط النجاة من خسر الدنيا وخسر الآخرة.

لا بد أن تكون داعية للإسلام، لا يجوز يا أخي أن ترى لليهودية دعائها ورجالها، الذين استطاعوا أن يقيموا لها دولة في قلب ديارنا، وشوكة في جنوبنا، ولا يجوز يا أخي أن ترى للنصرانية دعائها ومبشرينها؛ بل ومبشراتنا، يذهبون من هذه البلاد ومن أوروبا، إلى أدغال آسيا وإفريقيا، ولا يجوز أن ترى للشيعوية من يستعذب العذاب ويدخل السجن من أجل هذا الكفر والباطل، ولا يوجد للإسلام من يعمل له ومن يدعو إليه؛ لأن كل مسلم يريد أن يعيش لنفسه، يريد أن يحصل على «البكالوريوس»، وبعد البكالوريوس يحصل على «الماجستير»، وبعد الماجستير يحصل على «الدكتوراه»، وبعد الدكتوراه يحصل على وظيفة كبيرة، وبعد، وبعد، ثم ماذا؟

ما قيمة هذا إذا كانت نهايتك إلى النار والعياذ بالله؟

ما قيمة هذا إذا ضاع دينك؟

أنا لا أريد أن أتوقف - أيها الشاب - عن تحصيل العلم؛ فإنَّ تحصيل كلِّ علم نافع عبادة وجهاد.

لكنِّي أقول لك يا أيُّها الشابُّ المسلم: عليك أن تحمل الإسلام، عليك أن تحمل هذا الدين، هذه الرسالة، وأن تدعو لها، وأن تعيش لها، وأن تسعد بحملها، وتشعر بأنك من قادة الخير، وحملة المشاعل الربّانية، وأن تجد لهذا لذة لا تدانيها لذة، وسعادة لا تدانيها سعادة، سعادة قال عنها قديمًا بعض السلف: إننا نعيش في سعادة، لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف^(١)! إنَّها سعادة الإيمان، سعادة القلوب، سعادة الأرواح بما عند الله تعالى.

٤ - الاهتمام بأمر المسلمين:

ثم عليك يا أخي - وأنت تعيش في هذه البلاد - ألا تكون في عزلة عن إخوانك المسلمين في كلِّ بلاد الإسلام، عليك أن تصل ما بينك وبينهم، أن تعيش في همّهم، أن تعيش في قضاياهم، فـ «من لا يهتمُّ بأمر المسلمين فليس منهم»^(٢).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأين أخوة الإسلام، وأين رابطة الإيمان إذا عاش كلُّ منا لنفسه؟

لقد أراد الاستعمار الصليبي والشيوعي أن يمزقوا الأمة الإسلامية

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٠/٧)، من قول إبراهيم بن أدهم.

(٢) سبق تخريجه ص ٨٦.

تمزيقًا، وأن يقطّعوها إربًا إربًا، فلا يحسّ بعضها ببعض، ولا يآلم بعضها لبعض، وأن يثيروا النّعرات القومية والوطنية بحيث يقول كلُّ واحد: وطني وطني، أو: قوميتي قوميتي، مصر للمصريين، وسوريا للسوريين، هناك من ينادي بالقومية العربية، ومن ينادي بالقومية الطورانية، ومن ينادي بالقومية الهندية إلخ.

لا، قومية المسلم هي الإسلام، الإسلام هو الجامع بين المسلمين. المسلمون أمّة، لم يسمّهم الله «أممًا»، فلا يجوز أن تقول: «أمم إسلامية»، هي شعوب إسلامية، ولكن أمّة إسلامية.

أمّتنا أمّة واحدة، قبلتها واحدة، كتابها واحد، ربّها واحد، نبياها واحد، عقيدتها واحدة، شريعته واحدة، فلا يجوز أن تتمزق هذه الأمّة أبدًا «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»^(١).

وهكذا يجب أن نعيش مع إخواننا في كلّ مكان، لا نغفل عنهم، ولا ننساهم؛ لأنّنا أمّة واحدة.

هكذا عاش المسلمون في العصور الأولى، وهكذا يجب أن نعيش، لا نرضخ ولا نذعن لهذه التيارات الداخلية، ولهذه الأفكار المستوردة التي تريد أن تفرّقنا شيعًا، وأنّ تمزّقنا قطعًا؛ لكي يسهل التهامنا بعد. يا أيّها الإخوة، علينا أن نعرف هذا كلّهُ.

٥ - العمل الجماعي للإسلام:

وعلىنا بعد ذلك أن نعلم أنّنا لا نستطيع أن نحفظ بشخصيتنا

(١) سبق تخريجه ص ١١٩.

وشخصية أسرتنا، ولا أن نقوم بحقّ دعوتنا، ولا أن نقوم بحقّ إخواننا، إذا عاش كلٌّ منّا فردًا برأسه، مستقلًا بنفسه، يعمل وحده.

لا، لا تستطيع أن تعمل وحدك، ولا تستطيع أن تحتفظ بإسلامك وحدك، سيبتلعك التيار، سيقذف بك هذا التيار في هذا اليمّ الكبير، ستذوب وتضيع!

ولكن تستطيع أن تحتفظ بدينك ودين أسرتك وأولادك، وتقوم بحقّ دعوتك، وبحقّ إخوانك، إذا وضعت يدك في يد إخوانك: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته.

الجماعة قوة على الطاعة، وعصمة من المعصية، وقدرة في مواجهة العدو، وقدرة في حلول المشكلات.

أنت وحدك ضعيف، ولكن مع إخوانك قوي، والشيطان ذئب الإنسان، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

فإياك أن تكون شاة شاردة، أن تكون بعيدًا عن القطيع، عن الجماعة، فتؤكل وتلتهم.

كن مع الجماعة، حاول أن تكون مع إخوانك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّضُونَ﴾ [الصف: ٤].

ولو لم تأت النصوص تأمرنا بالاتحاد والتلاحم والتراص، وأن يكون «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»^(١)، لأوجبت

(١) سبق تخريجه ص ١١٨.

المصلحة وأوجبت الضرورة أن نعيش جماعة، وألا يعيش أحدنا وحده؛ لأنه لا يستطيع؛ ولأن أعداءه لا يعملون فرادى، وإنما يعملون جماعات وتكتلات.

فإذا تكتل المبطلون على باطلهم، وتفرق أهل الحق عن حقهم، فإن الفتنة ستكون كبيرة.

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حين يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

أي: إلا يوالي بعضكم بعضاً كما يفعل أهل الكفر، وإلا يساند بعضكم بعضاً، وإلا يتكتل بعضكم مع بعض، تكون فتنة في الأرض وفساد كبير؛ لأنه سيكون هناك وحدة في جانب الكفر، وتفرق في جانب الإسلام.

سيكون هناك إيجابية من ناحية الكفر، وسلبية من ناحية الإسلام، عمل في ناحية الباطل، وفراغ في ناحية الحق، وهنا الفتنة والفساد الكبير. فتكتلوا كتلة مؤمنة.

إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ وَنَحْنُ نَصْلِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: ٥، ٦].

بل حتى لو صليت وحدك تقول هذا وتطلب الهداية لإخوانك ولأمتك؛ فالجماعة تحيا في ضميرك دائماً، وتمثل على لسانك دائماً، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

هذه أيها الإخوة وصاياي لكم في هذه الغربة.

علينا أن نحفظ بإسلامنا، بشخصيتنا الإسلامية قوية صلبة، لا تذوب ولا تنماع.

علينا أن نحمل الدعوة إلى الإسلام في هذا المجتمع: لأنفسنا، ولإخواننا الذين يعيشون هنا من المسلمين أيًا كانت جنسياتهم، وللمجتمع الأمريكي نفسه، فهذا المجتمع أحوج ما يكون إلى الإسلام.

لا تظنّوا أنّ هؤلاء الذين وصلوا إلى القمر في غنى عن الإسلام. إنّهم استطاعوا أن يضعوا أقدامهم على سطح القمر، وأنّ يأتوا منه بأتربة وصخور، ولكنّهم لم يستطيعوا أن يسعدوا أنفسهم على ظهر الأرض، إنّهم يشكّون الفراغ، يشكّون القلق، يشكّون تفاهة الحياة.

إنّ هذه الظواهر التي ترونها: «الخنafs»، «الهيبيز» إلخ إنّها تمثّل ثورة على الحضارة الصناعية، وعلى مادية الحياة وآليتها، ولذلك خرجوا إلى حياة أشبه بالحياة البدوية؛ لأنّ هذه الحياة المتحضرة لم تشبع نهمهم الروحي، لم تملأ فراغهم العقائدي، لم تؤمّنهم من خوف، لم يعرفوا بها مبدأهم ولا مصيرهم، لم يفهموا بها معنى لحياتهم، ظلّت الأسئلة الخالدة تُلحّ على أفكارهم: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

هذه الأسئلة التي تُلحّ على كلّ إنسان: من أين جئتُ وجاء العالم من حولي؟ وإلى أين أذهب بعد الموت؟ وما هي رسالتي بين الحياة والموت؟ ولماذا أعيش؟ ما قيمة الحياة؟

حضارتهم لم تستطع أن تجيب عن هذه الأسئلة الملحّة، ومسيحيّتهم المحرّفة لم تستطع، ولن تستطيع الشيوعية المادّيّة أن تردّ عليها.



إِنَّ الدين الوحيد الذي يستطيع أن يردَّ على أسئلة هؤلاء النَّاس هو: الإسلام، إِنَّه دين التوازن، إِنَّه المنهج الربَّاني الإنساني الأخلاقي العالمي. وعليكم أنتم أن تقدّموا هذا الإسلام للنَّاس.

عليكم أن تحتفظوا بأنفسكم.

وأن تدعوا غيركم.

وأن تعيشوا بهموم إخوانكم في المشرق، ولا تتخلّوا عنهم، ولا تنقطعوا عن قضاياهم.

وعليكم بعد ذلك كلّه أن تتعاونوا وأن تتجمّعوا، وألا يعيش أحدكم وحده، فيضيع في وسط هذا المجتمع.

بذلك ترضون الله تعالى.

بذلك تكسبون الدُّنيا والآخرة معاً.

بذلك تكونون مسلمين حقاً ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوا الله يستجب لكم.





موعظة الموت

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

واعظان: ناطق، وصامت.

ترك فينا رسول الله ﷺ واعظين بليغين: واعظًا ناطقًا، وواعظًا صامتًا.

واعظان دائمًا لا يكفان عن الموعظة.

فالنَّاسُ فِي حَاجَةٍ إِلَى عِظَةٍ بَلِيغَةٍ؛ فَالْقُلُوبُ تَقْسُو، وَالْعُقُولُ تَغْفُلُ، وَالْדُّنْيَا تَغْرُو، وَالنَّفْسُ تَأْمُرُ بِالسَّوْءِ، وَالشَّيْطَانُ يُضِلُّ النَّاسَ، لَا بَدَّ مِنْ وَاعِظٍ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ تَرَكَ لَنَا هَذَيْنِ الْوَاعِظَيْنِ الدَّائِمِينَ الْبَلِيغِينَ: الْأَوَّلُ: وَاعِظُ نَاطِقٌ هُوَ «الْقُرْآنُ».

وَالْآخَرُ: وَاعِظُ صَامِتٌ هُوَ «الْمَوْتُ».

الْقُرْآنُ يَصَاحِبُنَا وَيُمَاسِينَا بِآيَاتِ اللَّهِ، تَذَكَّرُ النَّاسِي، وَتَنْبَهُ الْغَافِلُ، وَتَزِيدُ الْمُؤْمِنَ إِيمَانًا ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].



الموت واعظ صامت:

والموت كذلك يصابحنا ويماسينا، ويراوحننا ويغاديننا، وهو واعظ بليغ. ولكن النَّاسُ للأسف صُمُّ لا يسمعون، النَّاسُ مشغولون بديناهم، يلهثون وراءها، ويتهاوشون عليها، ويتقاتلون على أعراضها، ناسين هذا الَّذي يهددهم في كلِّ يوم، بل في كلِّ ساعة، بل في كلِّ دقيقة، بل في كلِّ لحظة، ناسين هذا الواعظ و«كفى بالموت واعظًا»^(١) جاء ذلك موقوفًا ومرفوعًا إلى النَّبي ﷺ.

أرأيتم أبلغ من هذا الواعظ: أن يكون الإنسان بين يديك صورة حيَّة، جسدًا حيًّا، وجها مُشرقًا، لسانًا ناطقًا، إرادة ترغب في الدُّنيا وتدبر لها، فإذا بهذا الوجه المضيء قد ذُبُل، وإذا بهذا الجسد الحي قد مات، وإذا بهذا اللسان الفصيح قد خرس، وإذا بالإنسان الَّذي كان ملء السمع والبصر قد أصبح في لحد من اللحد.

الحقيقة الغائبة الحاضرة هي الموت:

هذه هي الحقيقة الغائبة الحاضرة، حاضرة يشهد بها النَّاسُ في كلِّ يوم، وغائبة لأنَّ النَّاسَ لا يريدون أن يذكروها.

لو تذكَّر كلُّ امرئ من ودَّع من أحبَّ وأقرباء وأصدقاء وزملاء وجيران، لذكر الكثير الكثير.

هات ورقة وقلماً واكتب من مات ممَّن تعرف، لن تكفيك ورقة ولا ورقتان، ولا دفتر ولا دفتران، ستجد سجلاً حافلاً من الأهل

(١) رواه الإمام في الزهد ص ١٤٥، وصحَّح إسناده الألباني في الضعيفة (٥٠٢)، عن عمار بن ياسر موقوفًا.

والأقرباء، ومن الأحباء والأصدقاء، ومن البعداء والغرباء، ستجد الكثير الكثير.

الموت أقرب من لمح البصر:

هل تظن أن الموت بعيد عنك؟

لا، والله، الموت أقرب ما يكون إلى الإنسان.

كلُّ امرئٍ مصبَحٌ في أهلهِ والموتُ أدنى من شِراكِ نعلهِ^(١)

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [التَّحَلُّ: ٧٧].

وإذا كانت هذه هي الساعة العامة، فلكلِّ إنسان ساعته، ومن مات فقد قامت قيامته.

أمر الموت كلمح البصر، أو هو أقرب من لمح البصر، إنَّ هو إلَّا خيط دقيق يفصل بين الحياة والموت، فإذا بهذا المنح يتوقَّف، وإذا بهذا القلب - هذه المضخَّة التي تضخُّ الدم للجسم - قد توقف، وإذا هذا النَّفس الذي دَخَلَ لا يستطيع أن يخرج، وإذا بهذا الجسم قد أصبح جُثَّة هامدة.

حكم المنيَّة في البرية جاري ما هذه الدُّنيا بدار قرار
بيننا يُرى الإنسان فيها مخبرًا حتى يُرى خبرًا من الأخبار^(٢)

بعد أن كان يخبر ويقول: حدث كذا وكذا، أو سيحدث كذا وكذا، إذا

(١) رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا أخذته الحمى ينشد هذا البيت.

(٢) شعر أبي الحسن التهامي في رثاء ابنه. انظر: الحماسة المغربية (٨٦٧/٢)، تحقيق محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

هو نفسه أصبح خبراً من الأخبار، يُذاع في الإذاعة، أو يُنشر في الصحف، أو يتناقله الناس: مات فلان.

ما أيسرها من كلمة تلوّكها الألسن، وما أعظمها من حقيقة وراء هذه الكلمة: «فلان مات»!

أي انتهى كل شيء، لم يعد أمامه فرصة ليراجع رصيده، أو يتوب من سيئاته، أو يزيد من حسابه عند الله.

انتهت الفرصة بالموت، ضاعت الفرص التي كانت للإنسان في حياته، قد ضيعها بالغفلة.

حينما يأتي الموت يتمنى الناس: لو أمهلوا شهراً من زمن، أو أسبوعاً من شهر، أو يوماً من أسبوع، أو ساعة من يوم، أو دقيقة من ساعة، لعله في هذه الدقيقة يقول: تبت إلى الله، لعله يسبح أو يهلل أو يكبر، أو يوصي بوصية لم يوصها في حياته وصحته، وهيئات هيئات! ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ ءَمُولَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ - ١١]، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

الساعة هنا ليست الساعة الفلكية «ستين دقيقة».

لا، الساعة هنا هي الساعة اللغوية: لحظة من الزمن، كل لحظة من الزمن تسمى ساعة في اللغة.

فالأجل معلوم لا يستقدم عنه ولا يستأخر لحظة واحدة، والعمر محدود: أيام معدودة، وأنفاس محدودة؛ بل لحظات معدودة، وأنفاس محدودة.

اذكروا هاذم اللذات:

النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنِ الْمَوْتِ، وَلِهَذَا أَوْصَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ: الْمَوْتِ»^(١).

هو الَّذِي يَقْطَعُ اللَّذَاتِ، وَيَنْغُصُ عَلَى الْإِنْسَانِ اسْتِمْتَاعَهُ بِهَا؛ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ، إِذَا ذَكَرَ أَنَّ هَذَا الَّذِي هُوَ فِيهِ لَنْ يَدُومَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ دَامَ لَمَنْ قَبْلَهُ لِدَامَ لَهُ. سَأَلَ أَحَدَ الْخُلَفَاءِ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ لَهُ: عَظُمِي. قَالَ: أَعْلَمُ أَنَّكَ لَسْتَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ يَمُوتُ، لَوْ لَمْ يَمُتْ مِنْ قَبْلِكَ مَا وَصَلَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْكَ.

قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيِّتٌ، وَإِنْ أَمْرًا لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيِّتٌ لَمَعْرَقٍ فِي الْمَوْتِ، أَيُّ: أَصِيلٌ فِي الْمَوْتِ^(٢). أَخَذَ هَذَا أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفُ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٍ^(٣)

(١) رواه أحمد (٧٩٢٥)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٠٧)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الجنائز (١٨٢٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٨)، عن أبي هريرة.
(٢) الخليفة هو عمر بن عبد العزيز، والواعظ هو يزيد الرقاشي. انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحَكَم ص ٩٤، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٦، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
(٣) ديوان أبي نواس صنعة برواية الصولي ص ٧١٤، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديشي، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط ١، ٢٠١٠م.



ميت، ابن ميت، ابن ميت، ذو نسب في الميتين عريق!
 فهل تخلد أنت بعد هؤلاء، بعد هذا السَّجل الحافل من الموتى؟
 لا، والله لن تخلد.

روى سهل بن سعد، أَنَّ جبريل جاء إلى النَّبي ﷺ فقال: «يا مُحَمَّد،
 عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ ميت، واعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مجزي به، وأحب من
 شِئْتَ فَإِنَّكَ مفارقه»^(١).

عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ ميت، عِشْ أربعين أو خمسين، أو ستين أو
 سبعين، أو مائة سنة، أو هب أنك عمّرت ما عمّر نوح (ألف سنة أو
 تزيد) ما النهاية؟ النّهاية هي: الموت.

حكوا أَنَّ نوحًا ﷺ بعثه الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا
 خمسين، ثُمَّ أخذهم الطوفان، وعاش ما شاء الله له أن يعيش بعد
 الطوفان، فلما جاء ملك الموت يقبض روحه سأله: يا أطول الأنبياء
 عمراً، كيف وجدت الدنيا؟

قال: وجدتها كدارٍ لها بابان: دخلت من أحدهما، وخرجت من
 الآخر^(٢).

وإذا كان آخر العمر موتاً فسواء قصيره والطويل^(٣)

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم في الرقائق (٣٢٤/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي.
 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٤٤): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. وحسنه
 الألباني في صحيح الجامع (٧٣).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧٥/٦٢)، من قول سفيان بن عيينة.

(٣) القائل: الشاعر العراقي بهاء الدين الرواس.

عند الاحتضار يتضاءل هذا العمر أمامك، وتجد هذا الشريط الطويل،
وكأنه لا شيء: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ [النّازعات: ٤٦]،
﴿كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

لا بدّ من الموت، مهما استمتعت بالحياة؛ فإنك مفارقها.

وإذا كان هذا شأن الدنيا، فما أهونها وما أتفها؟

ما دام الإنسان معرّضاً في كلّ يوم وكلّ ساعة: لنعمة زائلة، أو لمصيبة
نازلة، أو لمنية قاتلة، فما قيمة هذه الدنيا؟!

جُبِلْتُ عَلَى كَدٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَكْدَارِ
وَمَكَّلَفَ الْأَيَّامَ ضِدَّ طَبَاعِهَا مَتَطَلَبَ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ^(١)

هذه هي الدنيا:

هذه هي الدنيا، وتلك طبيعتها!

بنى أحد الملوك داراً؛ فجملها وزينها وزخرفها، وفرشها بفاخر
الأثاث، ووضع فيها من الزينات والتحف والنّفائس ما لا يخطر ببال،
فقال لأحد جلسائه - وكان من الصالحين - : هل ترى من عيب في هذه
الدار؛ فأحاول أن أصلحه؟

قال: نعم، أرى فيها عيباً، ولكن لا يمكنك إصلاحه.

قال: كيف، وعندي المال؟

(١) من شعر: أبي الحسن التهامي، يرثي ولده. انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب (٣٥/١)، نشر دار
ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

قال: عيب هذه الدار أن لك منها خرجة لا عودة بعدها إليها، أو دخلة لا خروج لك منها^(١)!

وهكذا كل دار مهما زينتها وزخرفتها؛ فإن لك خرجة لا دخول بعدها، أو دخلة لا خروج منها.

جاء رجل إلى أحد الصالحين؛ وقد اشترى دارًا فاخرة، وأراد أن يسجل له العقد، فأراد الرجل العالم الصالح أن يلقنه درسًا فكتب في العقد: أمّا بعد، فهذا ما اشترى ميت من ميت: دارًا في بلد الغافلين وسكة المذنبين، لها أربعة حدود: الحد الأول ينتهي إلى الموت، والثاني إلى القبر، والثالث إلى الحساب، والرابع إما إلى الجنة وإما إلى النار!

ثم أنشد وهو يبكي:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت	أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت يبنها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مسيطرة	حتى سقاها بكأس الموت ساقها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها	ودورنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن في الآفاق قد بنيت	أمت خرابًا وأفنى الموت أهلها
لكل نفس وإن كانت على وجل	من المنية آمال تقويها
فالمرء يبسطها، والدهر يقبضها	والنفس تنشرها، والموت يطويها ^(٢) !

(١) ديوان التهامي ص ٣٠٨، يرثي ولده، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٩٨٢م.

(٢) يُنسب إلى سابق البربري. انظر: محاضرات الأدباء (٤٠٤/٢)، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧/٢٠).

هذه هي الدنيا.

وقف سليمان بن عبد الملك - أحد خلفاء بني أمية - أمام المرأة، فأعجبته نفسه، ونظر في شبابه وجماله وقال: أنا الملك الفتى.

وكانت له جارية صالحة شاعرة، فقال لها: ما تقولين فيّ؟

قالت له منشدة:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان!
ليس فيما رأيته فيك عيبٌ كان في الناس غير أنك فان^(١)!
ما دمت فانيًا فهذا عيبك، هذا هو العيب الذي لا يصلح!

كل نفس ذائقة الموت:

الموت نهاية كل حيٍّ، حوض مورود لكل الناس: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧]، قرّر ذلك القرآن في آيات ثلاث.
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: كل نفس: الأنبياء والصدّيقون، والشهداء والصالحون، يذوقون الموت.

الرسل المصطفون الأخيار قبل رسول الله ﷺ ذاقوا الموت.

مُحَمَّد رسول الله، وخيرة الله تعالى من خلقه، ذاق الموت.

حينما مات ذُهل الصّحابة رضوان الله عليهم، وأنكر منهم من أنكر، وانعقد منهم لسان من انعقد، وقال عمر: من قال ذلك ضربت عنقه، ولكن الله ثبتّ رجلين وألهمهما الحق:

(١) البيان والتبيين (٩٩/٣).

١ - العَبَّاسُ عُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، الَّذِي قَرَأَ عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ ﴿ [الزُّمَر: ٣٠، ٣١] ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] .

٢ - أبو بكر رضي الله عنه الذي خطب خطبته البليغة: «أيها الناس، من كان يعبد محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت»، ثُمَّ تلا الآية الكريمة من سورة «آل عمران»: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ^(١) .

الرسل والأنبياء والصالحون قد ماتوا، والملوك والأباطرة، والأكاسرة، والقيصرة، والخلفاء، والعُظماء، والأغنياء، قد ماتوا، لم يغن عنهم ملكهم ولا جنودهم وجيوشهم، لم تغن عنهم كنوزهم وأموالهم، ولا ما يملكون من قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، وماذا يصنعون بها؟ هل يرشون عزرائيل؟ هل يدخلون بها القبر؟!

الناس يقولون: الكفن ليس له «جيوب»!

أي أنَّ أحداً لا يذهب في كفنه بأموال؛ لأنَّ الأكفان ليس فيها مخبأ أو جيب، أو نحو ذلك توضع فيه الأموال والنُّقود. رأيت أحداً يدخل القبر ومعه صندوق من الذهب، أو دفتر شيكات على مصرف من المصارف؟

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٦٧، ٣٦٦٨)، عن عائشة.

يستوي الأغنياء والفقراء حينما يأتي الموت، ولذلك مات الملوك،
 مات الأكاسرة والقيصرة، كما قال المتنبي:
 أين الأكاسرة الجبابرة الألى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
 من كل من ضاق الفضاء بجيشه وحواه بعد الموت لحد ضيق^(١)
 الذين ضاق الفضاء بجيوشهم حواه بعد الموت لحد ضيق، متر في
 متر، أو متر في مترين، هذا هو مصير الإنسان في النهاية.
 عمّر القصور، وشيّد ما شئت من الدور، فمصيرك إلى هذه الحفرة
 في وادي الموتى.

اذهب إلى ذلك الوادي في «أبي هامور»^(٢)، أو غير أبي هامور - وقد
 شهدنا نحن هنا في الدوحة خلال ثلث قرن عدة مقابر امتلأت وأغلقت -
 اذهب إلى هذه المقابر، هل تعرف قبر أمير من مأمور، أو غني من فقير؟
 الكلّ استوى حينما ضمّته تلك اللحود، وأكله الدود.
 من كل من ضاق الفضاء بجيشه وحواه بعد الموت لحد ضيق
 دخل بعضهم على عبد الملك بن مروان في مرض موته، وسأله:
 كيف تجدك؟

قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]^(٣).

- (١) ديوان المتنبي ص ٢٨، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
- (٢) موضع فيه مقبرة شهيرة في دولة قطر، لا زالت مفتوحة إلى اليوم، والمقابر في بلاد الخليج ليست دائمة، كما في مصر وغيرها؛ لأنّ كل ميت له قبره الخاص، فإذا امتلأت المقبرة بالموتى، أغلقت، وبحث عن مكان آخر يصلح مقبرة.
- (٣) البداية والنهاية (٣٩٤/١٢).

هارون الرشيد، انتقى أكفانه بيده، ثم جلس يقول على فراشه: ﴿مَا
أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

وابنه المأمون، جلس على الرماد وهو يدعو ويقول: يا من لا يزول
ملكه، ارحم من قد زال ملكه!

لا يبقى مُلك أحد، ولا يبقى مال أحد، ولا يبقى نعيم أحد.

الكلُّ زائل، الكلُّ سَتُطوى صفحته، وسيواجه مصيره.

الموت كأسٌ يشربها الجميع، ويذوقها الجميع: أهل الدين وأهل
الدنيا، والأنبياء والصالحون، والملوك والأمراء، والأغنياء وأصحاب
المال والجاه. كلُّ سينال نصيبه من هذه الكأس، لا فرار منها: «عش
ما شئت فإنك ميت»^(١).

كان الحسن البصري يقول للشيخ أهل المشيب: أيها الشيخ، ماذا
وراء الزرع إذا بلغ إلا الحصاد!

وينظر إلى الشَّباب ويقول: أيها الشَّبَّان، أمَّا رأيتم زرعًا أهلكته الآفة
قبل أن يبلغ^(٢)؟!

كم من آفة تدرك الزرع؛ فتأكله وتتلفه قبل أن ينضج؟!

وكذلك نرى في الحياة، اقرأ الصحف وانظر ماذا ترى؟

هذا مات عن عمر يناهز المائة أو الثمانين أو السبعين، وآخر لم يبلغ
الأربعين أو العشرين؛ لأنَّ الموت لا يأتي في سنٍّ محدَّدة، ولا يستأذن
قبل قدومه؛ بل يأتي بغتة وأنت في غفلة عنه.

(١) سبق تخريجه ص ٣١٣.

(٢) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٢٠١، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.

لا نجاة من الموت إذا جاء الأجل:

ما أكثر من يموتون بالسكتة القلبية، أو الذبحة الصدرية، أو بما شئت من ألوان موت الفجاءة، نعوذ بالله من موت الفجاءة.

وما أكثر من يموت في حوادث السيارات أو القطارات أو الطائرات! بل قد تكون ماشياً على رجلك، فيأتي من (يدوسك) بسيارته ويقتلك. بل قرأنا عن القطار الذي انحرف عن مساره؛ فدخل بعض البيوت فقتل أهلها، وهم آمنون في بيوتهم!

ورأينا الطائرات التي تسقط على بعض القرى، فتهدم بيوتاً على أهلها، وتهلك من فيها، وهم لم يركبوا طائرة في حياتهم، ودورهم أبعد ما تكون عن المطارات!

الموت آتٍ لا ريب فيه، مهما حاولت أن تفرّ منه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧، ٧٨].

نزل طاعون ببعض البلاد، ففرّ أحد الشباب خشية أن يصيبه، قال له أبوه: ابقَ معنا يصيبك ما يصيبنا، وقدر الله نافذ. قال: لا، أريد أن أهرب. فذهب وفي سفره أدركته القيولة، فقال تحت شجرة، فجاءت أفعى فلدغته فمات، فلما بلغ الخبر والده قال:

راح يبغي نجوة من هلاكٍ فهلك
والمنايا راصداتٌ للفتى حيث سلك
كلُّ شيءٍ قاتلٌ حين تلقى أجلك^(١)

(١) العقد الفريد (١٤٣/٣).



إذا جاء الأجل ستُقتل بأي شيء، ولو بعثرة تعثرها.

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد^(١)

إذا جاء الأجل فلا نجاة، قد تُعرض على أمهر الأطباء، قد تسافر إلى الخارج، ولكن إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وحرار الأطباء، ونفذ القضاء.

إنَّ الطيبَ له عِلْمٌ يُدِلُّ به ما دامَ في أَجَلِ الإنسانِ تأخيرٌ
حتَّى إذا ما انتهت أيامُ مُهلتهِ حارَ الطيبُ وخانتهُ العقاقيرُ^(٢)

مرض «ابن الرومي» الشاعر المعروف، فذهب إلى أحد الأطباء، فوصف له دواء، فتناول الدواء، فازداد مرضاً، ثم عرف أنَّ الطبيب أخطأ في التشخيص، وأخطأ في وصف الدواء، فقليل له: إنَّ الطبيب قد غلط.

فقال: ولكن القدر قد أصاب، ثم أنشأ يقول:

غلطَ الطيبُ عليَّ غلطةً مُورِدٍ عجزت موارده عن الإصدار
والنَّاسُ يلحونَ الطيبَ، وإنَّما غلطَ الطيبُ إصابةً الأقدار^(٣)

الموت أيُّها النَّاسُ آتٍ لا ريبَ فيه، ولكنَّا وا أسفاه في غفلةٍ عن هذه الحقيقة الخطيرة.

هناك يوم، وهناك ساعة سيقول النَّاسُ فيها عن كلِّ منَّا: مات فلان.

(١) البيت لأبي نصر بن نباتة. انظر: المحاضرات والمحاورات للسيوطي ص ٣٧٩، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي (١/ ١١٨)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر عالم الكتب، بيروت.

(٣) المنتحل للثعالبي (١٠٢/١)، نشر المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٣١٩هـ - ١٩٠١م.

ماذا أعددت لهذا اليوم؟ ماذا أعددت لهذه الساعة أيُّها الإنسان؟

جاء في الحديث: «الكَيْسُ من دانَ نفسه، وعمل لما بعدَ الموت، والعاجزُ من أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأمانى»^(١).

«الكَيْسُ»: العاقل، حسن التصرف.

«من دان نفسه»: من حاسبها وحاكمها، حاسبها قبل أن تحاسب، وحاكمها قبل أن تقف أمام المحكمة الإلهية.

«العاجز»: أي الأحمق، الغبي، البليد.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عن أكيس النَّاسِ وأحزم الناس!

فقال: «أكثرهم ذكرًا للموت، وأكثرهم استعدادًا للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدُّنيا وكرامة الآخرة»^(٢).

فلنستعد أيها الإخوة للموت قبل أن يفجأنا، لنكن أكياسًا، لنكن عقلاء، لنكن من أهل الفطنة والكياسة ولا نغفل؛ حتَّى لا نفاجأ بهذه الحقيقة ونحن لم نتزوّد من الدُّنيا بما ينفعنا من سفرنا.

لقد كان الصّديقون والصّالحون يكون على أنفسهم من قلة الزاد.

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٤٥٩)، وقال: حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٩) مختصرًا، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣)، والطبراني في الصغير (١٠٠٨)، والأوسط (٦٤٨٨)، والكبير (٤١٧/١٢)، وجوّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء ص ١٨٢٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢١٤): رواه ابن ماجه باختصار، رواه الطبراني في الصغير، وإسناده حسن. عن ابن عمر.

علي بن أبي طالب عليه السلام يدخل عليه بعض أصحابه، فيجده يبكي ويقول: إليك عني يا دنيا، غُري غيري، قد طلقك ثلاثاً لا رجعة فيها، عمرك قصير، وعيشك حقير، ومتاعك قليل، آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق ^(١)!

ابن أبي طالب، ابن الإسلام، ورجل الإسلام، وسيف الإسلام، يشتكي من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق! فماذا أعدنا نحن من الزاد ليوم المعاد؟!

تَزَوَّدَ لِلَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بَغِيرَ زَادٍ ^(٢)
وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

اللهم زودنا بالتقوى، واجعلنا من أهل الآخرة، واجعلنا من الأكياس الذين يستعدُّون لما بعد الموت، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مقتل علي بن أبي طالب ص ٨٩، تحقيق إبراهيم صالح، نشر دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) ذكرهما ابن الجوزي في بستان العارفين ص ١٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة:

استذكروا الموت، توبوا إلى ربِّكم قبل أنْ تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أنْ تُشغلوا.

الموت أقرب من كلّ قريب منّا، وإنّما ننساه لغفلتنا، وغرورنا بالدنيا وبالشيطان، وكلّما ودّعنا حبيبًا إلينا أو عزيزًا علينا تذكّرتُ الموت.

الشيخ عبد اللطيف زايد في ذمّة الله:

قد ودّعنا في هذا الأسبوع أخًا عزيزًا علينا، حبيبًا إلينا، عرفناه فأحببناه، وعاشرناه فازدنا له حبًّا، بما جمع الله له من شعب الإيمان، وخصال الرجولة، ومكارم الأخلاق، إنّه الأخ الكريم، والصديق الحميم، العالم العامل المخلص الداعية، نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نزكيه على الله، هو: الشيخ «عبد اللطيف زايد»^(١)، الذي طالما سمعتموه من

(١) هو الصديق العزيز والأخ الحبيب، والزميل الكريم: الشيخ عبد اللطيف محمد زايد أحد علماء الأزهر، الذين قدموا إلى قطر للتدريس في مدارسها، منذ أواخر الخمسينيات في القرن العشرين، وحين قدمت إلى قطر سنة ١٩٦١م مديرًا للمعهد الديني الثانوي، طلبت نقله إلى المعهد ليعمل معي مدرسًا فيه؛ لما عرفته عنه في مصر من صدق وإخلاص، وتفان في أداء الواجب. وبقي معي في المعهد حتى انتقلت منه إلى الجامعة، ثم عمل موجّهًا للعلوم الشرعية بالوزارة مع فضيلة الداعية الكبير الشيخ عبد المعز عبد الستار، ثم عُيّن مديرًا للمعهد الديني وظلّ به سنوات.

وقد كان الشيخ عبد اللطيف من خيرة العلماء الذين يحبُّهم كلّ من عرفهم؛ لصفاء نفسه، وحُسن خلقه، وطيب معشره، وكان من كرام المربين، الذين يؤثرون فيمن حولهم بحالهم أكثر من مقالهم. رحمه الله رحمة واسعة.

فوق هذا المنبر مرّات ومرّات، والذي اختطفه الموت فجأة من بيننا،
ففقدت قطر بفقده عالماً من العلماء الرّبّانيين، وداعية من الدعاة
الصادقين، ومربياً من فضلاء المربّين.

فنسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، ويتقبّله في الصالحين، ويُسكنه
الفردوس مع النّبّيين والصّدّيقين والشّهداء والصالحين، وأن يجزيه عن
الإسلام والمسلمين والعلم خير الجزاء، ويخلفه في ذويه وأهله بخير
ما يخلف به عباده الصالحين، وأن يقبل شهادتنا فيما نعلم عنه، ويغفر له
ما يعلمه ﷻ.

اللهمّ إنا نسألك العفو العافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهمّ إنك
عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمالنا أواخرها، وخير
أيامنا يوم نلقاك.

اللهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.
اللهمّ اجعلنا من الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون،
ويخلصون فيقبلون.

اللهمّ انصر الإسلام وأعزّ المسلمين، اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي
العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ انصر إخواننا المجاهدين في كلّ مكان، اللهمّ انصر إخواننا في
فلسطين، وإخواننا في البوسنة والهرسك، وإخواننا في الفلبين، وإخواننا
في كلّ مكان من أرض الإسلام.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم ردّ عنا كيدهم، وقلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد الإسلام.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





خطبة عيد الفطر^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، والله أكبر
الله أكبر الله أكبر، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

هذه أعيادنا نحن المسلمين، لا يُرفع فيها ذكر غير ذكر الله تعالى، الله
أكبر وحده، هو الَّذِي يُهْتَفُ بِاسْمِهِ، لا يُهْتَفُ بِاسْمِ بَشَرٍ.

التكبير في العيد ومعناه:

أعيادنا نحن المسلمين أعياد ربّانية، تبدأ بالتكبير، وتُزَيَّن بالتكبير،
كما جاء في الأثر: «زَيَّنُوا أعيادكم بالتكبير»^(٢).

وقال تعالى في ختام آية الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) أُلْقِيَتْ بمدينة الدوحة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٣٧٣)، والصغير (٥٩٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب
(١٦٥٨): فيه نكارة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٠٠): فيه عمر بن راشد؛ ضعفه أحمد
وابن معين والنسائي. وقال العجلي: لا بأس به. عن أبي هريرة.

التكبير شعار الإسلام، شعارنا في العيد إذا عيّدنا، في الأذان إذا أذّنّا، في الإقامة إذا أقمنا، في الصّلاة إذا صلّينا، في المعارك إذا غزونا، نوّذن به في أذن المولود إذا وُلد؛ ليكون أوّل ما يطرق سمعه: الله أكبر.

التكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلّا الله والله أكبر، ذلك لينغرس في نفس كلّ مسلم: أن كلّ ما يتهافت النّاس عليه من متاع الحياة الأدنى؛ فالله أكبر منه. إذا حرص النّاس على المال، على القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة، فالله أكبر من المال، والله أكبر من الذهب.

إذا حرص النّاس على الأولاد، فالله أكبر من الأولاد.

إذا حرصوا على المناصب، فالله أكبر من المناصب.

إذا هاب النّاس الكبراء، أو خاف النّاس فلانًا أو علانًا، أو طمع النّاس فيما عند زيد أو عمرو من الخلق، فالله أكبر من كلّ ما يخاف منه النّاس، وأكبر من كلّ ما يطمع فيه النّاس.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلّا الله، والله أكبر والله الحمد.

مزية الأعياد الإسلامية:

أعيادنا نحن المسلمين تبدأ بالتكبير وتبدأ بالصلاة، إذا كانت الأعياد عند بعض النّاس انطلاقًا للشّهوات وعبّا من اللذات، ما حلّ وما حرّم، فالأعياد عندنا فيها فرحة، ولكن ليس فيها اتّباع للشّهوات.

أعيادنا نحن المسلمين جاءت جائزة من الله للأمة، مكافأة لها على فريضة من الفرائض، وشعيرة من الشعائر، قامت بأدائها، فعيد الفطر جاء بعد الصيام، وعيد الأضحى جاء بعد الحج، هكذا تكون الأعياد.



فرحة العيد وبم تكون ولمن تكون؟

جاء عيدنا هذا يتمم الفرحة اليومية للمسلم: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١) وهي أكبر. فرحة عند الفطر، وهذه لها معنيان: عند الفطر اليومي، وعند الفطر في نهاية الشهر.

إنها فرحة المسلم بأن الحرام عليه أصبح حلالاً، ما كان ممنوعاً منه أصبح مآذوناً فيه، حلّ له الطعام والشراب ومباشرة النساء. وفرحة أكبر بأن الله وفقه لأداء الطاعة والامتثال للأمر «يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي»^(٢).

فرحة يومية، تَمَّتْها هذه الفرحة في يوم العيد؛ بانتهاء الشهر كله في طاعة الله.

من حق من أطاع الله ووفق لأداء الواجب أن يفرح: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

الفرحة بفضل الله وبالطاعة، وبرحمة الله وتوفيقه، هي التي تغمر القلوب؛ وذلك أن فرحة العيد إنما تكون للصائمين القائمين وحدهم، أما الذين لم يعرفوا الصيام والقيام، فوجوههم يومئذ عليها غبرة، ترهقها قفرة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.
(٢) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح. عن أبي هريرة. وأصل الحديث في الصحيحين: «الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي». متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

إنَّه ليس عيدهم، إنَّه يوم أسود عليهم، علام يعيِّدون، وبمَ يفرحون؟!
 إنَّه عيد الصائمين القائمين.
 هذه فرحة العيد.

فرحة أخرى ننتظرها، عيد النصر:

ولكن تبقى فرحة ندَّخرها وننتظرها، ونرجوها هناك في العيد الأكبر:
 يوم ينتصر الإسلام، يوم تعلو كلمة الإيمان، يوم ترتفع راية القرآن، يوم
 تقرُّ أعيننا بانتصار المجاهدين في سبيل الله في فلسطين، وفي أفغانستان،
 وفي كلِّ مكان من أرض الإسلام، يوم تقوم دولة الإسلام الكبرى، التي
 تقيم دين الله في الأرض، وتحكم شريعته، وتعلي كلمته، وتوحد أمته،
 وتحرر أرضه من كلِّ طاغوت، هنالك نفرح الفرحة الكبرى.

ننتظر هذه الفرحة، نتمنى ألا نموت حتَّى تقرَّ أعيننا بهذا اليوم.

صار لي سنون والله - أكثر من أربعين سنة - وأنا أخطب في الأعياد،
 وأنتظر هذا اليوم الذي تتحرر فيه هذه الأمة من الطواغيت، ومن
 المستعمرين، من كلِّ لون واسمٍ ونوع، ومن كلِّ ظلم وجبروت، وتقيم
 شرع الله في أرض الله.

ننتظر هذا العيد، ولكن هذا العيد لم يأت بعد، لم يأت العيد
 المنشود الموعود، ولا زلنا في كلِّ عام نتغنى مع أبي الطيب المتنبي:
 عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدُ؟ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ؟
 أَمَّا الْأَحْبَةُ، فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدٌ^(١)!

(١) انظر: ديوان المتنبي بشرح العكبري (٣٩/٢)، تصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الإياري
 وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

ما يكيد به اليهود لنا:

كان المتنبي يبكي على أحبّته، وعلى فراقه لهم، وبُعدّه عنهم، ونحن نبكي ما هو أكبر، نبكي على ضياع أرض الإسلام، نبكي على تحكّم أعداء الله فينا، حتّى اليهود الذين عاشوا في أكنافنا، وفي حضانتنا وتحت حمايتنا، وفي أماننا وذمّتنا قرونًا من الدهر، طردهم العالم من كلّ مكان، ولم يجدوا صدرًا حنونًا، ولا كهفًا يأوون إليه، ولا بلدًا يضمهم في رحابه إلّا دار الإسلام، عاشوا فيها آمنين مطمئنين، حتّى واتتهم الفرصة فقلبوا لنا ظهر المِجَنِّ، وانقلبوا علينا، واحتلّوا أرضنا، وطرّدوا أهلنا.

ولم يكفهم ذلك، ولكنّهم يريدونها ويعلنونها على الملأ «إسرائيل كبرى»، هكذا قال كبيرهم، وهكذا يدبّرون ويخطّطون لملايين تأتي هناك من بلاد السوفيت إلى الأرض المقدّسة، الخروج الكبير، الخروج السامي كما يسمّونه.

إنهم يبيّتون أمرًا، ولا نستبعد شيئًا:

كنا نستبعد أن تقام دولة إسرائيل، وكان يُقال: «إسرائيل المزعومة» سنين وسنين، ثمّ أصبحت حقيقة واقعة، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين!

لا تستبعدوا شيئًا، إنهم يريدون خيرًا!

إن أحدهم قال على الحدود الأردنية لأحد الفلسطينيين، وقد وجد معه تمرًا: من أين هذا؟

قال: من خير، خذ شيئاً منه. وأوشك أن يأخذ بعض تمرات، ثم ردها، وقال: لا والله، حتى نأكلها هناك في خير!

إنهم يريدون خير؛ بل يريدون مواقع بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع حول المدينة المنورة، يريدون قبر رسول الله ﷺ.

إنهم يريدون ذلك، ولا تستبعدوا شيئاً ما دُمنا في غفلتنا، ما دُمنا مشتتين، ما دُمنا ممزقين، ما دامت تحكمنا أهواؤنا، ما دام على كراسي الحكم أناس لا هم لهم إلا أن يبقوا سلاطين.

ما دامت هذه الأمة بعيدة عن ربّها، بعيدة عن دينها، فسيغلبها كلُّ مُغلب. اليهود الذين كانوا أحرص الناس على حياة، أصبحوا يقاتلون وينتصرون علينا، برجالهم ونسائهم!

اليهود الذين عُرفوا بالشحّ والبخل وعبادة المال وعبادة عجل الذهب، يبذلون ويدفعون ويعطون.

أين ما يعطيه العرب والمسلمون؟ أين الأغنياء؟ أين المنفقون؟ أين أموال البترول؟ أين أموال التجارة؟ أين ما ندفع نحن؟ أين أين؟!

نحن ننتظر العيد الأكبر، عيد انتصار الإسلام وتحرُّر أرضه وتحكيم شريعته، ننتظر هذا العيد، فمتى يأتي العيد؟

لا زلنا نقول مع الشاعر:

قالوا: عجبنا ما لشعركُ باكِياً في العيدِ ما هذا بشأن معيّدِ
ما حيلةُ العصفورِ قَصُّوا ريشه ورموه في قفصٍ وقالوا: غرِّدِ^(١)!

(١) انظر: الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.



عيد توحيد الأمة على كلمة الإسلام:

إننا ننتظر العيد الأكبر، العيد الذي تعلق فيه كلمة الإسلام، وتتوحد فيه أمة الإسلام على كلمة الإسلام، ولا يمكن أن يوحد أمة الإسلام إلا كلمة الإسلام.

إذا تركنا الإسلام تمزقت هذه الأمة، وتفرقت شذر مذر، ستختلف ما بين يمين ويسار، وما بين الولاء لغرب والولاء لشرق، ستذهب هنا وهناك، ولكن الذي يجمعها هو منهج الله، منهج القرآن، منهج مُحَمَّد ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إننا أيها الإخوة في حاجة إلى ذلك العيد الأكبر.

لا مبرر لليأس فالغد لنا:

ولا أريد أن تمتلئ القلوب باليأس، لا بد أن نذكر الأمل بجوار القنوط، لا بد أن نذكر أن بشائر الفجر قد ظهرت، ظهرت في هذه الصّحوة الإسلامية المباركة، في هذا الشباب المؤمن الذي عرف ربه، وعرف دينه، واستقام على طريقه، وعمر المساجد في الليل والنهار، وعمر مواسم الحج والعمرة، ونشط لعبادة الله ولقراءة القرآن ودراسة الحديث، ودراسة الكتب الإسلامية.

ظهور الصّحوة من المبشرات:

هذه الصّحوة يجب أن نعترف بها، فقد أصبحت حقيقة واقعة.

هذه الصّحوة برزت آثارها في مواقع شتى:

في المواقع الثقافية والفكرية، في انتشار الكتاب الإسلامي، الذي أصبح الكتاب الأول في سوق التوزيع وفي معارض الكتب.

الصَّحوة الإسلامية تجسّدت في ظهور مصارف إسلامية ومؤسسات مالية إسلامية، بعد أن كانوا يقولون: إنّه لا أمل في اقتصاد بغير ربا، الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربوية عصب البنوك.

أثر الصَّحوة في ميادين الجهاد:

تمثّلت الصَّحوة الإسلامية في الجهاد في سبيل الله، الذي قام في أفغانستان منذ سنوات، حتّى اضطر تلك الدولة العملاقة - القوة العظمى الثانية في العالم - إلى أن تسحب جيوشها الجرارة، ولكنهم تركوا وراءهم - أيضًا - أسلحة وذخائر وأرضًا فيها عشرات الملايين من الألغام، حتّى قال «جورباتشوف»: «إننا قاتلنا عشر سنوات، وستقاتل الأرض بعدنا عشر سنوات أخرى، ولكن الله من ورائهم محيط، وإنّ نصر الله قريب».

أثر الصَّحوة في أرض الإسراء والمعراج:

رأينا هذه الصَّحوة في إخواننا المجاهدين في أرض النُّبُوت، في أرض فلسطين، في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، في أرض المسجد الأقصى وأرض الإسراء والمعراج.

بعد أن يؤسّ الناس من هذه القضية التي احتكرها العلمانيون واليساريون وأمثالهم، ولم يكن للجهاد الإسلامي قول مسموع، ولواء مرفوع، قام هؤلاء الأشبال الصغار الكبار، التلاميذ المعلمون، أشبال الحجارة، قامت ثورة المساجد، الثورة التي انطلقت من بيوت الله،

وكانت راياتها المصاحف، وكانت شعاراتها: «لا إله إلا الله، والله أكبر»، وكان نشيدها الذي تحفظه لأطفالها:

خبر خبر يا يهود جيش مُحَمَّد سوف يعود
ارتفعت هذه الصيحات بعد أن كان اليهود يقولون بملء أفواههم:
مُحَمَّد مات وخلف بنات!

لا، مُحَمَّد ﷺ لم يمت، إنه باقٍ، ودينه باقٍ، وأنجب رجالاً، وسيظل هؤلاء الرجال يجاهدون.

قامت هذه الثورة، وقامت حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، وقام الجهاد الإسلامي في فلسطين، وإنا لنتظر لهم النصر إن شاء الله.

إنهم يبذلون ويضحون رغم الضربات الوحشية التي تُكال له، رغم تكسير العظام، رغم دفن الشباب أحياء، رغم الاعتقالات بالميئات والآلاف، رغم تدمير البيوت.

ولكن هذا لم يفت في عضد هؤلاء المجاهدين الأبطال، إن أحدهم يستقبل الموت ويقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، ويدخل السجن وهو يقول: خلوة في سبيل الله، والأم تسمع خبر استشهاد ابنها؛ فتقول ما قالت الخنساء: الحمد لله الذي شرفني بقتله، وجعله شفيعاً لي يوم القيامة^(١)!

أمل الحكم الإسلامي في السودان:

إن هذه كلها من البشائر التي يجب أن نذكرها.

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٢٩/٤)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل،

بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

يجب أن نذكر هذا الحكم الذي قام هناك في السودان، يرفع راية الشريعة، ويتوجه إلى الإسلام بصدق، ولذلك تأمر عليه المتآمرون، حتى الذين رحّبوا به في أوّل الأمر، حينما ظهر وجهه الإسلامي بدؤوا يكيدون له، وباتوا يتآمرون عليه.

وهو يحاول أن يبنى البلد لبنة لبنة، ويزرع مساحات شاسعة من القمح حتى يستغني الناس، فهذا البلد الذي يمكن أن يكون سلة الغذاء لعالمنا العربي كلّ: كان يستورد الدقيق من الخارج.

بدؤوا يزرعون، وبدؤوا يضبطون الأمور بعد التسيب، وبدؤوا يمنعون الفساد، ويمنعون التحلل والإباحية!

ولذلك تأمر عليهم المتآمرون، وكانت مشكلة الجنوب التي وراءها ما وراءها، من القوى الصليبية المختلفة.

إنّ السودان الآن أمل من الآمال، نسأل الله أن يثبت أقدام أصحابه، وأن يضيء لهم الطريق، وأن يهديهم الصراط المستقيم، وأن يجنبهم المؤامرات والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يُبطل كيد الكائدين.

واجبنا مساندة الصّحوة:

الصّحوة الإسلامية أيّها الإخوة في كلّ مكان، أثارها ملموسة، نراها هنا وهناك، ولكن لا بدّ أن نؤيّدّها، لا بدّ أن نكون من ورائها، لا بدّ أن نبذل كما يبذل الآخرون، وأكثر منهم.

الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

نعم، نألم كما يألمون، ونرجو من الله ما لا يرجون، فلنبذل كما يبذلون، إنهم يبذلون الكثير الكثير، فماذا بذلنا نحن؟

أقام اليهود دولة لهم في قلب ديارنا، والنصارى الصليبيون يحاولون أن ينشروا النصرانية في العالم حتى على أرضنا، وعلى حساب عقيدتنا، ورصدوا ألف مليون دولار لتنصير المسلمين، حتى الشيوعية تبذل، فماذا بذلنا، وماذا أعطينا؟

لا بد أن نعطي الكثير، نحن أصحاب الحق، أيفدي أصحاب الباطل باطلهم بما يملكون، ونحن نتقاعس عن نصره الحق الذي أكرمنا الله تعالى به؟!!

إن هذه الأمة بخير، قد يوجد الفاسدون والمنحلون والمنحرفون، ولكن الخير موجود في هذه الأمة إلى يوم القيامة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»^(١).

الطائفة المنصورة بالحق، الداعية للحق، الهادية بالحق، هذه الطائفة ستظل إلى يوم القيامة.

فلنكن جنداً في هذه الطائفة، وأنصاراً لهذه الطائفة، ولا ينتظر كل منا أن يقوم غيره عنه، الإسلام يحتاج إلى رجال؛ فلنكن رجاله، سنة الله ألا ينصر الحق إلا بأهله: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

(١) سبق تخريجه ص ٢٧.

مؤامرات القوى المعادية:

صحيح أنّ هناك مكائد ومؤامرات، وستظلّ، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وها نحن نرى هذا الكيد، وهذا الحقد الصليبي بين الحين والحين، نراه في المؤامرة على كلّ دعوة إسلامية، وكلّ حركة إسلامية، وكلّ جهاد إسلامي. رأيناه في قضية سلمان رشدي في بريطانيا، في قضية حجاب الفتيات المسلمات في فرنسا.

في قضايا كثيرة، كبيرة وصغيرة، نرى هذا الحقد الصليبي.

لقد وقفوا ضدّ الصّحوة الإسلامية وقالوا: الأصوليون المتشدّدون المتطرفون، فلما وقفنا نحن ضدّ التشدّد والتطرّف ودعونا إلى الاعتدال، أتدرون ماذا يقولون اليوم؟

يقولون في صحفهم وأجهزة إعلامهم: احذروا الإسلام المعتدل! احذروا المسلمين المعتدلين! إنهم يبدؤون معتدلين ثمّ يتطرفون! الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلاً، إياكم أن تصدّقوا هذا! المعتدلون أخطر من المتطرفين! المتطرفون لا يستمرون طويلاً، ولكن الذين يبقون ويستمرون هم هؤلاء الذين يزعمون أنّهم معتدلون!

ماذا يرضي هؤلاء؟

لا التطرف يرضيهم، ولا الاعتدال يرضيهم، إنهم لا يرضيهم إلا أن نترك ديننا، وأن نتبع ملّتهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ولن نتبع ملّتهم، ولن نتخلّى عن ديننا، ولن نبيعه بملء الأرض ذهباً، وبملك المشارق والمغارب.



سنظلُّ ثابتين على هذا الدين، على هذه العروة الوثقى لا انفصام لها،
حتَّى يتمَّ الله نوره ولو كره الكافرون.

نسأل الله تعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يتمَّ علينا نعمه،
فاستغفروا الله إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أيها الإخوة:

ابذلوا من أنفسكم، وأعطوا من أنفسكم لنصرة دينكم، ونصرة إخوانكم المجاهدين في سبيل الله.

أعطوا فإنَّ الله يبارك القليل، ويُربي لأحدكم صدقته، حتَّى تصبح التمرة كأنَّها جبل كما قال النَّبي ﷺ: «ما تصدَّق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت ثمرة تربو في كفِّ الرحمن حتَّى تكون أعظم من الجبل؛ كما يربي أحدكم فلوَّه أو فصيله»^(١)، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

إنَّ الله أرصد ملكين يدعوان كلَّ يوم: «يقول أحدهما: اللهم، أعط منفقًا خلفًا. ويقول الآخر: اللهم، أعط ممسكًا تلفًا»^(٢).

أعطوا للجهاد الإسلامي، سواء كان في فلسطين، أم في أفغانستان.

بعض النَّاس يقول: أي الجهادين أولى؟

كلُّ منهما أولى، كلُّ منهما جهاد في سبيل الله، كلُّ جهاد يرفع الراية الإسلامية فنحن وراءه، لا يمكن أن نتخلى عن جهاد من أجل جهاد، لا يُتصور أن نتخلى عن الأرض المقدسة، عن المسجد الأقصى، عن أرض الإسراء والمعراج.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٣٠)، ومسلم في الزَّكاة (١٠١٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، كلاهما في الزَّكاة، عن أبي هريرة.

ابذلوا، وستقسّم الحصيلة بين الجهادين إن شاء الله: الفلسطيني، والأفغاني، ثبتهما الله.

هناك التبرع المباشر، وهناك الاستقطاع لكل شخص.
ابذلوا والله تعالى معكم.

خبر كاذب عن الشيخ الغزالي:

أيها الإخوة:

أحببت أن أسوق إليكم خبراً كنتُ تكلمت عنه في رمضان: نشرت الصحف عن الداعية الإسلامي الشيخ مُحَمَّد الغزالي أنه قال لإحدى المجلات: إنه لا يوافق على قيام أحزاب إسلامية، وأحزاب على أساس ديني، وإن من أراد أن يدخل السياسة فليدخلها منفرداً!

وبالاتصال بفضيلة الشيخ نفى هذا الكلام تماماً، وقال: إن هذا كلام بين البطلان، ولا يقوله إلا جاهل بالإسلام، وفصل الإسلام عن السياسة كفصله عن الأخلاق، والإسلام لا يعرف هذا الانفصال، ولا يمكن أن أقول هذا، فهذا إلغاء لحياتي كلها، ولكتبي كلها!

والذين نقلوا عنه الحديث قالوا: إنه قاله في رمضان، وإنهم سألوه: ماذا تفعل في رمضان؟

والشيخ يقول: أنا خارج مصر من (٢٥ شعبان)، وأنا في قطر، فأين لقيني هؤلاء الناس؟!

فأحببت تصحيح هذا لأنني تحدثت عن هذا الأمر في المسجد، وحتى نعطي كل ذي حق حقه، وحتى نعلم كيف يكيد لنا هؤلاء، وكيف

يكذبون على النَّاس وهم أحياء، ويطيِّرون الخبر في الآفاق حتَّى يشوِّشوا على المسلمين.

المؤامرات مستمرة، ولكنَّ الله من ورائهم محيط ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾
وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُويًا﴾ [الطَّارِق: ١٥ - ١٧].

سيأتي العيد الأكبر إن شاء الله، ستقرُّ أعيننا بانتصار الإسلام
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٤ - ٦].

لقد أعدَّ الإخوة المسؤولون عن النادي المبارك^(١) هدايا للأطفال
بمناسبة العيد، ستوزع إن شاء الله بعد الخطبة.

نسأل الله تعالى أن يقرَّ أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
اللهم أقرَّ أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا
المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخواننا المجاهدين في السودان، وانصر
إخواننا المجاهدين في كشمير، وانصر إخواننا المجاهدين في إريتريا،
وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخواننا العاملين للإسلام
في كلِّ مكان.

(١) هو نادي قطر الرياضي، وله نشاطه الملحوظ بالدوحة، الذي اعتاد منذ سنوات إحياء سنة صلاة العيد في ساحته «الإستاد».



اللهم اجمع على الحق كلمتهم، ووحد صفوفهم.

اللهم اجعلهم جبهة واحدة، في مقاومة أعداء الإسلام.

اللهم اجمع كلمة الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا ولا تُهّنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

وتقبل الله منا ومنكم، وكلُّ عام وأنتم بخير.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الصفّات: ١٨٠ - ١٨٢].



خطبة عيد الأضحى (١)

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ،

يوم الحجِّ الأكبر:

نحن في يوم العيد، يوم عيد الأضحى، وهو يوم من أيام الله، يوم الحجِّ الأكبر، فيه عاد الحجاج من مزدلفة ليرموا جمرة العقبة، ويذبحوا أو ينحروا، ويحلقوا أو يقصِّروا، ثم يذهبوا بعد ذلك لطواف الإفاضة - الركن الثاني من الحجِّ بعد الوقوف بعرفة - ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

ومن هنا سُمِّيَ هذا اليوم «يوم الحجِّ الأكبر»^(١) لما فيه من عددٍ من أعمال الحج.

يوم النحر:

هذا اليوم يسمى أيضاً «يوم النحر»؛ لما فيه من نحر الأضاحي، فقد شرع الله للمسلمين أن ينحروا في هذا اليوم أضاحيهم؛ توسعة من الله عليهم، ليوثِّعوا على أنفسهم، وعلى أسرهم، وعلى مَنْ حولهم، وعلى الفقراء في بلدهم، أو حيَّهم.

(١) أُلْقِيَتْ بالدوحة عام ١٤١٧هـ.

(٢) يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣].

والسُّنَّة في الأضحية أن توزَّع أثلاثًا: ثلثٌ للمرء ولعائلته، وثلثٌ لأقاربه وجيرانه وأصدقائه، وثلثٌ للفقراء والمساكين.

ولو تصدَّق بكلِّ أضحيتَه للفقراء فهو خير، إلَّا شيئًا يتبرَّك به منها مثل: كبد الأضحية، أو رأسها، أو نحو ذلك.

شرع الله هذه الأضاحي في يوم عيد الأضحى ليوسِّع على الأمَّة؛ حتَّى لا يكون العيد للموسرين والقادرين وحدهم، ويكون غمًّا وكربًا على البائسين والمحرومين.

في عيد الفطر فرض الله «زكاة الفطر» طُعمة للمساكين، وطُهرة للصائم من اللغو والرفث، ونجدة وإسعافًا للفقراء في هذا اليوم العظيم، يسأل الغني عن الفقراء ويطوف عليهم، ويغنيهم أن يسألوا هم عنه ويطوفوا عليه.

وكذلك في هذا العيد شرعت الأضحية.

المعنى الربَّاني والمعنى الإنساني:

في أعيادنا نحن المسلمين معنيان كبيران: معنى ربَّاني، ومعنى إنساني. الأعياد في بعض الملل وفي بعض النحل تعتبر انطلاقة للشهوات، ينطلق النَّاس فيها وراء غرائزهم، يفعلون ما يشتهون.

أمَّا نحن فأعيادنا أعياد تبدأ بالصَّلَاة، ويزيِّنها التكبير: «زَيَّنُوا أعيادكم بالتكبير»^(١)، فالله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إِلَه إِلَّا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٧.

الله أكبر من كل ما يحرص الناس عليه، من كل ما يعظمه الناس ومن يعظمه الناس، أكبر من الدنيا، من فضتها وذهبها، من بترولها ونفطها، من ذهبها الأسود وذهبها الأصفر وذهبها الأبيض.

الله أكبر من كل هذه الدنيا، الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فماذا يكبر الناس من هذه الدنيا ويعظمون منها؟!

هذا العيد يوم تكبير وتعظيم لله، ويوم صلاة لله، يبدأ هذا اليوم بهذه الصلاة، صلاة العيد.

في عيد الفطر قالوا: نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وذكر اسم ربه، فَصَلَّى ﴿[الأعلى: ١٤، ١٥].

وفي عيد الأضحى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿[الكوثر: ١، ٢]. صل لله، وانحر لله.

كان المشركون ينحرون لآلهتهم، لمناة واللات والعزى وهبل، وغيرها من الأصنام، فأصبح المسلم حين يضحّي، حين ينحر، حين يذبح، يذبح لله، صلاته ونُسكه لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الأضحية تذكير بموقف إبراهيم وإسماعيل:

وهذه الأضحية تذكّرنا بموقف عظيم من المواقف الخالدة وهو موقف أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام فإبراهيم أول من ضحّي، أمره الله أن يضحّي بكبش، أو جاءته هذه الأضحية من الله تعالى؛ فداء لابنه إسماعيل.

فإبراهيم عليه السلام جعله الله أسوة للناس: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨].

«إبراهيم» ضحى بكل شيء لله:

ضحى بوطنه لله، خرج من وطنه مهاجرًا ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصافات: ٩٩].

ضحى بنفسه لله، ألقى في النار، النار التي أشعلها له أعداؤه، وأنفقوا فيها الكثير حتى أججوها، ولم يستطيعوا أن يلقوه فيها إلا بالمقلاع.

الله سبحانه حينما ابتلى إبراهيم بهذا الابتلاء، لم يكن منه إلا أن قال: حسبي الله، فكان الله حسبه، وكان الله كافيته، وحول الله النار إلى روح وريحان، وقال لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وضحى إبراهيم بولده وفلذة كبده، لقد شاخ إبراهيم وبلغ من الكبر عتياً، ولم يرزق أولاداً، ولكنه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

طلب الذرية، والذرية الصالحة، وكل إنسان يشاق إلى أن يمتد وجوده في ذريته، فوهب الله له على الكبر «إسماعيل» كما قال الله تعالى على لسانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

فكان أول من آتاه الله «إسماعيل»، جاء من «هاجر» التي أهداها إليه ملك مصر، وتعلق قلب إبراهيم بولده ووحيدة، وكلما شب الغلام ونما: نما حبه في قلب أبيه، وتعلق به أكثر وأكثر.

فأراد الله تعالى أن يختبر خليله ونبيه إبراهيم: أَحَبُّ الله أعظم أم حُبُّ ولده وابنه الذي أوتيته على الكبر؟

وكان الامتحان عسيرًا، إِنَّ هذا الامتحان هو: أن يقدم إبراهيم ابنه قربانًا إلى الله، ولم يكن ذلك بالوحي الصريح والأمر المباشر، ولكنه كان عن طريق الرؤيا.

رأى في المنام أنه يذبح ولده، ففهم الإشارة، وأطاع الأمر، وجاء لابنه بعد أن بلغ معه السعي، بعد أن أصبح يسعى معه ويذهب ويجيء، ويُرجى منه النفع، فقال له: ﴿يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَابَتِ اَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴿ [الصّافات: ١٠٢].

هكذا كان موقف الوالد، وهكذا كان موقف الولد، كلٌّ منهما أسلم لله: ﴿فَلَمَّا اَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ﴾ [الصّافات: ١٠٣] أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه.

لم يكن في روعة موقف إبراهيم إلا روعة موقف إسماعيل، موقفان سجّلهما التاريخ: الوالد يقدم ولده ويؤتله ويصرعه على جبينه، والولد يقدم رقبته طائعًا مختارًا ويقول لأبيه بثقة المؤمن وإيمان الواثق: ﴿يَتَابَتِ اَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصّافات: ١٠٢] نفذ ما عندك من الأوامر، حتّى إنه لم يقل: افعّل بي ما تؤمر، كأنما نسي نفسه وفني عن ذاته، ولم يدع الشجاعة ولا البطولة، ولكنه قال في تواضع المؤمنين، وثقة المتوكّلين: ﴿سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾ [الصّافات: ١٠٢].

وكان كما وصفه الله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيْمٍ﴾ [الصّافات: ١٠١]، هنا يظهر الحِلْم، هنا يظهر الصبر، هنا يظهر العقل.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيِّرْهُمْ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافَات: ١٠٣ - ١٠٥]، انتهت الرؤيا، ليس المقصود أن تريق دم ابنك، إنما المقصود أن تذبح حبه في قلبك، أن تقدم أمر الله على عواطفك، وقد نجحت في الامتحان.

وهنا قال له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَوُ الْمُبِينُ ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصَّافَات: ١٠٥ - ١١٢].

جوزي على هذا الصبر، وعلى هذه التضحية، وعلى هذا الفداء؛ بأن أعطاه الله ولداً آخر: إسحاق، وهو نبي من الصالحين.

لماذا وقف إبراهيم هذا الموقف الخالد؟ ما السر وراء ذلك؟

قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّافَات: ١١١] العبودية المؤمنة وراء هذا الموقف البطولي، العبد المؤمن الذي يعبد نفسه لله، ويحررها من كل ما سواه، المؤمن بما عند الله، المؤمن بقُدرة الله، المؤمن بقاء الله، المؤمن بوعد الله، الله تعالى يعطيه قوة غير عادية، قوة فائقة.

ما أحوالنا أيها الإخوة إلى أن نستفيد من هذا الدرس.

الله خلّد هذا الدرس، هذا الموقف العظيم للإنسانية طوال تاريخها، أيّد الله إبراهيم، وفدى إسماعيل بذبح عظيم، وخلّد هذا الموقف بهذا اليوم، وبالأضحية في هذا اليوم.

حاجتنا إلى تضحية إبراهيمية:

ما أحوجنا إلى هذا البذل، وإلى هذه التضحية، وإلى هذه الطاعة لله، وإلى الصبر على أمر الله، وخصوصًا في أيامنا هذه.

الإسلام يهاجم من يمين وشمال، ومن شرق وغرب، ومن شمال وجنوب.

هجمة شرسة على هذا الدين، في الخارج وفي الداخل.

تكالِب أعداء الإسلام مهما اختلفت هُوياتهم، واختلفت أهدافهم، واختلفت طرائقهم، واختلفت دياناتهم، فقد اتفقوا على عداوة الإسلام، وعلى الهجمة على الإسلام.

نرى ذلك في نواحٍ مختلفة وصور شتى.

ما نراه في أرض النُّبوات - الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، أرض الإسراء والمعراج، القدس الشريف، المسجد الأقصى، أولى القبلتين، أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشَدُّ الرحال إلَّا إليها - ما نراه الآن من هذا الاستكبار الإسرائيلي، من هذه الصهينة الإسرائيلية، من هذا التجبُّر الأمريكي، من هذا الغياب الإسلامي، من هذا العجز العربي، ما نراه اليوم يرينا أننا نعيش عصر غُربة الإسلام، الإسلام أصبح غريبًا في دياره.

اليهود الذين عاشوا بين ظهرانينا قرونًا طويلة أهل ذمَّة لنا، في ذمَّة الله وذمَّة رسوله وذمَّة جماعة المسلمين، طردهم العالم كلُّ العالم، لفظهم لفظ النَّواة، ولم يجدوا لهم ملاذًا يؤيِّدهم، لم يجدوا صدرًا حنونًا إلَّا دار الإسلام، أوطان الإسلام هي التي وسَّعتهم وآوتهم.

فلَمَّا تمكَّنُوا قلبوا لنا ظهر المَجَنِّ، وأصبحوا الآن يريدون محو القدس، لا يريدون المسجد الأقصى.

لقد قالوا من قديم: لا معنى لإسرائيل بغير القدس، ولا معنى للقدس بغير الهيكل، أي: يريدون أن ينقضوا المسجد الأقصى، ويجعلوا مكانه هيكل سليمان، الذي يبحثون عنه منذ سنوات وسنوات، ولم يجدوا له أثرًا. هذا هو شأن اليهود.

مستوطنة «أبي غنيم» أو «هارحوما» أو غير ذلك هي حلقة في سلسلة بدأت من قديم، واتَّفَق عليها الجميع: الليكود والعمل، رابين ونتنياهو أو بيريز، كلُّهم سواء في هذه القضية.

حُبُّ الدُّنْيَا وكراهية الموت:

الأمر الَّذِي أطمعهم أَنَّا أصبحنا كما جاء في الحديث: كثرة كغثاء السيل، نزع الله من صدور أعدائنا المهابة منَّا، وقذف في قلوبنا الوهن. قال قائل: يا رسولَ الله، وما الوهن؟

قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وكراهية الموت»^(١).

أحبَّ النَّاسُ الدُّنْيَا وتعلَّقوا بها، وأصبح الكلُّ يقول: نفسي نفسي، مصلحتي مصلحتي، وكرهوا الموت.

كان خالد بن الوليد يغزو الفرس والروم، ويقول للقادة في رسائله إليهم: أسلِمُوا تسَلَمُوا؛ وإلا غزوتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة^(٢)!

(١) سبق تخريجه ص ٢٩٨، وفيه: «كغثاء السيل».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهو ضعيف وقد وثق. عن الشعبي مرسلاً.

نحن نريد هؤلاء.

لقد طمع فينا أعداؤنا، أصبحنا كلُّما سمعنا نشرة الأخبار أو شاهدناها، أو طالعنا الصحف في كلِّ صباح، نجد قضايا المسلمين ومآسي المسلمين هي التي تملأ الصحف، وهي التي تبدأ بها الإذاعات.

نجد مآسي المسلمين في فلسطين، ومآسي المسلمين في السودان - الذي جُنِّدت له الجنود، وسُلِّط عليه الجيران، الذين طالما ساعدتهم من قبل: إريتريا وأثيوبيا وغيرهما - ومآسي المسلمين في كشمير، ومآسي المسلمين في الفلبين، مآسي المسلمين في بلاد شتّى.

المؤامرات الكيدية الجهنمية لا تحاول أن تغلق ملفاً إسلامياً، كلُّ القضايا تُترك فيها ذيول.

أفغانستان كنّا نظنُّ أن قضيتها انتهت، ولكن المكائد التي تكيد لهؤلاء لا تريد أن ينتفع هؤلاء بالنصر، سلّطوا بعضهم على بعض.

لا نُعفي إخواننا هناك من المسؤولية، ولكنّا نشير أيضاً إلى المكر الكُبَّار، إلى الكيد العظيم الذي يُكاد لهم.

وفي كلِّ مكان نجد آثار هذه المكائد التي تُكاد للمسلمين، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

الحرب على الإسلام في الداخل والخارج:

يا أيُّها الإخوة، الإسلام يُحَارَب في الخارج، ويهاجم في الداخل.

رأينا تلك الحملات المسعورة التي تُشنُّ على دعوة الإسلام، وعلى رسالة الإسلام، وعلى كتاب الإسلام، وعلى رسول الإسلام، رأينا ذلك كله.

رأينا من يكتب يشكك في القرآن، رأينا من يكتب يشكك في رسول الإسلام.

ورأينا في القنوات الفضائية وفي الحلقات الإذاعية تشكيكاً في المسلّمات الإسلامية:

رأينا من يشكك في تعدد الزوجات، رأينا من يشكك في الطلاق، رأينا من يشكك في الميراث الذي جعله الله فريضة ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، رأينا من يشكك في الربا!

رأينا هذه الحملات هنا وهناك.

وكلُّ هذا يدلُّنا على أننا في عصر لا بدَّ فيه من الرجعة إلى الله.

زماننا وزمان القدامى:

لو نظرنا ماذا كان يقول الأقدمون عن زمانهم، ماذا يقولون لو رأوا زماننا؟!

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تنشد قول لبيد بن ربيعة الشاعر، صاحب المعلّقة:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

ثم تقول: رحم الله لبيداً، كيف لو عاش إلى زماننا هذا^(١)؟!

وقد عاشت هي إلى زمن بني أمية.

وكان ابن أختها عروة بن الزبير - وعاش بعدها سنين - يقرأ هذا

(١) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٤٤٨)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي، باكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

البيت ويقول: رحم الله ليبدأ، ورحم الله عائشة، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا^(١)؟!

وماذا نقول نحن؟

نحن نقول: رحم الله ليبدأ، ورحم الله عائشة، ورحم الله عروة، كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا؟!

كان الإمام الثوري - وهو في القرن الثاني للهجرة وفي عصر ازدهار الإسلام - يقول: هذا زمان السكوت، وملازمة البيوت، والرضا بقليل القوت^(٢)!

كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟!

وكان شاعرهم يقول:

هذا الزمان الذي كنّا نحاذرُهُ في قول كعبٍ وفي قول ابن مسعود
إنّ دأَمَ هذا ولم تحدث له غيرٌ لم يُبك ميتٌ ولم يُفرح بمولود^(٣)!

كانوا يقولون هذا عن زمانهم، فماذا يقولون عن زماننا هذا؟

انبثاق النور من الظلام:

أنا لا أريد أن أيّسكم أيها الإخوة.

لاشكَّ أنّ هناك انبلاجات في هذا الظلام، من هذا الظلام انبلج فجر

(١) رواه أبو نُعيم في معرفة الصحابة (٥٩٢٤)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) إحياء علوم الدين (٢٢٢/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) من شعر أبي سهل سعيد بن عبد الله الشكلي. انظر: اللطائف والظرائف للثعالبي ص ١٧٦.

جديد، هو فجر البعث الإسلامي، المَدُّ الإسلامي، الإحياء الإسلامي، الصَّحوة الإسلامية، سَمُّوا هذا الأمر ما تسمُّونه، ولكنها حقيقة واقعة.

هذه الصَّحوة هي التي أقلقت القوى المعادية للإسلام، وأقضت مضاجع أعداء الإسلام، وزلزلت أركانهم، فبدؤوا يكيّدون كيِّدًا لهذه الأمة، وبدؤوا يمكرون بها مكرًا، وطفقوا يستخدمون كثيرًا من الحكّام، وكثيرًا من الأقلام، وكثيرًا من أهل الفكر كما زعموا.

بدؤوا يستخدمون أبناء المسلمين في ضرب الإسلام نفسه، وهذه هي المصيبة.

المصيبة أن الإسلام يُضرب من أهله، وهذا ما قاله أحد المنصّرين الكبار^(١) قال: لن ننجح إلّا حينما نربّي من المسلمين من يحارب الإسلام، الشجرة لا يقطعها إلّا أحد أبنائها، لا بدّ أن نربّي من أبناء الإسلام من يقطع الشجرة!

وهذا ما حدث، صنعوا على أعينهم، ورَبُّوا على أيديهم أناسًا يتسمّون بأسماء المسلمين: محمّد، وأحمد، وعبد الرحمن، وعلي، وعمر، وحسن، وحسين إلخ، أسماء إسلامية؛ ولكن عقول غربية.

في رؤوسهم عقول غربية، وفي صدورهم قلوب أوربية أو أمريكية، عقول لا تحمل مفاهيم الإسلام، وقلوب لا تحمل مشاعر الإسلام، ولاؤهم لغير الله، وعداؤهم لغير الله، حبُّهم لغير الله، وبُغضهم لغير الله.

(١) هو القسيس «زويمر» رئيس إرسالية التبشير في البحرين، حيث ذكر في مقدمة كتابه العالم الإسلامي اليوم: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها» انظر: الغارة على العالم الإسلامي تأليف ا. ل. شاتليه ص ٥٠، تلخيص وترجمة: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.

ما أحوجنا نحن إلى أن نكون مع الصَّحوة، نشدُّ أزرها، نقوي عضدها،
نغذيها بماء عيوننا، ودم قلوبنا، ودمع عيوننا؛ حتَّى ترتوي تلك الشجرة، وتمتد
جذورها في الأرض، وفروعها في السماء، وتؤتي أكلها كلَّ حينٍ بإذن ربها.
نحن نعتقد أنَّ الغد للإسلام، أنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ أحلك
ساعات الليل سوادًا وظلمة هي السويقات التي تسبق الفجر، تشتدُّ
الظُّلمة ثمَّ ينفجر الفجر، وينفجر الثُّور، وهذا هو اعتقادنا.

لكن الأمة لم تزل بخير:

نحن الآن نعيش أيام محنة لهذا الدين، ولكنَّا لا ننكر أبدًا هذه
الجموع المسلمة، المؤمنة بالإسلام، أكثر من مليونين بالأمس كانوا في
صعيد عرفات، وحوالي ثلاثة ملايين كانوا في ليلة القدر (ليلة ٢٧
رمضان) في الحرم المكي، وآخرون في الحرم المدني.
الآن لو نظرت إلى الذين يصلُّون صلاة العيد من المسلمين ستجدهم
مئات الملايين.

هذه الأمة لم تكفر برَّبها، لم تكفر بمحمَّدها، لم تكفر بقرآنها، لم
تكفر برسالتها.

الذين كفروا وانحرفوا منها قلة قليلة، لا يقام لهم وزن، ولا يُرعى
لهم اعتبار، ولكن الأغلبية في هذه الأمة لا تزال مع الإسلام، حتَّى من
لم يكن مع الإسلام بسلوكه فهو مع الإسلام بعواطفه، بقلبه، ويتمنى أن
ينصر الله الإسلام.

وكثير من العُصاة، المقصِّرين في حقِّ الله، المفرطين في جنب الله، لو
دعوتهم إلى أن يبذلوا للإسلام لاستجابوا لك.



ووالله إنّ كثيراً من النَّاس حينما تحمّسهم لهذا الدين، حينما يسمعون موعظة بليغة، حينما يسمعون كلمة صادقة من صارخ يصرخ في النَّاس: هبُّوا إلى الله، مَنْ أنصاري إلى الله؟ مَنْ ينصر هذا الدين؟

ستجد من جماهير هذه الأمة، من جموعها، من يقول: لبيك لبيك، نحن فداء لهذا الدين!

من قديم قال العلامة محبُّ الدين الخطيب في مجلته «الفتح»: المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة!

لا نجد قيادة سياسية، ولا قيادة فكرية، ولا قيادة دينية على المستوى المطلوب، سقطت الخلافة، ولم نجد بديلاً لها.

النَّصارى عندهم «بابا» يرجعون إليه، ونحن ليس عندنا «بابا» ولا «ماما» ولا أحد نرجع إليه!

حتى العلماء الذين كانت لهم كلمة في النَّاس، كان هناك من يسمّى «شيخ الإسلام» لا نجد الآن من نعتبره «شيخ الإسلام».

استطاع الساسة أن يفسدوا العلماء، أن يقربوهم إلى ساحتهم، أن يشتروهم بالمناصب، أن يعكروا عليهم دينهم، ففسد كثير من العلماء، كما فسد كثير من الحكّام، انتشر الفساد في الجميع - والعياذ بالله - إلّا من رحم ربك.

نحن نعتقد أنّ هذه الأمة بخير، الضعف في القيادة، علينا أن نبحث عن القيادة الدّينية والقيادة الفكرية والقيادة التربوية، وأن ينضمّ بعضنا إلى بعض، ما أضاعنا إلّا التمزّق، إلّا التعادي.

وأنا أدعو العاملين للإسلام خاصة - الذين وهبوا أنفسهم لنصرة هذا الدين - أن يتناسوا الخلافات الجزئية والمعارك الجانبية، وأن يقفوا صفًا واحدًا في معارك الإسلام الكبرى: معركة الإسلام مع أعدائه، معركة العقيدة، معركة الشريعة، معركة الدعوة، معركة الأمة، معركة الحضارة، يجب أن ننسى كل المعارك الجزئية والجانبية، ولا نذكر إلا هذه المعركة.

يجب أن نتناسى خلافاتنا، وأن نستعلي على هذه الأمور الصغيرة؛ لنبقى في القضية الكبرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

أيها الإخوة:

هذه خواطر إنسان يسمع ويرى.
قَلْبِي يُحِسُّ وهذه عَيْنِي تَرَى ما حِيلَتِي فِيمَا أَحْسُ وَمَا أَرَى^(١)!
أَحْسُ وَأَرَى فلا بدَّ أن أثبِّتكم مشاعري، وأن أظهر لكم ما في قلبي؛ لتكونوا معي، وتعايشوني فيما أنا فيه.

عصر الصَّحوة الإسلامية:

نحن نعيش في عصر يُكاد للإسلام فيه كيدٌ كبير، ولكن هو عصر الصَّحوة الإسلامية، صحوة العقول والقلوب، صحوة الإرادات والعزائم، صحوة الالتزام والسلوك، صحوة الدعوة والجهد، صحوة الرجال والنساء، صحوة الشبان والشابات.

(١) ديوان ولي الدين يكن ص ٩٢، بلفظ مقارب، نشر مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، ط ١، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

هي صحوة إسلامية عامة في كل أقطار الإسلام، وخارج أقطار الإسلام، حتى في بلاد الغرب وبلاد الشرق الأقصى والأمريكتين، في كل هذه البلاد صحوة إسلامية.

وهذه الصّحوة لن تموت، وهذه الأمة لن تموت؛ لأنّها أمة الدين الخالد، ليس بعد هذا الدين دين، ليس بعد هذه الرسالة رسالة، ليس بعد القرآن كتاب، ليس بعد محمد ﷺ نبي: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد تضمّن الله لهذه الأمة بالبقاء، وألا تُستأصل، وتضمّن لها ألا تجتمع على ضلالة، وأن تبقى فيها أمة قائمة بالحق: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

ولا تزال طائفة من هذه الأمة، قائمة على الحق حتى يأتي أمر الله، وقد روى الإمام أحمد والطبراني، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم، إلّا ما أصابهم من لأواء (أي: من أذى) حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟

قال: «بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»^(١).

فهذه بشرى رسول الله ﷺ ﴿فَاسْتَبَشِّرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

(١) رواه عبد الله في المسند وجادة عن خط أبيه (٢٣٣٢٠)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم إلخ. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

وَتَقُوا أَنَّ النَّصْرَ لِهَذَا الدِّينِ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ ﴿[التَّوْبَةُ: ٣٢، ٣٣].

اللهم انصرنا على أعدائنا أعداء الإسلام.

اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم نكس أعلامهم،
وزلزل أقدامهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل
عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، وخذهم ومن ناصرهم أو
عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين وفي لبنان، وانصر إخواننا في
كشمير وفي السودان، وانصر إخواننا في سائر بلاد الإسلام، اللهم
أيدهم بروح من لدنك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في
كنفك الذي لا يضام.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقوى،
ونفوسها على المحبة، ونياتنا على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على
عمل الخير وخير العمل.

اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من
لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اجعل هذا العيد بشير خير وبركة على أمة الإسلام، واجعله
نذير وبال وحسرة وهزيمة على أعداء الإسلام.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأعد علينا أمثال هذا اليوم بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبه وترضاه.

اللهم آمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
وتقبل الله منا ومنكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



وقفة بين عام أفل وعام أقبل

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:
نحن اليوم نودّع عامًا مضى وأفل، ونستقبل عامًا قد أطلّ علينا هلاله، وأهلّ علينا فجره.
نرى الهلال فنقول: «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحبّ وترضى، ربُّنا وربُّك الله»^(١).
ودعنا عامًا، واستقبلنا عامًا.

وجوب محاسبة النفس:

ومن حقّ كلّ مسلم - بل من واجبه - أن يقف وقفة على رأس كلّ عام، يحاسب نفسه ويراجع رصيده: ماذا قدّم وماذا أخر؟ ماذا في صحيفة المكاسب وماذا في صحيفة الخسائر؟ ماذا في كتاب الحسنات وماذا في كتاب السيئات؟

(١) رواه أحمد (١٣٩٧)، وقال مخرّجوه: حسن لشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٤٥١)، وقال: حسن صحيح. والدارمي في الصوم (١٧٣٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٨١٦)، عن طلحة بن عبيد الله.

من واجب كلِّ مسلم أن يحاسب نفسه، كلّما أُتيح له ذلك: أن يقف مع نفسه موقف محاسبة في كلِّ يوم وليلة، فينبغي أن يكون للعبد أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكّر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يخلو لحاجته من المطعم والمشرب.

هناك ساعة للحساب، ولتكن في كلِّ ليلة عند النّوم، فإذا لم يتيسر للإنسان أن يحاسب نفسه عند النوم في كلِّ ليلة، فليحاسبها في كلِّ أسبوع، في آخر الأسبوع، في يوم الجمعة مثلاً، يحاسب نفسه على عمل الأسبوع: ماذا صنع؟ ماذا قدّم وماذا أخر؟

فينبغي أن يحاسب الإنسان نفسه قبل أن يحاسب، وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه، وأن يسأل نفسه قبل أن يصير السؤال إلى غيره: ماذا قدّم في أوامر الله؟ وماذا صنع في نواهي الله؟ هل فرّط في الأوامر أم أدّاها؟ وهل أدّاها كما أمر؟ وهل أدّاها لوجه الله أم أدّاها رياء للنّاس؟ وماذا صنع فيما نهى الله تعالى عنه من حقوق الله أو من حقوق عباده؟

لا بدّ من هذه الوقفة اليومية، فإن لم تكن فلتكن آخر الأسبوع، فإن لم تكن فلتكن آخر كلِّ شهر، عندما يهّل الهلال يقف الإنسان مع نفسه ويحاسبها: ماذا صنعت في هذا الشهر؟

لا بد للمسلم أن يكون أمين مع نفسه:

وليكن أميناً مع نفسه كما قال التابعي الجليل ميمون بن مهران: المؤمن أشدّ حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح^(١)!

فالشريك الشحيح لا يسامح في دينار ولا درهم ولا دنانق ولا فلس!

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٦١).

فإذا لم يكن هذا، ولم يتم للإنسان حساب نفسه لا في كل يوم ولا في كل أسبوع ولا في كل شهر، فليقف وقفة طويلة للمحاسبة عندما ينقضي العام ويهل عام جديد.

ليقف الإنسان مع نفسه محاسباً عن عام مضى: اثنا عشر شهراً، الشهر ثلاثون أو تسعة وعشرون يوماً، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية، كل ثانية من هذه الثواني وكل لحظة من هذه اللحظات مسجلة للإنسان أو عليه.

فهل يقف الإنسان هذه الوقفة على رأس العام ليتذكر ماذا في عام كامل؟

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

جعل الليل يخلف النهار والنهار يخلف الليل، فمن فاته عمل الليل تداركه بالنهار، ومن فاته عمل النهار تداركه بالليل، ومن فاته عمل الأسبوع تداركه في الأسبوع الذي بعده، أو فاته في الشهر تداركه في الشهر الذي بعده.

وينبغي للإنسان أن يقف مع نفسه ليحاسبها؛ فالمؤمن من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

الكيس العاقل الفطن الذي يحسن التدبير والتقدير، هو الذي يدين نفسه ويحاكمها ويحاسبها، قبل أن تحاكم في يوم الدين، ويعمل لما بعد الموت.

والعاجز الأحمق هو الذي يتبع نفسه هواها، يُطلق لها العنان لتصنع ما تشاء، ويتمنى على الله الأمانى، كأمانى اليهود والنصارى حينما قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ فقال القرآن: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١].

أمانى فارغة، أمانى باطلة؛ لأنها لا تقوم على أساس صحيح ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ إسلام الوجه لله رب العالمين لا شريك له، كما أمر الله رسوله أن يعلن ذلك:

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: يُحسن العمل، ويُحسن الأداء.

فلا بد من الأمرين معًا: إخلاص الوجه لله، وإحسان العمل.

اجتمع جماعة من أهل الكتاب وجماعة من المسلمين، فقال جماعة من اليهود: نحن أولى الناس بالله وبدخول الجنة؛ لأننا أتباع موسى، الذي كلمه الله تكليمًا، وآتاه الله رسالاته.

وقال النصارى: نحن أولى بذلك؛ لأننا أتباع عيسى، روح الله وكلمته.

وقال المسلمون: بل نحن أولى بذلك؛ لأننا أتباع النبي الخاتم والكتاب الخالد.

ونزل القرآن يحكم بينهم حكمًا عدلًا، ويقول في الأمر قولاً فصلًا: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ يهوديًا

كَانَ أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مُسْلِمًا ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^{*}
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿[النساء: ١٢٣، ١٢٤].

لا بد من محاسبة النفس.

«الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه
هواها، وتمنى على الله الأماني»^(١).

فرق بين الرجاء والأمنية:

الرجاء في رحمة الله: أن يعمل الإنسان، وي بذل جهده، ويمثل الأمر،
ويجتنب النهي، ويعمل ما استطاع، ويقول: أرجو رحمة ربي، كما قال الله
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، بالإيمان والهجرة والجهاد تُرجى
رحمة الله تعالى.

أما الأمنية فهي أن يتمنى الرحمة والجنة والثواب العظيم دون أن
ي بذل مجهودًا أو يقدم عملاً، فهذا مخالف لسنة الله في الكون، وسنة الله
في الشرع.

لا بد من عمل، ولا بد لهذا العمل من حساب للنفس.

نحن الآن نستقبل عامًا جديدًا، ومن واجبنا أن نقف مع أنفسنا
محاسبين على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي.

كل فرد ينبغي أن يحاسب نفسه.

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٢.

الأمة تحاسب نفسها:

والأمة في مجموعها ينبغي أن تحاسب نفسها: ماذا فعلت في قضاياها المعلقة؟ ماذا صنعت في مآسيها التي تصاحبها وتماسيها؟ ماذا صنعت الأمة في عام كامل مضى؟ ماذا صنعت أمة الإسلام التي تبلغ مليارًا وربعمًا أو مليارًا ونصفًا في قضاياها الكبرى؟ ماذا صنعت أمة الإسلام في قضية البوسنة والهرسك خلال اثني عشر شهرًا مضت؟

لا زالت القضية كما هي، ولا زال النظام العالمي الجديد يعبث بالمسلمين وبمقدرات المسلمين.

ما صرخ المسلمون صرخة تُسمع وتُدوي وتقول: يا عالم يا جديد، يا مَنْ تملكون ناصية الأمور في هذا العالم «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١).

ما فعل المسلمون شيئًا، حتّى الاستنكار القوي لم يفعلوه، حتّى مجرّد المقاطعة مع ما يسمّى بيوغسلافيا لم تحدث.

لا زال الصّرب يعملون في كثير من البلدان، وهم موجودون في كلّ مكان، لم يتخذ أحد موقفًا ضدهم.

ماذا صنع المسلمون في قضية فلسطين، في أرض الثّبات، في أرض المقدّسات، في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؟

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.



ماذا صنعوا بعد مجزرة مسجد الخليل إبراهيم؟

ماذا صنعوا بعد الاتفاق الهزيل الذي نرى آثاره السيئة اليوم؟

ولازال «رابين» و«بيريز» وغيرهما يعلنون ويؤكدون أن القدس هي العاصمة الأبدية والموحدة لإسرائيل.

ما معنى فلسطين بغير قدس؟

قضية فلسطين - قضية المسلمين الأولى - لا زالت معلقة، لولا بقية من شباب مؤمن ردُّوا إلى الأمة بعض الاعتبار.

ماذا صنع المسلمون في قضية كشمير؟

ماذا صنع المسلمون في قضية الصومال؟

ماذا صنع المسلمون في قضية جنوب السودان؟

والعالم يحبك المؤامرات ويدبر المكائد؛ لكي يسطو على السودان، لا لشيء إلا لتوجُّهه الإسلامي وحكمه بالشرعية، لذلك يُتآمر عليه هنا وهناك، ويحاصره اقتصاديًا؛ لكي يركع أمام القوى العدوانية الطاغية.

ماذا صنع المسلمون إزاء هذا كله؟

ليست كلُّ هذه الأشياء من صنع الغير وحده.

لا، هناك أشياء من صنعنا نحن، والغير يستغلُّ هذا.

لا زال إخوتنا في أفغانستان يقاتل بعضهم بعضًا، إخوة الجهاد ورفقاء السلاح لا زالوا يضرب بعضهم بعضًا بالصواريخ، ولم يستطع أحد إلى اليوم أن يحلَّ العقدة وأن يصلح ذات البين.



وهذا شيء مؤسف أن يحدث هذا بين إخوة الجهاد بالأمس.

وفي اليمن اليوم نجد هذا القتال الضاري، لا بين الشمال والجنوب حقيقة، ولكن بين الماركسيين اليساريين الاشتراكيين وغيرهم من أبناء الشعب الواحد.

وللأسف نجد من العرب والمسلمين من يؤيد من يسمونهم الجنوبيين ضد الشمال أو ضد شعب اليمن، ونجد مجلس الأمن يسارع ويصدر القرارات، لا لشيء، إلا لمنع الشرعية الدستورية أن تتمكن من السيطرة على هذا البلد وتحقق الدماء بعد ذلك.

ماذا يجري في بلاد الإسلام؟

ما زال الأمر في الجزائر كما هو، ما زالت الدماء تُراق، والبراء يقتلون، ولا يعرف من القاتل؟

ولا زالت بلاد إسلامية شتى تعاني ما تعاني.

أمر الأمة أمر تنفطر له القلوب، وينقطع له نياط الفؤاد، أمر تذرف العيون من أجله العبرات، وتذهب النفوس من أجله حشرات.

أمر الأمة أمر ينبغي أن تفكر فيه.

ولكن من الذي يفكر للأمة بعد أن تمزقت شذر مذر، ولم يعد هناك حكماء للأمة يمكن أن يجتمعوا كما اجتمع حكماء صهيون منذ نحو مائة سنة، وفكروا لإقامة دولة صهيون، وخططوا لإقامتها بعد خمسين سنة، وقامت الدولة بعد خمسين سنة بالفعل؟!

أين حكماء الأمة ليجتمعوا؟

حكّام الأمة تفرّقوا وتمزّقوا، وغلبت عليهم المصالح والأهواء، فهم قد أصبحوا أسارى لكيد أعدائهم، ووساوس خصومهم، يكيد بعضهم لبعض، ويمكر بعضهم لبعض، وخصوصًا بعد حرب الخليج الثانية التي مزّقت الأمة شرّ ممزّق، بضربة واحدة، ضربها ذلك الشيطان المارد، ذلك العدو الماكر الخبيث، فاستطاع أن يدمّر هذه الأمة في أموالها وثرواتها، وأن يجعل البلاد الغنية تستدين، وأن يجربّ فينا أسلحته الجديدة، ويتخلّص في أرضنا من أسلحته القديمة، ويدمّر المنطقة بأموال أصحابها، ثمّ يحاول أن يبنّيها بشركاته بأموال أصحابها أيضًا، وهو يتحكّم فيها هنا وهناك: عسكريًا بجنوده وأسلحته ووجوده العسكري المكثف، واقتصاديًا، بشركاته وتدخلاته، وسياسيًا، بما يوحي به من وصايا ظاهرها المشورة، وباطنها الإلزام!

كلّ هذا تمّ بضربة واحدة «ضربة معلّم كما يقولون» استطاع أن يمزّق الأمة، والأمة لا تدري ماذا يُصنع بها؟
الأمة في حاجة إلى أن تُراجع نفسها.

من يراجع للأمة؟

إنّنا نطمح في مجلس للحكماء يعلو على الخلافات السياسية، ويعلو على الاعتبارات المحلية والإقليمية والعرقية والقبلية والطائفية، ويفكر في أمر هذه الأمة، أمّة القرآن، أمّة الإسلام، الأمة التي يُفترض أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

يا أيّها الإخوة، ما أحوج الأمة إلى أن تُحاسب نفسها في ختام العام،



وتراجع نفسها، وتنظر: ماذا صنعت في أمسها؟ وماذا تصنع في يومها؟
وماذا ستصنع لغدها؟

هذا هو شأن الأمم الحيّة.

أمّا الأمم الميتة فلا طمع فيها، ولا خير فيها، ولن تفكر في أمس
ولا يوم ولا غد.

لن تفكر في أمس لتعتبر به، ولن تفكر في اليوم لتعمل له، ولن
تفكر للغد لتخطط من أجله.

فيا ترى هل أمّتنا أمّة حيّة أم أمّة كُتِبَ عليها الممات؟

إنّا نعتقد أنّ هذه الأمّة لن تموت؛ لأنّها أمّة الخلود، هي ختام الأمم،
هي الأمّة التي كلّفها الله بالرسالة الخاتمة، بالرسالة الخالدة، ولذلك
تكفل الله أن لا يهلكها بسنة عامّة، ولا يسلط عليها عدوّاً من غيرها
فيستبيح بيضتها^(١)، وهياً الله لها طائفة لا تزال قائمة على الحق لا يضرهم
من خالفهم حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك^(٢).

هذا هو شأن هذه الأمّة.

(١) إشارة إلى حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمّتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنّي سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامّة، وألا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإنّ ربي قال: يا محمد، إنّي إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإنّي أعطيت لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامّة، ولا أسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها، أو قال: من بين أقطارها حتّى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً». رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧.

هذه الأمة أمة باقية حتّى تقوم الساعة، ما بقي القرآن، وما بقيت السنة، وما بقي هذا الدين.

ستظلّ هذه الأمة، ستظلّ فيها هذه الطائفة القائمة بالحقّ، الناصرة له، المنصورة به، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

قبل ذلك في هذه السورة «الأعراف» قال: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ثمّ قال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ فقال الحافظ ابن كثير: قد جاء في الآثار أنّ المراد بالأمة المذكورة في هذه الآية هي الأمة المحمدية، ونقل عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية حديثاً يقول: «إنّ من أمّتي قوماً على الحقّ، حتّى ينزل عيسى ابن مريم متى ما نزل»^(١).

علينا نحن إذن أن نعمل على تكثير هذه الطائفة، على تقوية عضدها وشدّ أزرها؛ حتّى تؤدي رسالتها تحت الشمس.

وقد جرت سنة الله أنّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، قد يضلّ الكثيرون، بل قد يضلّ الأكثرون، ولكن تظلّ هذه الطائفة وهذه الجماعة قائمة بأمر الله لا يضرّهم من خالفهم حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «لا تزال طائفة من أمّتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم، إلّا ما أصابهم من لأواء - أي: من أذى - حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٨٩)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.

قيل: يا رسول الله، وأين هم؟

قال: «بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»^(١).

أي: هم في فلسطين وحول فلسطين من بلاد الشام ومصر.

ستظل هذه الطائفة قائمة على الحق، فلا ينبغي أن يتسرب اليأس إلى قلوبنا. مهما تدلهم الخطوب، ومهما تتوالى الكروب، ومهما تتلبد الغيوم في السماء، فهذه الغيوم لا بد أن تنقشع، ولا بد أن تنكشف يوماً عن شمس ساطعة، ليس دونها غيم ولا سحب.

إنَّ بعد الليل فجرًا، وإنَّ مع العسر يسرًا، والله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّح: ٥، ٦].

وجاء في الأثر: «لن يغلب عسرٌ يسرين»^(٢).

وقال ابن مسعود: لو دخل العسر جحرًا لتبعه اليسر حيث كان^(٣).

فالأمل قوي أن تستعيد هذه الأمة ثقتها بالله، ثم ثقتها بنفسها، وأن تظلّ اليقظة وتستمرّ الصَّحوة، رغم قوّة الكيد الذي يدبّر للصَّحوة وشبابها وأبنائها في كلِّ مكان.

الصَّحوة تضرب بيد من حديد في المشرق والمغرب، وفي الشمال والجنوب، والضربات عنيفة.

(١) سبق تخريجه ص ٣٥٩.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢١)، تحقيق الأعظمي، وابن أبي شيبه في البعث والسرايا (٣٤٥٣٢)، والحاكم في التفسير (٣٢٩/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عمر موقوفًا.

(٣) رواه ابن الجعد في مسنده (١٠٩٩).

على قدر ما كانت الصَّحوة قوية، جاءت الضربات قوية وشديدة.
ولكن هل تستطيع هذه الضربات أن تخمد الجذوة، وأن تقتل
الصَّحوة، وأن تؤخِّر المسيرة؟
قد تؤخِّرها قليلاً، ولكن المسيرة ستستمر، والصَّحوة ستمضي،
والتاريخ لن يعود إلى الوراء.

لن يستطيع هؤلاء أن يناطحوا المريخ، أو يوقفوا التاريخ، لن
يستطيعوا أن يوقفوا الزَّحف، لن يستطيعوا أن يصدُّوا الفجر عن الطلوع،
أو الشمس عن الشروق.

ما الذي نتعلمه من هجرة الرسول ﷺ؟

لا بدَّ من الأمل، وهذا درس نتعلَّمه من هجرة النَّبي ﷺ؛ فحينما
هاجر وخرج من بلده مطارداً هو وصاحبه أبو بكر، تبعهما أحد فرسان
العرب الطامعين في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بمحمَّد
وصاحبه حين أو ميتين، وهي مائة ناقة، ثروة أي ثروة، وقد سمع بذلك
الفارس الجُعشُمي المدلجي «سراقه بن مالك بن جُعشم»، عرف من
بعض القادمين أنَّه رأى سواداً يشبهه أنَّه مُحَمَّد وصاحبه.

فأدرك أنَّه مُحَمَّد ﷺ فقال: لا ليس هو؛ وذلك ليدخر الجائزة - التي
يحسب أنَّه ضمنها - لنفسه، وأمر خادمه أن يهيئ له الفرس والسلاح،
ويخرج به خارج الديار.

وذهب فعلاً، وركب فرسه، وامتنى جواده، وأخذ سلاحه ورمحه
وعدته، وطار بالجواد حتَّى أدرك النَّبي وصاحبه أبا بكر، فعثرت قدم
فرسه مرّة ومرّة ومرّة، ثم غاصت أقدام الفرس في الأرض.

فعرف أنّ رسول الله ﷺ في حماية ربّه، فطلب منه الأمان، وقال له: اكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له بذلك في رقعة^(١).

ثم قال له النبي ﷺ: «كيف بك - يا سراقه - إذا لبست سوارى كسرى؟».

قال له: كسرى بن هرمز؟!

قال: «نعم كسرى بن هرمز»^(٢).

سمع الرجل هذا وهو غير مصدّق أنّ هذا المطارد المهاجر يطمع في أنّ يرث مملكة كسرى وكنوزه.

فأخذ هذا الكلام، ودخل بعد ذلك في الإسلام.

حتى كان عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقد فُتحت مملكة كسرى وفتح إيوان كسرى في المدائن، وجاءت كنوز كسرى، ومنها سواراه، فتذكّر عمر بن الخطّاب بُشرى النبي ﷺ لسراقه، فنادى في الناس: أين سراقه بن مالك؟

فجاء من وسط الجماهير وهو يقول: ها أنا يا أمير المؤمنين.

قال: أتذكر يوم قال لك النبي ﷺ كذا وكذا؟

قال: نعم أذكره ولا أنساه.

(١) سبق تخريجه ص ٢٤. وانظر قصة سراقه مع النبي ﷺ في باب: هجرة النبي ﷺ، من كتاب:

مناقب الأنصار في صحيح الإمام البخاري (٣٩٠٦).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤.

فقال له: تعال ألبسك سوارى كسرى.

وألبسه السوارين، وقال له: قل الحمد لله الذي أذلّ بالشُّرك كسرى، وأعزّ بالإسلام سراقه بن مالك أعرابياً من بني مدلج بؤالاً على عقبه^(١).

هكذا كان أمل رسول الله ﷺ وهو مطارّد من بلده، كان يعتقد أنّه سينتصر، وأنّ دينه سيظهر، وأنّ الله ناصر عبده، ومعزّ جنده، وهازم الأحزاب وحده.

وقد حدث هذا.

لا بدّ للحق أن ينتصر:

انتصر رسول الله ﷺ، وعاد إلى مكّة - التي خرج منها مطارداً - فاتحاً، يضرب الأصنام بيده فتخرّ على وجوهها وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

هذا هو شأن الحقّ، لا بدّ للحقّ أن ينتصر، وإنّما ينتصر الحقّ إذا وجد له أهلاً ورجالاً يؤمنون به، ويدعون إليه، ويجاهدون في سبيله، ويتحمّلون تبعاته مهما قدّموا الغالي والرخيص من أجله.

لا ينتصر الحقّ وحده، إنّما ينتصر الحقّ بالرجال:

وعادة السيف أن يُزهى بجوهره وليس يعمل إلّا في يدي بطل^(٢)

(١) الروض الأنف للسهيلي (١٤٢/٤)، تحقيق عمر السلامي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: ديوان الطغرائي ص ٣٠٧، تحقيق د. علي جواد طاهر، ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط ٢، ١٩٨٦م.

والله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

نحن نأمل أن ينتصر الحق، وينتصر الحق بأهله المؤمنين المترابطين المتآلفين: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

فلنكن نحن من أهل الحق وجنده وأنصاره؛ فإن الإسلام لا ينتصر بغيرنا، لا يمكن أن ينصر الإسلام إلا أهله المسلمون، ولا يمكن أن ينتصر الإسلام بغير المسلمين، ولا يمكن أن ينتصر بجنود السماء ما لم يكن هناك جنود الأرض، جند السماء ينزل ليثبت جنود الأرض ويقوي قلوبهم: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَبَشِّرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

نزلت الملائكة في بدر لتثبت المؤمنين.

فأما إذا لم يوجد مؤمنون، فلن تنزل الملائكة على فراغ.

لنحمل روح أهل بدر، لنحمل روح المهاجرين والأنصار:

المهاجرين: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

الأنصار الذين وصفوا بأنهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع.

عندما تطلب النجدة، عندما تطلب التضيحة، عندما يُطلب البذل يكونون في أول الصفوف عند أول نداء.

وعند الغنائم، عند المكاسب والمطامع يكونون آخر الناس، وربما لا تجدهم أصلاً.

هذا هو الذي نريده اليوم.

مجد الجدود عزيز أن نضيعه مستعبدين وقد شادوه أحرارا
هيا بنا يا بني الإسلام نرجعه مهاجرين كما كانوا وأنصاراً^(١)

لنحمل رُوح المهاجرين والأنصار، ولنعمل من أجل هذا الإسلام،
لا ندّخر وسعاً في نصرته، لا نبخل بنفس ولا نفيس، ولا نضن بغالٍ
ولا رخيص، فليس لنا بقاء إلا بهذا الدين.

نحن بغير الإسلام لا شيء، وبالإسلام كل شيء، ولن يعزّنا الله إلا
بهذا الدين، كما قال ابن الخطاب: نحن كنّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام
فمهما نطلب العزّ بغيره أذلّنا الله^(٢).

أسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً
من يومنا، وأن يُحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، ويُجزّنا من خزي الدُّنيا
وعذاب الآخرة.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله لي ولكم،
فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) من شعر الأخ الصالح محمد زكي النّجار من أبناء محلة زياد مركز المحلة الكبرى رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٥.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاَّ استجاب له^(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أَمْسِنَا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللهمَّ اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أَيَّامنا يوم نلقاك.

اللهمَّ اجمع كلمة الأمة الإسلامية على الهدى، وقلوبها على التَّقَى، ونياتِها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ.

اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في البوسنة والهرسك، وانصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في كشمير، وانصر إخواننا المجاهدين في جنوب السودان، وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وأَيِّدْ إخواننا المضطَّهدين والممتَحَين في سائر أرض الإسلام.

(١) سبق تخريجه ص ٦٦.

اللهم افك بك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصربيين المتوحشين، اللهم عليك بالمشركين المتعصبين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين.

اللهم فرق جمعهم، وشتت شملهم، ونكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم خذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

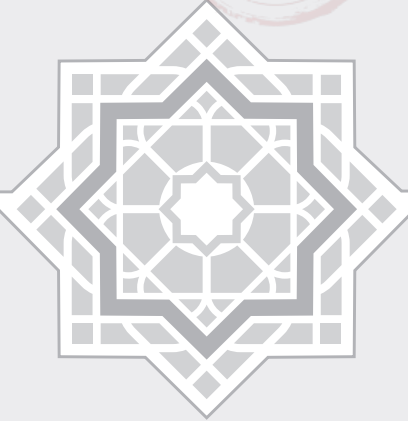
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرِظَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦، ٥	٣٠٥
سورة البقرة		
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	٣٦٥
﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾	١١٢	٣٦٥
﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾	١١٥	٢٩٥
﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	٣٣٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	٢٩٦، ٤٢
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾	١٦٨	١٧٢
﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٧٣	١٣٤
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾	١٧٨	١٥٨
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	١٥٨
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾	١٨٤	١٨٤

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
١٨٥	﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	٣٢٧، ٧٦
١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	٢٦٦
١٨٧	﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾	٢٦٦
١٩٥	﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	١٥٣، ٧٠، ٣٥
١٩٧	﴿وَتَكَرَّوْا فِي بَيْتِ حَيْرِ الزَّادِ النَّفْوَى وَاتَّقُونِ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	٣٢٣
٢١٧	﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾	٣٥٢، ٣٣٨
٢١٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ﴾	٣٦٦
٢١٩	﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾	٢٤٩
٢٢١	﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ وَلَا مُمْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾	٥٩
٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢١٣
٢٢٣	﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾	٢٦٦
٢٢٩	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوها وَمَنْ يَعْذْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٢٣٧
٢٣٣	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ﴾	١٩٧، ١٩٦
٢٤١	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	٩٧
٢٦١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾	١٧٩
سورة آل عمران		
٥٤	﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾	١٩
٦٨	﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٣٤٧
٨٥	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾	١٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٢٥٦
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	١٠٥	١٠٤
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	١٠٦	١٠٤
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	١٤٠	٤١
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	١٤٤	٣١٧
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا﴾	١٤٧	٢٩، ٥٠، ٢٨٩، ٣٨٠، ٣٦١، ٣٤٣
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	١٨٥	٣١٦
﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى﴾	١٩٥	٢٢٨
سورة النساء		
﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	١١	٣٥٣
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ﴾	٢٣	١٣٤
﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٢٦٤
﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾	٢٩	٣٥، ٧٠، ٨٢، ١٥٣
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾	٤٣	٢٦٨، ٢٤٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾	٥١	١١٩
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾	٥٢	١١٩
﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧	٣٢٠
﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾	٧٨	٣٢٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٣٣٦
﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا نَقِيرًا﴾	١٢٣	٣٦٥، ٣٦٦
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٢٤	٣٦٦
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾	١٤٠	٢٥١
﴿فِيُظَاهِرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾	١٦٠	١٥٢
﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾	١٦١	١٥٢
سورة المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾	٣	١٢
﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾	٦	٢٦٨
﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾	٣٢	١٥٨
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٣٣	١٥٩
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	٥١	٦١
﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾	٦٧	٢٩٨
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾	٨٢	١١٩، ٥٨
﴿فَكَفَّرْتَهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾	٨٩	١٨٤
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾	٩٠	٢٤٩، ١٤٩، ١٣٠
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾	٩١	٢٤٩، ١٤٩، ١٣٠
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾	١٠٣	١٧٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾	٨٩	٣٣٧، ٢٨
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾	٩٤	٣١٨
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾	١٤٠	١٧٩
﴿قُلْ ءَالَّذِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ﴾	١٤٣	١٧٩
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾	١٥١	١٩٤
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٥٣	٣٣٣
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٢	٣٦٥، ٣٤٦
﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	٣٤٦
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا فَلْيَإِذَا مَا تَشْكُرُونَ﴾	١٠	١٧٤
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾	١١	١٧٤
﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	٢١٣، ١٨٨
﴿يَبْنَئِ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾	٣١	١٨٠، ٨١، ٣١، ٤
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾	٣٢	٣١، ٤
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٣١١
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾	٨٤	٢٥٩
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٩٦	١٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾	١٥٦	١٠٥
﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾	١٥٧	١٥٢
﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٢٦
﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٥٩	٣٧٢
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٢٧، ٣٣٧، ٣٧٢، ٣٥٩
سورة الأنفال		
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	١٢	٣٧٧
﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾	٢٥	٢٨٢
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾	٣٠	١١٠
﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾	٤٦	١٠٤
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	٦٠	٣٧
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصِيرَةٍ﴾	٦٢	٣٧٧
﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٣	٣٧٧
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾	٧٣	٦١، ٣٠٥
سورة التوبة		
﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾	٣	٣٤٤
﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾	٥	١٠٥
﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾	١١	١٠٥
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ﴾	٣٢	١٤٦، ٣٦٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾	٣٣	٣٦٠، ١٤٦
﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ﴾	٤٠	٢٢، ٢١، ٤
﴿هَلْ تَرَبَّصُوا بِنَا إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾	٥٢	١١٤
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٧١	٢٨١، ١٠٥
﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾	١٠٤	٣٤٠
﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	١١١	٣٥٩
سورة يونس		
﴿كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾	٤٥	٣١٤
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٣٢٩
﴿فَمَا أَمِنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾	٨٣	٢٩١
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾	٦	١٧٤
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّن الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٦١	٢٥٨
سورة يوسف		
﴿أَقْنُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ﴾	٩	٢٠٤
﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾	٢٣	٢٩١، ٢٢٣
﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾	٣٢	٢٩١، ٢٦٩
﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	٣٣	٢٩٢، ٢٦٩
﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾	٤٧	١٧٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾	٤٨	١٧٧
﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	٨٧	٨٤
﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَاَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ﴾	٨٨	١٧٧
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	٢٩٧، ١٣٩
﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	١١١	١٧٦
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	١٣٦، ١٣٥
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	٣٩	٣٤٧، ١٩٩
سورة الحجر		
﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٧٢	٢٧٨
سورة النحل		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾	١٠ - ١٤	١٧٢
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ابْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	١٤٩
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٥٨	١٩٣، ١٩٥
﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾	٥٩	١٩٣، ١٩٥
﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ﴾	٦٦ - ٦٨	١٧٣
﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	٧٧	٣١٠
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٣٠
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾	١١٢	١٦٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾	١٢٣	٣٤٧
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	٢٩٧، ١٤٥
سورة الإسراء		
﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدُكُمْ خَشِيَءٌ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾	٣١	١٩٤
﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	٣٢	٢٥٨، ١٥٠
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾	٦٥	١٦٣
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	٧٠	١٧٢
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٣٧٦
سورة الكهف		
﴿نَحْنُ نَفُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾	١٣	٢٩١
سورة مريم		
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾	٣ - ٦	١٩٩
﴿يَنبَحِيحُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾	١٢ - ١٤	٢٢٣
سورة طه		
﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾	٨٤	٣٣٥
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	١٣٢	٢٤٠
سورة الأنبياء		
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ يُخْلَدُونَ﴾	٣٤	٣١٧
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	٣٥	٣١٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾	٦٠	٢٢٤، ٢٩١
﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾	٦٩	٣٤٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	١٢٦
سورة الحج		
﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾	٢٩	٣٤٤
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾	٣٠	١٤٩
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	٤٠	٢٥
سورة المؤمنون		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾	٥	٢٦٣
﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾	٦	٢٦٣
سورة النور		
﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾	٣٠	٢٦٠
﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	٣١	٢٦١، ٢٦٣، ٢٨٣
﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾	٣٢	٢٥٩
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	١٢٦
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	٦٢	٣٦٤
سورة الشعراء		
﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢، ٦١	٢١
﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾	١٦٦	٢٥٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النمل		
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُمًا﴾	١٤	١٤
﴿أَيُّكُمْ لِنَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَٰجِلُونَ﴾	٥٥	٢٥٩
سورة القصص		
﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾	٣٥	٣٠٤
سورة العنكبوت		
﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾	٣٠	٢٥٩
﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾	٤١	٢٢
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	٤٥	٣٢٦ ، ٢٨٩ ، ٥٠
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	٥٧	٣١٦
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ بَنَصَّرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ﴾	٤ - ٦	٣٤٢
﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن يَخْلُقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾	٢١	٢٢٨
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٦٧
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	٥٤	٢٩٠ ، ٢١١
سورة لقمان		
﴿الْمَرْءُ رَأَىٰ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾	٢٠	١٧٣
سورة الأحزاب		
﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٣٢	٢٨٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ﴾	٤٠	٣٥٩
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾	٥٦	٢٨٩، ٥٠ ٣٨٠، ٣٢٦
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ۚ ﴾	٥٩	٢٨٣
سورة يس		
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾	٩	١٩
﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾	٣٣ - ٣٥	١٨١
سورة الصافات		
﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾	٩٩	٣٤٧
﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	١٠٠	٣٤٧، ١٩٩
﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَلَمٍ حَلِيمٍ ﴾	١٠١	٣٤٨، ١٩٩
﴿ يَبْنِيٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴾	١٠٢	٣٤٨، ٢٩١، ٢٢٣
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنِيٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾	١٠٣ - ١٠٥	٣٤٩، ٣٤٨
﴿ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٠٥ - ١١٢	٣٤٩
﴿ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾	١١١	٣٤٩
﴿ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٨٠ - ١٨٢	٣٤٣
سورة الزمر		
﴿ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾	١٧	١٤٩
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ۚ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾	٣٠، ٣١	٣١٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة غافر		
﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾	٣	٢٧
سورة فصلت		
﴿ وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِينَ ﴾	١٠	١٧٤
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٢٩٧، ٣٠٧
﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	٢٧١
سورة الشورى		
﴿ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	١٤٩
﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً ﴾	٤٩	١٩٣
﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	٥٠	١٩٣
سورة الزخرف		
﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾	٢٣	١٤، ٢٩٢
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	١٧٣
﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	١٩	٦١
سورة الحجرات		
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	١٠	٨٦، ١١٨، ٣٠٢
سورة الحديد		
﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾	٢١	١٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾	٨	٣٧٧
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٣٧٧
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٢٨٩، ٢٩، ٨ ٣٤٣، ٣٢٦ ٣٨٠، ٣٦١
سورة الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾	٤	٣٤٧
سورة الصف		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ﴾	٤	٣٥٨، ٣٠٤
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾	٩	٢٠٧، ٢٦
سورة الجمعة		
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	٤	١٠
سورة المنافقون		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٩ - ١١	٣١١
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٢٤٠، ٢١٥، ٢١٤ ٢٩٦، ٢٨٠
سورة الملك		
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾	١٥	١٧٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحاقة		
﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ ﴾	٢٨ ، ٢٩	٣١٩
سورة المعارج		
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾	٢٩	٢٦٣
﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾	٣٠	٢٦٣
سورة نوح		
﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٤	٣١١
سورة المزمل		
﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ ﴾	٢٠	١٨٠
سورة المدثر		
﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَعْجَبَ الْيَمِينَ ۖ فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ ﴾	٣٨ - ٤٤	٢١٤ ، ١٨٦
سورة الإنسان		
﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	٨	١٨٥
﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾	٩	١٨٥
سورة النازعات		
﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ بَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾	٤٦	٣١٤
سورة التكويد		
﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ﴾	٨ ، ٩	١٩٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المطففين		
﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿	٣ ، ٢	١١٤
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رَوْدًا ﴿	١٧ - ١٥	٣٤٢
سورة الأعلى		
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿	١٥ ، ١٤	٣٤٦
سورة الفجر		
﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿	١٨ ، ١٧	١٨٦
سورة البلد		
﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴿	١٧ - ١١	١٨٥
سورة الشرح		
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿	٦ ، ٥	٣٧٣
سورة العلق		
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	٨٤
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿	٣ - ١	٣٠١
سورة قريش		
﴿لَا يَلِفُ قُرَيْشٍ﴾ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿	٤ - ١	١٦٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾	٣ - ١	٢٠٧ ، ١٨٥
سورة الماعون		
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾	٢ ، ١	٣٤٦

* * *







فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
٢٩٥	اتق الله حيثما كنت
٣٤	اتقوا الملاعن الثلاث
٢٤٨	اجتنبوا الخمر؛ فإنها مفتاح كل شر
٢٦٠	إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض
١٨١	إذا سقطت لقمة أحدكم فليأكلها، ولا يدعها للشيطان
٨١، ٧٠	إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض
٢٦٧	أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال
٣٦٧	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
١٧	أرسل النبي ﷺ إلى المدينة مبعوثه الأول: الشاب الداعية المؤمن مُصْعَب بن عُمَيْر
٧٩	أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك
٢٠	أعد الرسول الكريم الرفيق الذي يهاجر معه، وهو أبو بكر
٢٠	أعد الرفيق الذي يهاجر معه، وأعد الدليل الذي يدلُّهما على الطريق
١٣١	أفْلَحَ إِنْ صَدَقَ

رقم الصفحة	الحديث
٣٧٥	اكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك
٣٢٢	أكثرهم ذكرًا للموت، وأكثرهم استعدادًا للموت، أولئك الأكياس
٣١٢	أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت
٣٠٠	ألا إن أعجب الخلق إليَّ إيمانًا لقوم يكونون من بعدكم
٣٦٢	الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق
٨٥، ٣٣	اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني
٨٥	اللهم إنني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة
١٧٣	اللهم إنني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع
٧٤	اللهم إنني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهزم
٧٤	اللهم بارك لأمتي في بكورها
٢٩٢	اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا
٢٦٦	أما والله، إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد
٦٨	إن الله تعالى كتب على ابن آدم حفظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة
٨٣	إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله
٣٧١	إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها
٧٦	إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني
٧٨	إن الرقي والتمايم والتولة شرك
١٧٨	إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها
٧٦	إن لجسدك عليك حقًا
٢٧٤	إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت



رقم الصفحة	الحديث
٣٧٢	إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى يَنْزِلَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَى مَا نَزَلَ
١٣١	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَما جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ قَالَ: خَمْسَ صَلَوَاتٍ
٢٠٧	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ
١٩٦	أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكُحِي
١٣٢	إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
١٣٩	إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مَيِّسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعْسِّرِينَ
٢٠٦	أَوْ أَمْلَكَ لَكَ، أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ
٢٥٥	أَوْ مُسَكَّرٌ هُوَ؟. قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ ﷺ: كُلُّ مُسَكَّرٍ حَرَامٌ، وَإِنَّ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا
٣٠٠	أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيْمَانًا؟. قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ. قَالَ: وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
ب	
١٨	بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عَمِيرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ مُعَلِّمًا وَدَاعِيًا إِلَى الْإِسْلَامِ
ت	
٤١	تَمَعَّدُوا وَاخْشَوْشُوا
ث	
٢٥٥	ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: الْجُنُبُ، وَالسَّكَرَانُ، وَالْمُتَضَمِّنُ بِالْخَلْقِ
٢٥٥	ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَلَاةً، وَلَا تُرْفَعُ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةٌ: الْعَبْدُ الْأَبْقُ
ح	
٣٥١	حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ
٢٦٥	حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ
١٥٠	حَرَّمَ الْإِسْلَامُ الْخَمْرَ وَلَعَنَ فِيهَا عَشْرًا

رقم الصفحة	الحديث
٥٠، ٣٣، ٧٢	حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده
٣٨	حق الولد على الوالد أن يُعلّمه الكتابة والسباحة والرماية
٢٦٣	الحياء شعبة من الإيمان
٢٦٣، ٢٧٤	الحياء لا يأتي إلا بخير
٢٧٤	الحياء من الإيمان
خ	
١٩	خرج النبي ﷺ وهم واقفون على الباب
٧١	خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
د	
١٣١	دخل الجنة وأبيه إن صدق
٢٣	دعا النبي ﷺ أن يكفيه الله شرَّ سُرقة
ذ	
٢٣	ذهب إلى الفرس وركبه، ولحق بالنبي ﷺ
ر	
٢٦١	رجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين
ز	
٣٢٧، ٣٤٥	زيّنوا أعيادكم بالتكبير
س	
٣٣، ٨٤	سلوا الله العفو والعافية؛ فإنَّ أحدًا لم يُعط بعد اليقين خيرًا من العافية

الحديث	رقم الصفحة
سنوا بهم سنة أهل الكتاب	١٣٣، ١٣٤
السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب	٧٣
ص	
صارع زُكَّانة فصرعه	٣٧
صُم وأفطر، وقُم ونم؛ فَإِنَّ لجسدك عليك حقًا	٧٥
صنفان من أهل النَّار لم أرهما	٢٣٦
الصوم لي وأنا أجزي به	٣٢٩
صيام يوم عاشوراء إِنِّي أَحْتَسِب على الله أَنْ يُكَفِّرَ السَّنةَ الَّتِي قبله	٢٩
ط	
طائفة لا تزال قائمة على الحق لا يضُرُّهم من خالفهم	٣٧١
الطهور شَطْر الإيمان	٧٢
ع	
عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقها	٢٥٠
عِش ما شئت فَإِنَّكَ ميت	٣١٩
عَقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين شاتين يوم السابع	١٩٣
عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه	٢١٣
العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني	٦٨
غ	
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٧١

رقم الصفحة	الحديث
ف	
٣٢، ٣٦، ٧٦	فَإِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا [أي: في الراحة]، وَإِنَّ لَعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
١٨١	فإنه لا يدري في أي طعامه البركة
٧٧	فِر من المجذوم فرارك من الأسد
١٨٤	فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر؛ طُهرة للصائم من اللغو والرفث
٣٧٩، ٦٦	في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له
ق	
١٧٠	قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة
٨٢	قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، وإنما شفاء العي السؤال
٧٧	قد بايعناك
ك	
١٦٩	كاد الفقر أن يكون كفراً
٢٠٤	كان إذا مرَّ على الصبيان سلَّم عليهم
٢٠٥	كان يصلي، وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب
٢٣٠	كانت أسماء بنت أبي بكر تذهب لرسول الله ﷺ في غار ثور
٢٩٨	كغشاء السيل
٣٠٩	كفى بالموت واعظاً
٢٠٥	كلُّ ذلك لم يكن، لكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتَّى يقضي حاجته
٢١٤، ٢٠٠، ١٥٦، ٢٧٩، ٢٤٤، ٢٢١	كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته



الحديث	رقم الصفحة
الكَيْسُ من دَانَ نَفْسَهُ، وعَمِلَ لَمَّا بَعَدَ المَوْتَ	٣٢٢، ٣٦٦
كَيْفَ بَكَ يَا سُرَّاقَةَ إِذَا أَلْبَسَكَ اللهُ سِوَارِي كِسْرَى؟!	٢٣، ٣٧٥
ل	
لَا تَخْتَلَفُوا؛ فَإِنَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا	١٠٤
لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لَعَدَّوْهُمْ قَاهِرِينَ	٣٥٩، ٣٧٢
لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ	٢٧، ٣٣٧، ٣٧١
لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ	٢١٢، ٢٢٦، ٢٩٠
لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِي	٥٩
لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ	٣٥، ٧٠، ١٥٣
لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفَرُوا	٥، ٢٦
لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ	٢٤٨
لَا يُوْرِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحِّ	٧٧
لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ [طَرَائِقَهُمْ وَتَقَالِيدَهُمْ] شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ	٢٣٤
لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ	٢١٩
لَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ فَلَا يَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ	١٦
لَعْنٌ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةٌ: عَاصِرُهَا، وَمَعْتَصِرُهَا، وَشَارِبُهَا، وَحَامِلُهَا	١٥٠، ٢٥٠
لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى	٨٣
لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرَحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحَ بِصَوْمِهِ	٣٢٩
لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يَعلَنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ	٦٩

رقم الصفحة	الحديث
٤٠	لمقام نسيبة بنت كعب من مقام فلان وفلان وفلان
٧٩	لهم رب الناس أذهب البأس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك
٢٦٧	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان
١٨٣	لو كان هذا في غير هذا؛ لكان خيرًا لك
٧٦	ليس من البر الصيام في السفر
١٤٢	ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا
١٨٥	ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع
٢٩	لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع
م	
١٨٥	ما آمن بي من بات شبعانًا، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم
٢٥٤	ما أسكر كثيره فقليله حرام
٢٥٤	ما أسكر منه الفرق [الفرق: مكيال كبير] فمِلء الكف منه حرام
٣٤٠	ما تصدّق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب -
٨١	ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه
١٧٨	ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة
٢٨٠	ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن
٣٠٣	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد
٢٠٨	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين
١١٨	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه
٧٤	المسلم الملتزم أنه إذا أصبح، أصبح طيب النفس نسيطًا



رقم الصفحة	الحديث
٧٣	من آذى المسلمين في طُرُقهم وجبت عليه لعنتهم
١٩٤	من ابتلي من هذه البنات بشيء
١٧٨	من أحيا أرضًا ميتة فهي له
٨٤، ٣٢	من أصبح آمنًا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه
٧٨	من تطبّب ولم يُعلم منه طب؛ فهو ضامن
٧٨	من تعلّق شيئًا وُكِّلَ إليه
٢٥٣	من حبس العنب أيام القطف لبيعه ممن يتخذه خمرًا
١٣٢	من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فليُنظر إلى هذا
٢٥٥	من شرب الخمر لم تُقبل له صلاة أربعين صباحًا
٧٨	من علّق تميمة فقد أشرك
٧٣	من كان له شعر فليُكرمه
٢٠٤	من كان له صبي فليتصاب له
٢٠٦	من لا يرحم لا يُرحم
٣٠٢، ٨٦	من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحًا لله
٢٤٨	من لقي الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن
٣١	المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف
٣٠٤، ١١٩، ١٠٢	المؤمن للمؤمن كالبنان يشدُّ بعضه بعضًا
١٨٢	المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء
ن	
٧٣	نظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود

رقم الصفحة	الحديث
٣٠٠	نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني
٧٥	نعم، يا عباد الله، تداووا؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَا وَضَعَ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً
٢٧٨	نعمتان مغبون فيهما كثير من النَّاسِ: الصَّحَّةُ والفَرَاغُ
١٥٤، ٣٥	نهى النَّبِيُّ ﷺ عن كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍّ
هـ	
٨٠	هي من قدر الله
و	
٢٧٤	والحياء شُعبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ
٢١٣	وشاب نشأ في عبادة الله
٨٥، ٣٣	وعافني فيمن عافيتَ
٢٦٧	وفي بُضْعٍ أَحَدَكُمْ صَدَقَةٌ
٢٥١	ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر
٢٠٥	ونعم الفارسان هما
ي	
٢١	يا أبا بكر، ما ظنُّكَ باثنين اللهُ ثالثُهُما؟! ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾
٢٠٤	يا أبا عمير، ما فعل التُّغَيْرِ
١٥	يا أيها الناس قولوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
٨٢	يا رسولَ اللهِ، صلَّى بنا وهو جُنُب!
٢٦٠	يا علي، لا تُتَبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ



رقم الصفحة	الحديث
١٥٣، ٨٢	يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟!
٣١٣	يا مُحَمَّد، عِشْ ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به
٢٥٩	يا معشر الشَّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج؛ فإنّه أغضُّ للبصر
١٥	يا معشر العرب، أدعوكم إلى كلمةٍ إذا آمنتم بها واتَّبعتُموني
٣٢٩	يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذّته من أجلي

* * *





فهرس الموضوعات

- ٤. من الدستور الإلهي للبشرية.....
- ٥. من مشكاة النبوة الخاتمة.....
- ٧. مقدمة.....
- ٩. مقدمة.....
- ١ - ملامح من الهجرة النبوية..... ١٢
- دعوة التوحيد..... ١٣
- المشركون يعارضون دعوة التوحيد..... ١٤
- بيعة العقبة..... ١٦
- أول مبعوث في الإسلام..... ١٧
- اجتماع المشركين في دار الندوة..... ١٨
- هجرة النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه..... ٢٠
- هل كان هناك عنكبوت؟ هل كان هناك حمام؟..... ٢٢
- وعد النبي ﷺ لسراقة بسواري كسرى..... ٢٣
- مجتمع المدينة المنورة..... ٢٥

- المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان..... ٢٨
- ٢ - الرياضة في الإسلام..... ٣١
- العنصر الثاني المرونة والقدرة على الحركة والسرعة..... ٣٦
- العنصر الثالث الخشونة..... ٤١
- المجتمع «القطري» مجتمع عربي مسلم أصيل..... ٤٢
- أيُّها الغربيُّون، لكم دينكم ولنا ديننا..... ٤٣
- شيخ الأزهر وقضية الحجاب في فرنسا..... ٤٦
- حرية الإنسان الدِّينيَّة أنْ يلتزم بدينه..... ٤٨
- ٣ - هدم مسجد «بابري» في الهند..... ٥١
- مأس وكوارث معظمها في بلاد المسلمين..... ٥٢
- من روائع هذا الدين..... ٥٣
- لا بدَّ من وقفة..... ٦٠
- ٤ - طاعون الهند..... ٦٧
- عقوبة الفاحشة..... ٦٧
- ما السر في هذا؟..... ٦٩
- الإسلام جاء وشرع الطهارة والنَّظافة..... ٧٢
- إقرار سنة الله في العدوى..... ٧٧
- الإسلام يقف في وجه المدَّعين في قضِيَّة الطب..... ٧٨
- التداوي والإيمان بالقدر..... ٧٩
- تشريع الرخص من أجل سلامة البدن..... ٨١



- ٨٣..... لكلّ داء دواء
- ٨٦..... ٥ - مشاهداتي في الهند
- ٨٨..... سمات المجتمع الهندوسي
- ٩١..... دخول الإسلام الهند
- ٩٦..... مشكلات عدة يواجهها المسلمون
- ١٠٧..... ٦ - القنبلة النووية الباكستانية وقضية كشمير
- ١٠٩..... القنبلة الإسلامية النووية
- ١١١..... امتلاك غير المسلمين للقنبلة النووية
- ١١٢..... باكستان تُهدّد
- ١١٤..... قضية كشمير
- ١١٩..... أشد الناس عداوة للمسلمين إسرائيل والهند
- ١٢٢..... ٧ - الرحلة إلى اليابان
- ١٢٤..... كتاب الشيخ الجرجاوي عن اليابان
- ١٢٧..... ما الذي يمنع من انتشار الإسلام بين اليابانيين؟
- ١٢٧..... اليابانيون ينتشر عندهم دينان
- ١٢٨..... مسؤولية المسلمين عن الدعوة إلى الله
- ١٣٠..... عقبات في دعوة اليابانيين
- ١٣٢..... منهج التدرج في الدعوة
- ١٣٦..... ما معنى منصرين للمسلمين؟
- ١٣٨..... المسلمون مقصّرون



- ١٤٠ هذا ما ينبغي أن نعرفه
- ١٤٠ بماذا انتشر الإسلام في البلاد التي دخلها؟
- ١٤٤ اليابانيون عندهم قدر من المادّية والفردية
- ١٤٧ ٨ - اليوم العالمي لمكافحة المخدرات
- ١٤٨ تحريم المخدرات في القرآن والسنة
- ١٥٠ فما هي الخمر؟
- ١٥١ تحريم القرآن للخبائث
- ١٥٣ نهى القرآن عن إلقاء النفس إلى التهلكة
- ١٥٦ مقاومة الآفات القاتلة
- ١٥٨ عقوبة التعزير
- ١٦٠ الخمر والضروريات الخمسة
- ١٦١ ما الوقاية من هذا؟ وما العلاج لهذه الآفة؟
- ١٦٤ اعتبار مجلس النواب الأمريكي «القدس» عاصمة لإسرائيل
- ١٦٨ ٩ - يوم الغذاء العالمي
- ١٦٩ الجوع خطر على العقيدة
- ١٦٩ الجوع خطر على العبادة
- ١٧٠ الجوع خطر على السلوك
- ١٧١ الجوع خطر على العقل والفكر
- ١٧١ الجوع خطر على الأمن
- ١٧٦ تخطيط يوسف عليه السلام لمواجهة المجاعة
- ١٧٨ الإسلام يواجه أزمة الجوع بهذه العناصر



١٠ - اليوم العالمي للطفولة..... ١٨٩

اهتمام الإسلام بالطفل..... ١٨٩

اهتمام الإسلام بجميع الأطفال..... ١٩١

اختيار الاسم الحسن المولود..... ١٩٥

الرضاع حق من حقوق الطفل..... ١٩٥

الأنبياء طلبوا من الله سبحانه أن يرزقهم الذرية..... ١٩٩

الأطفال نعمة يجب أن تُشكر وأمانة يجب أن ترعى..... ١٩٩

الفرق بين الحب والفساد للطفل..... ٢٠٢

مداعبة النبي ﷺ للأطفال..... ٢٠٤

لاعب ابنك سبعا..... ٢٠٧

١١ - حال شبابنا اليوم..... ٢١١

الثروة الحقيقية هي الإنسان..... ٢١٢

مسؤولية الشاب عن نفسه..... ٢١٣

فراغ الشباب..... ٢١٥

سماسرة الفساد..... ٢١٨

من المسؤول؟..... ٢٢٠

الشاب الذي يريده الإسلام..... ٢٢٣

شباب هذه الأمة مرجوون لنصرة دينهم..... ٢٢٤

١٢ - حال فتياتنا اليوم..... ٢٢٦

عناية الإسلام بالمرأة..... ٢٢٨

- ٢٢٨ واجب المجتمع تجاه الفتيات
- ٢٣٠ ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟
- ٢٣٥ ماذا نملك نحن؟
- ٢٣٨ المثل الأعلى للفتاة المسلمة
- ٢٣٨ خطر الطاقة الجنسية
- ٢٤١ ١٣ - الشَّباب ووباء المُسكرات
- ٢٤٢ حرب غير ملعنة
- ٢٤٤ غياب الرقابة الأسرية
- ٢٤٥ ماذا يصنع هؤلاء الشَّباب في غيبة أعين الرقباء؟
- ٢٤٧ انظروا كيف يفقد الإنسان عقله
- ٢٥٣ حماية المجتمع من أسباب الفساد والخلل
- ٢٥٤ ما أسكر كثيره فقليله حرام
- ٢٥٧ ١٤ - العِفَّة والإِحْصَان
- ٢٥٨ تهذيب الإسلام للغرائز البشرية
- ٢٥٩ مساعدة المجتمع لمن يرد الزواج
- ٢٦٠ حرمة كل ما يؤدي إلى الفساد الجنسي
- ٢٦٠ غض البصر
- ٢٦٢ خطر الجاهلية الحديثة
- ٢٦٥ لا رهبانية في الإسلام
- ٢٦٩ مفاهيم جديدة باسم التطور



١٥ - معاكسة الفتيان للفتيات..... ٢٧٢

ظاهرة مؤسفة بين الشَّباب..... ٢٧٢

دلالة هذه الظاهرة على ضعف الدين..... ٢٧٥

دلالتها على ضعف الخُلق..... ٢٧٥

دلالتها على فراغ النَّفس من المُثل العُليا..... ٢٧٦

ضعف التربية الأسرية من الصَّغر..... ٢٧٩

ضعف التربية المدرسية..... ٢٨١

ضعف الرقابة الاجتماعية..... ٢٨١

مسؤولية الفتيات في زيَّهن وحركاتهن..... ٢٨٣

مسؤولية الإعلام..... ٢٨٤

تعاون المؤسسات كلّها..... ٢٨٤

ضرورة الرقابة والعقاب..... ٢٨٥

١٦ - وصايا للشَّباب المسلم المغترب..... ٢٩٠

الشَّباب هم حملة الدعوات الربَّانية..... ٢٩١

الشَّباب المسلم في أمريكا..... ٢٩٢

مسؤوليات المسلم المغترب..... ٢٩٤

١٧ - موعظة الموت..... ٣٠٨

الموت واعظ صامت..... ٣٠٩

الحقيقة الغائبة الحاضرة هي الموت..... ٣٠٩

الموت أقرب من لمح البصر..... ٣١٠



- ٣١٢..... اذكروا هاذم اللذات
- ٣١٤..... هذه هي الدنيا
- ٣١٦..... كلُّ نفس ذائقة الموت
- ٣٢٠..... لا نجاة من الموت إذا جاء الأجل
- ٣٢٤..... الشيخ عبد اللطيف زايد في ذمّة الله
- ٣٢٧..... ١٨ - خطبة عيد الفطر
- ٣٢٧..... التكبير في العيد ومعناه
- ٣٢٨..... مزية الأعياد الإسلامية
- ٣٢٩..... فرحة العيد وبمّ تكون ولمن تكون؟
- ٣٣٠..... فرحة أخرى ننتظرها، عيد النصر
- ٣٣١..... ما يكيده اليهود لنا
- ٣٣١..... إنهم يبيّتون أمراء، ولا نستبعد شيئاً
- ٣٣٣..... عيد توحيد الأمة على كلمة الإسلام
- ٣٣٣..... لا مبرّر لليأس فالغد لنا
- ٣٣٣..... ظهور الصّحوة من المبشرات
- ٣٣٤..... أثر الصّحوة في ميادين الجهاد
- ٣٣٤..... أثر الصّحوة في أرض الإسراء والمعراج
- ٣٣٥..... أمل الحكم الإسلامي في السودان
- ٣٣٦..... واجبنا مساندة الصّحوة
- ٣٣٨..... مؤامرات القوى المعادية



- ٣٣٨..... ماذا يُرضي هؤلاء؟
- ٣٤١..... خبر كاذب عن الشيخ الغزالي
- ٣٤٤..... ١٩ - خطبة عيد الأضحى
- ٣٤٤..... يوم الحج الأكبر
- ٣٤٤..... يوم النحر
- ٣٤٥..... المعنى الربّاني والمعنى الإنساني
- ٣٤٦..... الأضحية تذكير بموقف إبراهيم وإسماعيل
- ٣٤٧..... «إبراهيم» ضحّى بكلّ شيء لله
- ٣٥٠..... حاجتنا إلى تضحية إبراهيمية
- ٣٥١..... حبّ الدُّنيا وكرهية الموت
- ٣٥٢..... الحرب على الإسلام في الداخل والخارج
- ٣٥٣..... زماننا وزمان القدامى
- ٣٥٤..... وماذا نقول نحن؟
- ٣٥٤..... انبثاق الثور من الظلام
- ٣٥٦..... لكن الأمة لم تزل بخير
- ٣٥٨..... عصر الصّحوة الإسلامية
- ٣٦٢..... ٢٠ - وقفة بين عام أفلّ وعام أقبل
- ٣٦٢..... وجوب محاسبة النفس
- ٣٦٣..... لا بد للمسلم أن يكون أمين مع نفسه
- ٣٦٦..... فرق بين الرجاء والأمنية



- الأمّة تحاسب نفسها ٣٦٧
- ماذا يجري في بلاد الإسلام؟ ٣٦٩
- أين حكماء الأمّة ليجتمعوا؟ ٣٧٠
- من يراجع للأمّة؟ ٣٧٠
- ما الذي نتعلمه من هجرة الرسول ﷺ؟ ٣٧٤
- لا بدّ للحق أن ينتصر ٣٧٦
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٨٣
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٠١
- فهرس الموضوعات ٤١٣

* * *



فهرس كتب المجلد

١٦٦- خطب الشيخ القرضاوي (٣) ٥

١٦٧- خطب الشيخ القرضاوي (٤) ٤٥٩

* * *



